مواجهة ساخنة مع رئيس المركز القومى للمسرح

سألنا إيهاب فهمى عن المجلة وتصوير العروض والأبحاث.. فماذا قال؟

حرف

الدستور الثقافى

إصدار إلكترونى يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر

العدد 42

المحرر العام: محمد الباز

الأربعاء 23 أكتوبر 2024 | ربيع الآخر 20 | بابة 1741 | 13

ديانات.. وشركات

كيف أوقعتنا الجماعات المتطرفة فى فخ الاقتصاد الإلهى؟

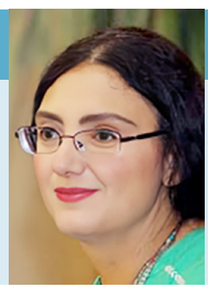

ريم بسيونى

تتحدث لـ«حرف» عن روايتها الجديدة «الغواص.. أبوحامد الغزالى»، التى تعتبر روايتها الأولى منذ فوزها بجائزة الشيخ زايد للكتاب، عن روايتها السابقة «الحلوانى.. ثلاثية الفاطميين».

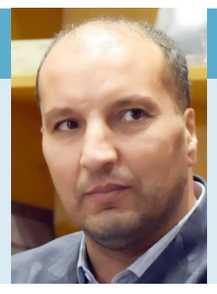

أحمد طيباوى

حوار خاص مع الروائى الجزائرى حول روايته الأحدث: «الحب عربة مهترئة»، التى يحلل فيها فكرة الاختيارات الإنسانية بشكل يجعل القارئ يقيس ما طرحه على اختيارته.

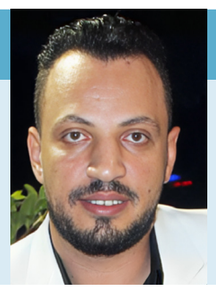

يوسف حسين

يتحدث بعد فوزه بجائزة «كتارا» فى فئة «الرواية العربية المنشورة»، وعن تأثير فوزه بالجائزة على مسيرته الإبداعية، ورؤيته للجوائز بالنسبة للكُتاب بصفة عامة.

آل باتشينو

زيارة خاصة إلى مذكرات النجم العالمى التى صدرت حديثًا تحت عنوان: «Sonny Boy: A Memoir»، أو «مذكرات سونى بوى»، ويسرد فيها قصته من القاع إلى القمة.

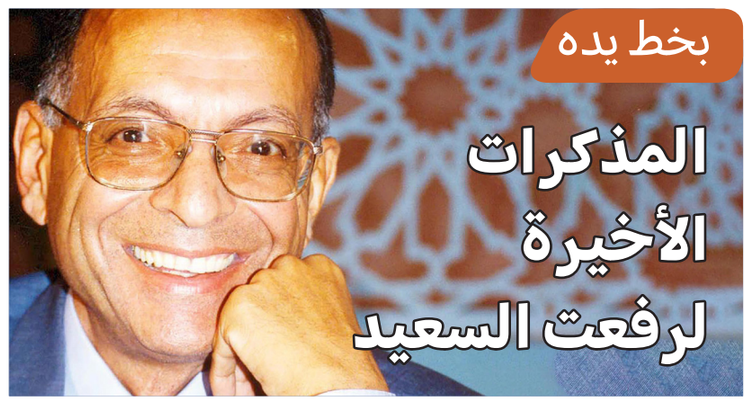

بخط يده

المذكرات الأخيرة لرفعت السعيد

واحة بلا غروب

من قال إن بهاء رحل؟

الأسطى

صلاح السعدنى.. سَحبة قوس فى أوتار كمان

د. منى حلمى

سبع قصائد بقلم شاعرة ليست كبيرة

1
يخون من شدة الوفاء

قالوا لى إنك
رجل غريب الأطوار
يصحو الليل.. ينام النهار
يشرب المحيط
فيزداد وقارًا على وقار
يلملم أوراق الشجر الساقطة فى الخريف
على ممشى الذكريات
يعشق تسلق النساء
والنوم فى عربات القطار
قالوا لى إنك
رجل صعب الإرضاء
لا يريد شيئًا
ويريد كل الأشياء
رجل الليالى العابرات
ترحل دون وداع
تخون كل ليلة
من شدة الوفاء
للشاعرات الفاتنات رجل من ورق
للسابحات التائهات رجل من ماء
سألتهم: أحقًا ما تحكون؟
منْ هو؟ أين يقيم؟
ما اسمه؟ ومنْ يكون؟
أيعقل هكذا بكل بساطة
أن يولد الفرح المتعسر من رحم المفاجآت؟
أهو أوان صحوتى وإفاقتى
بعد أن ثمل القلب من خمرة الأحزان؟
سأسافر إليه
ولو مشيًا على الأقدام
سأحبه بكل صرخاتى المحتجة
على هجرة المطر
بخوفى من أشباح تهاجم وسادتى
وقسوة القدر
سأحبه بأعصابى المنهارة
ومشاعرى التى حنطها الزمن
أمنحه أعماق قلبى المحترق
بعته دون ثمن
سأحبه ولا أرضى عنه بديلًا
يغنى بصوتى
سأحبه دون أمل
ولو تسبب فى موتى
لا أعرفه وأعرفه
هو منْ يستأصل الحشائش السامة
الملتفة حول عنقى
يزرع مكانها الورد والفل
يذيب الجليد الساكن عيونى
يوقظ الميت المدفون فى طرقات جسدى
ويعيد حركة الدم فى الشرايين
سيهزم غزوات السطو المسلح
على صومعتى وأوراقى وأحلامى
يفك الحصار عن أشعارى
أصل إليه قبل انتهاء صلاحيتى
أعبر مدينته قبل أن تجف أنهارى
وقبل أن يغتسلوا بدمى
فى ساحة القرابين.

2
فى رعاية البحر

أريد أن أكتب قصيدة
تنتزعنى من الأرض الخراب
المسكونة بالغربان
من أكلة لحوم النساء
المحتلة بالخفافيش
أقفز على الحروف والكلمات
أغتسل من لون الدم
أهرب من خنق أنفاسى
وتربص دوريات محاكم التفتيش
أريد أن أكتب قصيدة
عندما ينام ليل المدينة
تتسلل بهدوء إلى غرفتى
توقظنى من قبضة الكوابيس
تلم أوراقى وصور أحبائى
ملابسى وأقلامى وعناوين ذكرياتى
تحملنى كما حملتنى أمى
تعبر الحدود وأعين الجواسيس
أريد أن أكتب قصيدة
تأخذنى إلى جزيرة نائية
فلتت من حصار الخرائط
تبنى لى بيتًا صغيرًا
مصنوعًا من أغصان الشجر
تتركنى فى رعاية البحر
وأمان ضوء الشموع الأزرق
أسبح وأرقص وأغنى
وأكتب قصائدى
على وجه القمر.

3
الحُراس على بابك

بعيد جدًا أنت
كما كِسرة من العدل
على مائدة الفقراء
مستحيل أنت
استحالة قطرة ماء
وظل شجرة
وسط وحشة الصحراء
وكم أنت عصى المنال
كانتظار الأمهات اليائسات
عودة أولادهن الشهداء
أنا أحرقنى غيابك ألف مرة
فلماذا لا تأتينى هذا المساء؟
نزف القلب يسألنى
إلى متى تسمحين
لهذا العشق بلا ارتواء؟
صعب وخطر الوصول إليك
فالحراس على بابك
يحظرون مرور النساء
كيف أعبر المتاريس والأسلاك الشائكة
وأنا ليس عندى طاقية الإخفاء؟
وكيف أرشو الحراس
وقد أقسموا على حمايتك
فى السراء والضراء؟.

4
عقلى دليلى

لا أريد أن أكون
أشهر من النار على العَلم
لا أريد أن أعيش
مملوكة من ذكر
أو وطن
لا أريد أن أموت
رغمًا عنى مثل الخراف والغنم
لا يغرينى المال والجاه
أعشق وحدتى
دون الخدم والحشم
قلبى منارتى
عقلى دليلى
صادقة دون حلفان أو قسم
أريد أن أتحدى أقدارى
وأن أنتهى فى حضن القلم.

5
اقتسم معى البكاء

حينما تنهمر أمطارُ مدينتى
وأنا أجرى باحثة عن سقفٍ آمن
كن بجانبى
فأنا رغم قوة تركيزى وذاكرتى
أنسى دائمًا مظلتى
عندما يتعكر مزاج البحر
وتغضب الأمواج
أنقذ سفينتى
لو هجرنى الخيال والكلمات
اكتب بدلًا منى قصيدتى
بعد أن يغيب كل الأحباء
وتقرأ كلمات النعى بلون دمى
ابق معى
احتضن ترنحى وعثراتى
اسندنى بيديك
واقتسم معى البكاء
ابق معى حتى نهايتى
على جسدى الساكن
أنثر قبلاتك الشهية
أوصيك بكفن يليق بطول أحزانى
ولا تعطى أحدًا عنوان رقدتى.

6
امرأة البحر

لن ألومك.. ولست أعاتبك
معك كل الحق
فى أن تبتعد عنى
فأنا امرأة لا تُطاق
كل يوم بحال
كل يوم باشتياق
لا أتوقف لحظة للتفكير
كأننى أجرى فى سباق
معك كل الحق
أن تظن بى كل الظنون
لى اشتهاءات أقرب إلى الجنون
كفرت بالأحلام وبرئت من التمنى
إعصار أنا أطيح بكل الأشياء
لا تخسر نفسك بالاقتراب منى
لا أعطى العهود والضمانات والوعود
فأنا امرأة البحر
أحيا بين المد والجزر
ولا أعرف معنى الوفاء.

7
لنرحل

احذر لا تقترب
خطوة أخرى وأحترق
لا أستطيع المقاومة
وسامتك حتمًا تنتصر
رفعت الراية البيضاء
إليك واثقة أمشى
على يدى كفنى
فقرر ما تشاء
مصيرى كله معلق
بكلمة من شفتيك
أحتاج إليك
من الألف إلى الياء
كلهم يتنبأون بنهايتى
يتسابقون لإعلان موتى
كأننى أسرق منهم
الماء والخبز والهواء
أخرجنى من هذا القبر
ولنرحل
حيث لا شىء يهم
إلا أنت وعناق البحر.

أهلى وجيرانى

أحمد سعد زايد

مؤمن المحمدى

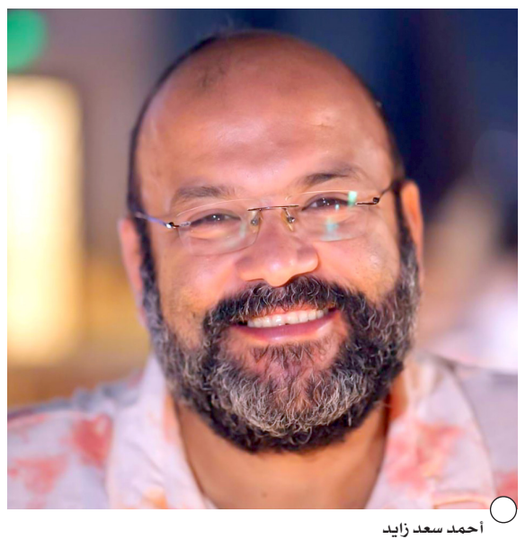

أحمد سعد زايد

أوقات كتيرة الحياة بـ تفرض علينا الاختيار، والاختيار دا بين أمرين مهمين، لـ إنه لو كان واحد منهم مش مهم، أو أقل أهمية بـ وضوح، ما كانش هـ يبقى «اختيار» أساسًا. فـ ساعتها هـ تعمل إيه؟

الناس بـ يختلفوا فى دا، بعضهم بـ يبقى حاسم، هـ أختار دا وأتنازل عن التانى، وأكمل طريقى، بـ اعتبار إن دى سُنة الحياة وطبائع الأمور، وما حدش بـ ياخد كل حاجة، ولا يجوز الجمع بين المتناقضات إلى آخر هذه العبارات، وبـ مرور الوقت بـ تنسى إنه أساسًا كان فيه اختيار.

ناس تانية بـ تحاول تجمع بين دا ودا، ودول أغلب الناس فى الحقيقة، لكن مش بـ ينجحوا، بـ يخسروا من دا ومن دا، وبعد ما يكونوا ضيعوا حبة وقت ومجهود حلوين، بـ يكتشفوا إنهم ما وصلوش لـ حاجة، فـ يرجعوا لـ نقطة الصفر، وهى الاختيار ولكن بـ طاقة أقل كتير من لحظة الاختيار الأولى.

وفيه ناس نوادر، بـ يقدروا يجمعوا الاختيارين، وما يتنازلوش عن أحدهما، ويحسسوك إنه أساسًا ما كانش فيه داعى لـ الاختيار، لـ إنه ما كانش فيه تناقض، ومن الناس دول أحمد سعد زايد.

خلينى أكلمك هنا عن الاختيار، وهو اختيار أزلى أبدى سرمدى، بين الجماهيرية والثقل. بين إنك تبقى مشتبك فى نطاقات واسعة، وفى الوقت نفسه منتجك له وزن.

يعنى، الانتشار عادة مرتبط بـ الخفة، لـ إنه مفيش حاجة بـ تنتشر إلا إذا لمست المشترك بين أعداد كبيرة، والأعداد الكبيرة بـ طبيعة الحال متفاوتة فى التحصيل والذهنية والجدية وكل شىء، ثم إننا عارفين المبدأ الشهير: القافلة تسير بـ احتمال أضعفها، يعنى العمل الجماعى فى الأغلب بـ يراعى القدرات القليلة قبل ما ينظر لـ القدرات العالية، علشان القافلة تمشى مع بعضها.

من هنا القابل أكتر لـ الانتشار هو الخفيف، لو بـ نتكلم عن الغنا مثلًا، فـ الفرصة الأكبر لـ الأعمال اللى مفيهاش شغل مزيكا كتير يتطلب تلقيه معرفة وخبرة، والكلام مفيهوش فكرة عميقة ولا شاعرية تحتاج مجهود ذهنى لـ تناولها، لأ، كل ما كانت أبسط، كل ما كانت أسرع فى التنقل.

قيس على كدا كل حاجة تقريبًا، والموضوع بـ يتضاعف يتضاعف يتضاعف، لما يكون الأمر خاص بـ الفكر والفلسفة وقضايا الإنسان والوجود والبحث التاريخى الساعى لـ تكوين سرديات منضبطة منهجيًا، هنا بـ يبقى التفكير فى الجماهيرية باعث لـ الشفقة على من يحاولها.

عبر التاريخ، الناس اللى حرصت على الثقل، كانت جماهيريتها أقل، حتى لو الاسم انتشر لـ ظروف لا تتعلق بـ منتجه، لكن بـ يفضل المنتج نفسه بعيد عن التداول، نصر حامد أبوزيد مثلًا، أشهر من نار على علم كـ اسم، لكن كام واحد يقدر يقرأ مثلًا إشكاليات القراءة وآليات التأويل؟

فى المقابل، ودون تسمية أحد، اللى اهتموا بـ الجماهيرية «ودا مش عيب» ما كانش ليهم وزن كبير من ناحية الفكر، يمكن لعبوا أدوار مهمة، يمكن ساعدوا، يمكن فتحوا الباب لـ دخول المخ إلى المجال، لكن منتجهم فضل فى حدود الدور الوظيفى ولم يتجاوزه.

أحمد سعد زايد، يكاد يكون النموذج الوحيد اللى حافظ على الاتنين وهو سايب إيديه، والواقع إنه دى حاجة مبهرة بـ النسبة لى، ما أفتكرش إنى شفت له أو سمعت له كلام «متنازل» عن الجودة من أجل إثارة الجدل، لكن فى الوقت نفسه قادر يتفاعل مع جميع المستويات دون أن يخسر وزنه.

الواقع إنى كل ما بـ أقابله، بـ أبقى نفسى أسأله: إنت عملتها كدا إزاى؟

> أحمد سعد زايد قادر يتفاعل مع جميع المستويات دون أن يخسر وزنه

حرف

الدستور الثقافى

إصدار إلكترونى يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر

03

الأربعاء
23 أكتوبر 2024
20 ربيع الآخر 1446
13 بابة 1741

المستشار الفنى: عيد رحيل

مدير التحرير: محمود الشهاوى
الإخراج الفنى: محمد جلال فراج
سكرتير التحرير: بيجاد سلامة
الديسك: كرم منصور
التصحيح: وائل فصيح
مدير الإنتاج: رائف درويش

نزيف الذاكرة الوطنية

محمد الباز

عن المهمة التى يجب ألا يتهرب منها أحد

ما الذى يعرفه أولادنا عما جرى فى مصر منذ ٢٠١١ حتى الآن؟

تعالوا نتفق قبل محاولة الإجابة عن هذا السؤال أن نتعاهد على ألا نضع انحيازاتنا السياسية والفكرية أمامنا، بل دعونا نضعها خلفنا، ونتحدث بحياد تام، على الأقل، حتى نصل إلى نقطة اتفاق حول ما يجب أن نفعله.

وقد تسألنى: ما الذى يمكن أن نفعله.. ومن أجل أى شىء؟

سأقول لك: ما يجب علينا فعله الآن هو إيقاف نزيف الذاكرة الوطنية.. التصدى لمن يحاولون تشكيل وعينا على هواهم، وبما يخالف ما يصب فى أمننا واستقرارنا.. مواجهة محاولات طمس الحقائق وإعادة تصديرها لنا مشوهة حتى نفقد إيماننا بأننا على حق.

لا أتحدث بالطبع عن نسيان ما جرى ولا عدم معرفته من الأساس لدى قطاعات كثيرة من الشباب الذين يتشدقون بأنهم يعرفون كل شىء، لكنهم فى الحقيقة لا يعرفون كثيرًا مما جرى، رغم أنهم عاشوا فصولًا مهمة منه.

ولكن أتحدث عن نزيف الذاكرة الوطنية بتشويهها والتعمية عليها وخلط الأمور فيها، للدرجة التى نرصد من خلالها حالة من التيه العام عند شباب جاءوا بعد الأحداث العاصفة ولم يشهدوها أو يشهدوا عليها، وبدلًا من أن يكونوا داعمين لقضية وطنهم، يشكون فيها ويتشككون بها، ويطرحون أسئلة بديهية يدهشك أن تكون عالقة فى أذهانهم.

فى سنوات سابقة كان يحلو لبعض المراسلين فى القنوات التليفزيونية أن يعدوا تقارير من الشارع تقوم على توجيه أسئلة للشباب عن أحداث فى التاريخ المصرى.

منها مثلًا: حرب أكتوبر كانت سنة كام؟

وكان معظم من يصادفهم المراسلون لا يعرف السنة التى قمنا فيها بالحرب.

كانت هذه التقارير مؤسفة ومحزنة ومخزية ومبكية، لكننا كعادتنا حولنا إجابات الشباب إلى إيفيهات وجلسنا نضحك عليها، دون أن نعرف أننا نواجه مصيبة كبيرة.

لا مبالغة على الإطلاق فى ذلك، فعندما لا يعرف الشباب تاريخ الانتصار العظيم المكتمل الذى حققناه فى حياتنا، نكون أمام كارثة وطنية، فمعنى أنهم لا يعرفون تاريخه، فهم أيضًا لا يعرفون عنه أى شىء، ولا يهتمون بذلك.

وخلال السنوات الماضية، اجتهدت آلة الإعلام الإسرائيلية وساندتها مناقشات دارت هنا- ولا تزال تدور- فى مصر حول ما جرى، وهل انتصرت مصر فعلًا فى هذه الحرب؟، لدرجة أن هناك حالة من التشويه والتشوه والشك والتشكيك فى هذه الحرب، والمناقشات التى نرصدها على منصات التواصل الاجتماعى كل عام فى ذكرى أكتوبر تؤكد لنا ذلك.

فما الذى جعلنا نصل إلى هذه الحالة؟، كيف فرطنا فى تمرير حقيقة ما جرى ليكون جزءًا من معرفتنا الوطنية، وتركنا الشباب على موائد المنصات والكتب والكتابات اللقيطة، فأصبحوا لا يعرفون ماذا جرى، وما قدمته مصر لتسترد أرضها حربًا وسلامًا؟

ولا يخفى على أحد ما يحدث فى اختبارات المتقدمين لبعض الوظائف المهمة فى جهات ومؤسسات لها وضعيتها.

سمعت من أحد الممتحنين فى اختبارات وزارة الخارجية أن معلومات الشباب المتقدمين عن التاريخ المصرى شحيحة، ولا توجد لديهم قدرة على قراءة الأحداث بشكل جيد، وهو ما يشكل خطرًا كبيرًا على المستقبل.

قبل سنوات كنت أتابع عن قرب ما ينخرط فيه آلاف الشباب والبنات فى أعمار بين ١٢ و١٨ سنة من متابعة فرق الموسيقى والغناء الكورية، وفوجئت بأن هناك جيشًا ينتمى بالكلية إلى فريق الـ«bts»، يتابعون أغنياته، ويقيمون حفلات للاحتفاء بأعياد ميلاد أعضاء الفرقة، غرفهم لا تخلو من صورهم، ينضمون فى جروبات على «فيسبوك وواتس آب وتليجرام»، يتابعون من خلالها أخبارهم، ويكتبون عنهم.

كانت أغنيات هذه الفرقة مثل الديانة التى يعتنقها الشباب، يحفظونها عن ظهر قلب، ويعملون بما فيها، وكانت الإجابة التى تلقيتها منهم تعليقًا على هذه الحالة أنهم يعبرون عنهم ويشعرون بمشاكلهم ويقدمون لهم العون لمواجهة الحياة.

لم أكن منزعجًا من هذه الحالة فى الحقيقة، فالشباب فى هذه المرحلة تكون لهم موضات فيما يسمعون وما يهتمون، لكن مصدر انزعاجى الشديد من هؤلاء الشباب أنهم كانوا ينتمون بالكلية ليس إلى الفرقة الكورية التى تنتشر فى العالم انتشارًا مخيفًا، ولكن لأنهم فى الوقت نفسه كانوا لا يعرفون شيئًا عن مصر ولا عما يحدث فيها، بل إنهم كانوا يعيشون كغرباء تمامًا.

فتحت مناقشة كبيرة حول هؤلاء الشباب فى برنامجى وقتها «٩٠ دقيقة»، وتحدثت معهم واستمعت منهم، وكان كثيرون يعانون من أن أسرهم تضيق مما يحدث، وبالتبعية يضيّقون عليهم، ولما قلت لهم: إن الأهالى معذورون فى ذلك لأنهم يشعرون بأنكم مختطفون تمامًا بعيدًا عن بلدكم وما يجرى فيه، قالوا: وما الذى يجب علينا أن نفعله.. وهل يوجد فى البلد ما يغرينا ويدفعنا إلى الاهتمام؟

وقتها طلبت من بعض من ينتمون إلى هذه الفرقة بيقين أن يقدموا شيئًا يقولون من خلاله إنهم أبناء هذا البلد ينتمون إليه ويهتمون بما يدور فيه.

سألونى: مثل ماذا؟

كانت مصر وقتها تخوض حربًا شرسة ضد الإرهاب.

قلت لهم: اعملوا فيديو قولوا فيه إن مصر آمنة، حدثوا العالم عما نتعرض له من حرب إرهابية، وعما نقدمه لنخلص بلدنا من الإرهاب الذى هو فى النهاية خطر على العالم كله.

وبالفعل نفذوا الاقتراح، وظهرت بنات جيش الbts يقلن الكلمة بعدة لغات، ورفعن الفيديو على صفحاتهن ومنصاتهن وجروباتهن، وكن سعداء برد الفعل.

قمت وقتها بإذاعة هذا الفيديو فى البرنامج، وسألت نفسى: لماذا لا نتعامل مع هؤلاء الشباب برفق، فهم فقط يحتاجون لمن يتحدث معهم ويضعهم على الطريق الصحيح، وبذلك نربح طاقتهم الهائلة وقدراتهم غير المحدودة فى التواصل مع العالم بآلياته وطرقه ولغاته؟

لقد طالبت- وما زلت أطالب- منذ سنوات، بضرورة توثيق ما جرى فى مصر خلال السنوات الماضية، واقتراحى يقوم على أن تبادر مجموعة من الباحثين وأساتذة التاريخ والمتخصصين فى العلوم السياسية وعلم النفس وعلم الاجتماع بتوثيق الأحداث بشكل محايد ونزيه بعيدًا عن الاستقطابات السياسية، على أن يتحول ما سيصلون إليه إلى أشكال إعلامية وصحفية ووثائقية ودرامية وكتب، تكون متاحة فى أيدى الشباب عبر المدارس ومراكز الشباب، وتعرض على الجميع على أوسع نطاق.

ومنذ أيام كنت أتحدث مع معالى السفير أحمد أبوالغيط، الأمين العام لجامعة الدول العربية، ومن بين ما قاله لى إنه منزعج بشدة من الحالة التى يجد عليها كثيرًا من الشباب، فهم لا يعرفون كثيرًا ولا قليلًا عما يجرى فى مصر، يحصلون على معلوماتهم ومعارفهم من مصادر عديدة ليست مصرية، ولا يشغلهم فى قليل أو كثير أن يعرفوا ما الذى تقوله مصر عما يحدث فيها.

كان لدى أبوالغيط اقتراح محدد.

قال لى: أعتقد أننا فى حاجة ملحة إلى إنعاش الذاكرة الوطنية، لدينا الآن عدد كبير ممن شاركوا فى حرب أكتوبر، وعدد كبير من المسئولين الذين كانوا فى مواقع المسئولية فى أحداث ٢٠١١ و٢٠١٣، ويعرفون جيدًا ما الذى حدث، لديهم المعلومات التى لا يعرفها كثيرون، وهؤلاء يجب أن يتحدثوا مع الشباب.

اقتراح أبوالغيط ليس فى مجرد الحديث، ولكن فى طريقة تنفيذه.

فهو يقترح أن تكون هناك ندوات فى مدارس مصر الإعدادية والثانوية وفى الجامعات أيضًا، يجلس العالمون ببواطن الأمور مع الشباب، يتحدثون إليهم وجهًا لوجه، يستقبلون أسئلتهم ويجيبون عنها، ومن خلال هذا الحوار والنقاش المفتوح يمكن أن تتضح الصورة بشكل كبير.

أهمية اقتراح السيد أحمد أبوالغيط تأتى من أن الاتصال المباشر فى النهاية أجدى وأكثر قوة وتأثيرًا من كل وسائل الإعلام مجتمعة، فمهما بلغت قوتها إلا أن الحوار المباشر لا يزال قادرًا على التأثير.. وهو ما نريده.

وبحسم أعرفه فى كلام وأفكار أبوالغيط: لا يمكن أن نسأل الشباب عن انتمائهم لهذا البلد دون أن نقدم لهم ما يدعم هذا الانتماء، كيف تقول لشاب يجب أن تعمل من أجل هذا الوطن وتحارب معركته وتقف فى خندقه لا تغادره أبدًا، وهو لا يعرف عنه شيئًا.

لا بد أن نعترف بأننا تركنا شبابنا خلال السنوات الماضية نهبًا لوسائط معرفية عديدة، وبعضها ليس فوق مستوى الشبهات، بل إننا نعرف أن هذه الوسائط تقف وراءها قوى لها مصالح، ومن أهدافها أن تشكل وعى الجمهور المصرى وفى القلب منه الشباب بالصورة التى تروق لها وتتفق معها.. وأصبح لازمًا الآن أن نواجه هذه الوسائط من خلال الاعتماد على وسائطنا التى نجيدها، ولدينا الكثير الذى يمكن أن نقوله من خلالها.

بعد فض اعتصامى رابعة والنهضة الإرهابيين، حدث ما جعلنى أشعر بخطر شديد.

وقتها قامت الجماعة الإرهابية بنسج روايتها الخاصة، حشدت فى متنها وعلى هوامشها كل ما تريد تأكيده عن موقفها وعما تدعى أنها تعرضت له، كانت تهدف إلى تثبيت معنى واحد ومفهوم واحد عما جرى على الأرض، وهو أنها جماعة مظلومة ومقموعة ومقهورة.

وقتها كان للخطر بالنسبة لى منبعان.

أحمد أبوالغيط

الأول أن الجماعة أغرقت وسائط التواصل الاجتماعى بروايتها، كانت لديها حالة من الإلحاح على إنتاج مواد إعلامية من وجهة نظرها، وبالتبعية كان هناك دعم مالى كبير لانتشار هذه المواد لتصل إلى أكبر قدر من المتابعين، ووجدت حالة كبيرة من التفاعل معها من الشباب تحديدًا.

الثانى أنه لم تكن هناك فى مواجهة الرواية الإخوانية رواية مضادة تروى وتحكى وتقول ما الذى جرى، وتقدم للجمهور الحقائق الأخرى بمنطق وعقل ومعلومات، رغم أن الحقائق كانت معروفة ويملكها كثيرون، لكنهم لم ينزلوا إلى قلب المعركة الإعلامية.

كثيرون وقتها تحججوا بأن المعركة على الأرض كانت محتدمة، وكانت مصر فى مواجهة صلبة على الأرض مع الجماعات الإرهابية، ورغم أن هذا كان صحيحًا، إلا أنه ما كان ينبغى أبدًا أن يشغلنا عن معركة أقوى وأكثر شراسة وهى المعركة الإعلامية، التى بدأت فى نسج مفاهيم ومعان، وأرادت من خلالها تشكيل الصورة التى تقود بعد ذلك إلى اعتقاد بعينه وإلى بعد ذلك إلى سلوك فى اتجاه محدد.

تعلمنا فى أكاديميات الإعلام وعلّمنا طلابنا قاعدة مهمة جدًا، وهى أن من يروى الحكايات يحكم.

وأعتقد أننا فى حاجة إلى تعزيز هذه القاعدة الآن وليس غدًا، حتى نعوض ما فاتنا من سنوات كانت صاخبة نعم، لكن ما كان يجب أن يشغلنا صخبها عن أن تكون لنا روايتنا المتماسكة المدعومة بالمعلومات وبالحقائق.

أعرف أن الجماعات المضادة التى تتبنى رواية أخرى لديها أساليب فى تشويه روايتنا والإساءة إليها والانتقاص منها والطعن فيها، لكن ليس معنى هذا أننا نتراجع أمام الاتهامات الموجهة منهم إلينا.

إننى أعرف كثيرين من كتابنا ومفكرينا ومبدعينا وصحفيينا ونقادنا وسياسيينا لديهم ما يمكن أن يقولوه فى إطار مسار تعزيز الوعى المصرى الجمعى بقضايانا الأساسية والحيوية، بل لديهم قدرة على الإقناع وتشكيل الوعى بما يتوافق مع مقتضيات أمننا القومى، لكن هؤلاء للأسف الشديد يلتزمون الصمت، لا يفصحون عما لديهم، يترددون بشدة فى النزول إلى أرض المعركة، يؤثرون السلامة، يجلسون فى بيوتهم مبتعدين عن غبار الصراع، يراقبون من بعيد ويشاهدون ما يحدث دون أن يكون لهم أى مساهمة فيه.

لقد جلست مع كثيرين من هؤلاء، والغريب أنه رغم قناعتهم المطلقة بعدالة القضية المصرية، ورغم اعترافهم بأننا نخوض حرب وجود تستلزم أن تتوحد كل الجهود لنكون يدًا واحدة فى المواجهة، إلا أنهم يخافون بشدة من أن يتعرضوا لحروب تشويه السمعة، لا يتحمل أحدهم أن يكون هدفًا لحملات مدفوعة على السوشيال ميديا.

يقولون: يمكننا أن نتحمل نحن، لكن ما ذنب أولادنا وعائلاتنا؟ هم لم يفعلوا شيئًا حتى يجدوا أنفسهم محاصرين بالسباب والشتائم والطعن فيهم وفى ذممهم وأعراضهم.

قد تلتمس لهؤلاء عذرًا.. لكنك أبدًا لا يمكن أن تسامحهم فيما يرتكبونه من خذلان لقضية يعرفون أنها عادلة.

وقد تعتبر أن ما يقولونه منطقيًا.. لكن عندما يتعرض الوطن إلى خطر، فإن ما يقولونه لا يكون إلا عبثًا كاملًا يجب ألا نلتفت إليه.

إننى لا أدين أحدًا، ولا أعيب على أحد، ولا أطالب أحدًا بأن يقوم بما لا يقدر عليه، ولكن لا أستطيع أن أتجاهل أن المسئولية الآن ملقاة على عاتق الجميع.

إن الذاكرة الوطنية تتعرض لأكبر هجوم من جهات وجبهات كثيرة.

إننا أمام فخ كبير يستهدف شبابنا الذين هم عماد المستقبل.

الشباب الذين يجب أن نحصنهم بالمعرفة والمعلومات والحقائق، حتى يستطيعوا أن يخوضوا معركة الوطن فى مواجهة من يريدون الإيقاع به وبهم، يجب ألا نتركهم فى العراء يواجهون وحشًا مفترسًا يمكن أن يقضى عليهم.

إننى أدعو الجميع إلى أن يكونوا صفًا واحدًا.

كل من يستطيع أن يقول كلمة يجب ألا يتردد فى قولها.

وكل من يستطيع أن يكتب مقالًا عليه أن يبادر.

كل من يقدر على تقديم عمل وثائقى أو درامى عليه أن يبدأ فورًا.

وكل من لديه شهادة عما جرى عليه أن يضعها بين أيدينا.

لا تتركوا من يحاولون العبث بعقولنا ينجحون فيما يخططون له.. لأننا جميعًا سنكون إذا حدث هذا مجرمين فى حق أنفسنا وفى حق هذا الوطن.

الذاكرة الوطنية تتعرض لأكبر هجوم من جهات وجبهات كثيرة

يجب ألا نتركهم فى العراء يواجهون وحشًا مفترسًا يمكن أن يقضى عليهم

عدسة: محمد أسد

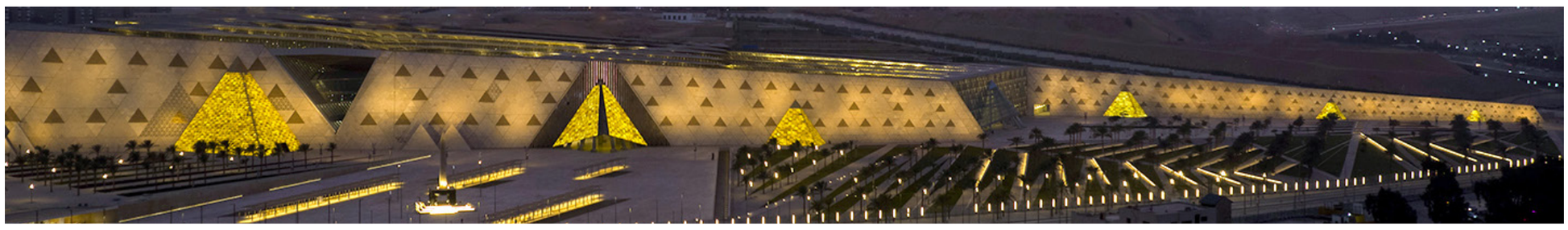

متحفنا الكبير

سلوى بكر

المتحف المصرى الكبير هو أكبر متحف للآثار فى العالم

المتحف المصرى الكبير بالجيزة، مشروع عملاق مشرّف لا بد أن يفخر به كل إنسان مصرى، فهو إنجاز يليق بعظمة مصر وكنوز تاريخها القديم الممتد، وهو أكبر متحف للآثار فى العالم، تم بناؤه وتجهيزه وفقًا للأصول والمعايير العلمية الحديثة.

تكلفة المتحف الضخم التى تجاوزت المليار جنيه أنفقت من ميزانية الدولة المصرية، ويجب استرجاعها عبر إيرادات المتحف ذاته وأنشطته المتباينة وهذا أمر موضوعى، ويصب بالنهاية فى المصلحة العامة، ولا شك أن إدارته المتخصصة التى تم اختيارها كى تدير ذلك الصرح العظيم، هى الأدرى بكيفية الاستفادة منه، ولكن أن تكون تذاكر دخول هذا المكان مرتفعة الثمن، ولا طاقة لمعظم أبناء الشعب المصرى على تحملها- فهذا أمر غريب ومؤسف ومحزن.

غريب أن يكون ثمن بطاقة المتحف، هى الوسيلة الأولى لمنع المصريين من مشاهدة آثارهم القديمة بينما يستطيع ذلك أى أجنبى، أيًا كانت جنسيته ما دام هو قادر على دفع ثمن البطاقة.

ومؤسف أن تكون الآثار المصرية القديمة الأكثر أهمية، ليست فى متناول المواطن البسيط، الذى يتعرف من خلال تلك الآثار على الجانب الأهم من مُكون هُويته، وهو جانب الحضارة المصرية القديمة، ذلك المواطن الذى بات ولأسباب كثيرة، لا يعتز بهويته وتاريخه، ويفخر بكل ما هو أجنبى وارد من الخارج، فأصبح من العادى جدًا أن يدخل المرء لشراء بضاعة ما، فيقول البائع بفخر، هذا تركى أو هذا إندونيسى... إلخ.

ومحزن أن يكون هذا المشروع العملاق ليس بمتناول تلاميذ وطلاب المدارس الفقراء، وملايين الشباب، ودارسى الفنون وغيرهم؛ بسبب سعر بطاقة الدخول المرتفع.

لو افترضنا أن سعر بطاقة دخول المتحف صارت بخمسين جنيهًا أو أربعين، ودخل المتحف سنويًا عشرون مليونًا من المصريين، فإن العائد سوف يكون ملايين الجنيهات وهى حصيلة ليست بقليلة، وهذا على اعتبار أن ذلك تم خلال سنة واحدة فقط.

علينا أن نتذكر أن السياحة الخارجية مرهونة فى أحيان كثيرة بأمور خارجة عن الإرادة، ولا يجب الرهان عليها طوال الوقت، ولنتذكر الأوقات العصيبة للإرهاب فى السنوات الماضية، ولنتذكر الركود السياحى زمن مرض الكورونا، وكيف أن السياحة الداخلية لعبت دورًا لا بأس به فى إنعاش ذلك الركود، بالنسبة لذلك القطاع الاقتصادى المهم الذى يعد ركنًا أساسيًا من أركان الدخل القومى، وتقييد دخول عموم المصريين المتحف بسبب سعر دخوله، مسألة غير مفهومة ولا تصب فى مصلحة الوطن والمواطن، فزيارة المتحف ليست للترفيه والتسلية، وإنما هى معرفة وتفكّر وتمعّن لكل مصرى ومصرية فيما يتعلق بجذوره وأصوله الحضارية.

واحة بلد غروب

د. يسرى عبدالله

عامان على رحيل بهاء طاهر، «٢٧ أكتوبر ٢٠٢٢»، بعد حياة حافلة إبداعيًا، تنوعت فيها الإصدارات ما بين القصة القصيرة، والرواية، والترجمة، والكتب الفكرية التى تجلت فى مؤلفه المهم «أبناء رفاعة»، الذى يؤصل فيه لمسارات التنوير المصرى عبر استعادة أحد أبرز رموزه «رفاعة الطهطاوى»، ممن لهم فضل السبق.

بهاء الذى يمكنك أن تعرف أن «الحب فى المنفى»، أو «قالت ضحى»، أو، «نقطة النور» أو غيرها هى نبته، حتى لو نزعت الأغلفة، حيث يمكنك أن تميز اللغة الرقراقة المنسابة على مهل، أو المندفعة فى حكمة لا تخطئها عين إلى وجهتها كى تحمل موقفًا من العالم.

من قال إن بهاء رحل؟

ثمة تيمة مركزية فى أعمال بهاء طاهر الإبداعية، تتمثل فى تلك التغريبة التى يعانيها راو بطل، فى بلاد لا يعرفها، وتأخذ هذه التغريبة أشكالًا متعددة، فتحضر لديه فى القصة القصيرة، مثلما تحضر فى الرواية، سنرى صداها مثلًا فى مجموعته القصصية «بالأمس حلمت بك»، وتحديدًا فى القصة المركزية التى تحمل الاسم ذاته، حيث ثمة سارد بطل، ورفاق مغتربون، أكثرهم من أولئك العابرين الذين يجيد بهاء الحكى عنهم، ورسم ملامحهم النفسية قبل ملامحهم الخارجية عبر إشارات دالة ومكتنزة، هنا أيضًا كمال، وفتحى صديقان غارقان فى الغربة بمعناها الروحى، حيث انفصال الإنسان الفرد عن البنية الاجتماعية المحيطة به، يستهل بهاء طاهر قصته بمفتتح سردى دال يعزز فكرة الرتابة التى حوت الحياة حول السارد البطل، دون أن ينسى النصية على آلية التكرار للحوادث والأشياء من جهة، والمكان القاحل إنسانيًا من جهة ثانية «أذهب إلى العمل فى الصباح، وأعود فى المساء للبيت. يحدث هذا خمسة أيام فى الأسبوع، يحدث هذا فى الشمال فى مدينة أجنبية». تتواتر الأحداث وتتقاطع وتبدأ لعبة الأرواح المتجولة، عبر توظيف تيمة الكتاب الحاوى لتلك الفكرة والذى يتناقله الأصدقاء فى غربتهم، وتلوح أيضًا «آن مارى»، ويعم الثلج، وتتوالد داخل القصة مفردات تشكل جزءًا أصيلًا فى عالمها المبنى على التوزع، ومحاولة الخروج من أسر واقع ضاغط ظنه السارد البطل فكاكًا منشودًا من واقعه الشرقى الصلد، لتنتهى القصة بهذا المختتم السردى المسكون بالشجن والفجيعة معًا: «كنت أبكى دون صوت ولا دموع ولكن مددت يدى».

تحضر سردية الصراع العربى الإسرائيلى فى «الحب فى المنفى» على خلفية الدمار الذى لحق بلبنان

ويمكن لنا أن نرى منحى الاغتراب هذا أيضًا فى روايته الشهيرة «الحب فى المنفى»، مع اتساع فى تعميق سردية الأنا والآخر، وهى الجدلية التى يمكن لنا رؤيتها فى أعمال متعددة فى الرواية العربية، وإن بدت متباينة فى التكنيكات المستخدمة من جهة، وفى الدلالة السردية من جهة ثانية، من قبيل «قنديل أم هاشم» ليحيى حقى، و«موسم الهجرة إلى الشمال» للطيب صالح، و«الحى اللاتينى» لسهيل إدريس، وغيرها.

وتحيلك «الحب فى المنفى» على جدل العلاقة بين الشرق، والغرب، فى إطار صيغة مغايرة من التفاعل الندى الثقافى الذى يبرز عبر حكايات إنسانية الطابع، تلوح فيها دومًا وحدتان أساسيتان «الأنا الشرقى الذى يمثله السارد البطل»، والآخر الغربى الذى تمثله الفتاة المنتمية إلى الشمال «بريجيت».

وينفتح السرد فى «الحب فى المنفى» على إشكالية الرواية وصداها الذى يتواتر بانتظام، فى ظل حركة الإيقاعات السردية المتعاكسة والمتقاطعة فى الآن نفسه «كنت قاهريًا طردته مدينته للغربة فى الشمال، وكانت هى مثلى أجنبية فى ذلك البلد، لكنها أوروبية وبجواز سفرها تعتبر أوروبا كلها مدينتها».

وتحضر سردية الصراع العربى الإسرائيلى فى «الحب فى المنفى»، على خلفية الدمار الذى لحق بلبنان عقب الاجتياح الإسرائيلى فى العام ١٩٨٢: «انظر إلى تلك المجزرة فى لبنان وشعب الله المختار يستأصل شعبًا غير مختار، ويقول قائد جيشه (العربى الجيد هو العربى الميت)!.. كل ذلك القتل لأن القاتل دائمًا هو الأفضل، هو الأرقى، وعجلة المجازر تدور طوال الوقت لتستأصل الآخرين، الأغيار، أعداء الرب، أعداء العقيدة الصحيحة، أعداء الجنس الأبيض، أعداء التقدم.. الأعداء دائمًا وإلى ما لا نهاية. مع أنه لا توجد فى العالم حرب شريفة غير تلك التى تدافع فيها عن بيتك أو عن أهلك أو عن أرضك وكل حرب غيرها فهى قتل جبان».

ثمة مقاطع مركزية فى «الحب فى المنفى»، هى فى ظنى ما يميز بهاء طاهر، حين يحتشد لغويًا بأقصى طاقة ممكنة، ويبدو والأسلوب السردى حاملًا قدرًا هائلًا من الشحنات العاطفية والفكرية التى تملك إمكانية التأثير فى سيكولوجية المتلقى، من قبيل: «من يتحمل هذه الدنيا... من يتحمل غطرسة المتكبرين والطغاة و الأمراء، وآلام الحب المخذول، والانتظار الطويل، واستحالة العدل، وهزيمة الرقة أمام الوحشية، وكل تلك الأنانية، وكل ذلك الظلم.. من يتحمل هذه الدنيا».

ثمة نزوع حكمى فى السرد، مغلف بخبرة حياتية، وقدرة واعدة على التأمل، من قبيل: «إن أخطأت فكن شجاعًا. على الإنسان أن يحاول على الأقل أن يتصرف على أنه مخطئ لا أن يواصل الخداع»، ويتواتر هذا المنحى الحكمى فى مواضع أخرى مثل: «اسمع كل شىء يمكن غفرانه إلا أن تكذب على نفسك، وتكذب على الناس عن عمد».

تمتح الروايات فى عالم بهاء طاهر من معين متعدد الضفاف، قد تنحو صوب استيلاد الرهافة من قلب القسوة، كما فى روايته العذبة «قالت ضحى»، حين ترصد التحولات الاجتماعية والظلال السياسية لثورة يوليو، عبر نزوع رؤيوى أقل صخبًا، تعزز من حركته الشجية لغة تنزع نزوعًا شعريًا تارة، وتعتمد على تكنيك الصورة الروائية غالبًا، وقد تنحو الرواية لديه صوب عوالم شديدة الصفاء، تتجه صوب الداخل الإنسانى الثرى مسكونة بحس صوفى/ حكمى لا تخطئه عين، ولغة إشارية دالة كما فى روايته «نقطة النور»، أو تسعى صوب معاينة جغرافيا سردية تتقاطع فيها مساحات الواقعى مع الأسطورى لتمنح النص مساحات ضافية من التخييل السردى كما فى روايته «واحة الغروب».

أعماله ترصد التحولات الاجتماعية والظلال السياسية لثورة يوليو

وفى القصة القصيرة لا يمكن أن ننسى مجموعته القصصية الأولى «الخطوبة»، وهى مجموعة تتجاوز رائحة البدايات الأولى، تتكئ على العابر، والعادى، وفى قصتها المركزية «الخطوبة» ينتقل بهاء من سلطة السؤال المبنى على الشائعات المتناثرة بحق شاب يتقدم لخطبة زميلته فى العمل، حيث ثمة وحدتان مركزيتان هنا «الأب السلطوى»، و«الشاب المحاصر»، وبينهما «ليلى» الشخصية المحركة لمجرى الحدث القصصى، والتى تصير غاية مبتغاة للشاب، وحصنًا يدافع عنه الأب القاسى، تنطلق الحكاية من المرئى والمألوف؛ لتعاين عالمًا غير مرئى، ينهض على ثقافة السماع، التى تصير تكئة للأب فى حصاره الخانق للفتى الذاهب إلى «الخطوبة» التى تنكسر على نصال اتهامات لم تثبت، ووقائع لم يتبين أحد صحتها، لتجعل القصة من السؤال مركزًا لها، ومحورًا تنبنى عليه القصة، التى جاءت مقتصدة فى لغتها، ويلعب الحوار القصصى دورًا مفصليًا داخلها، وتمثل المرويات المتواترة عن الشاب عبر الأب إطارًا للسرد داخلها.

وبعد.. يظل بهاء طاهر معنى متقدًا فى السردية المعاصرة، واستعادته تعد استعادة لجملة من القيم الإبداعية والفكرية والإنسانية التى مثلها، حيث المزاوجة الرهيفة بين الجليل، والفريد، والموقف الملتزم من المثقف الحر تجاه قضايا وطنه، وأمته، والتى تجلت مثلًا فى كونه أحد أبرز المثقفين الذين قادوا الصفوف فى ثورة الثلاثين من يونيو.

بهاء طاهر.. طبت فى الحياة، وفى الرحيل أيها الكاتب النبيل.

مواجهة ساخنة

مع رئيس المركز القومى للمسرح

حالة كبيرة من الجدل والاهتمام أثارها المقال الذى نشرته «حرف» فى عددها الصادر يوم 9 أكتوبر الجارى بعنوان: «أسئلة مشروعة عن أدوار المركز القومى للمسرح»، والذى وجهنا فيه عددًا من الأسئلة المهمة حول المركز القومى للمسرح، وأدواره الغائبة فى التوثيق والبحث المسرحى.

وإيمانًا منا بأن حق الرد مكفول، وأن ما نبغيه من إثارة قضية ما حول أى مؤسسة ثقافية هو الإشارة إلى ما بها من خلل لإصلاحه، وما تحققه من نجاح لدعمه ومساندة القائمين عليه، لما فيه صالح الوطن والمواطن فى المقام الأول، لذا توجهنا إلى المركز القومى للمسرح لإجراء حوار مع الفنان إيهاب فهمى، مدير عام المركز، الذى طرحنا عليه تساؤلاتنا السابقة وأخرى جديدة، فكان هذا الحوار.

وتجدر الإشارة إلى أن الفنان إيهاب فهمى تولى مسئولية المركز القومى للمسرح فى يونيو 2023، حين كانت إدارة مركزية وفقًا لهيكل الوزارة القديم، ثم انتهت فترته فى يونيو 2024، وغاب عن المركز قرابة الـ3 أشهر، قبل أن يعد كمدير عام، بعد أن تحول المركز من «إدارة مركزية» إلى «إدارة عامة».

رشا عبدالمنعم

سألنا إيهاب فهمى عن المجلة وتوثيق العروض والأبحاث فقال:

- أصدرت 4 أعداد من مجلة «المسرح» وتوقفت بسبب انتهاء البروتوكول مع هيئة الكتاب
- توثيق العروض توقف فى 2024 بسبب «امتلاء الهاردات».. وجار شراؤها
- البحث المسرحى فى مأزق.. ونعانى من ندرة فى الأبحاث والباحثين

■ ما وضع مجلة المسرح حاليًا؟

– تولیت فى يونيو ٢٠٢٣، وكانت المجلة متوقفة بالفعل قبل مجيئى، وآخر عدد صدر فيها كان فى فبراير ٢٠٢٣ وعقب انتهاء فترة تولى ياسر صادق رئيس المركز السابق، ظلت المجلة متوقفة لقرابة الـ٤ أشهر، وحين توليت عقدت الاجتماع الأول لمجلس إدارة المركز وتوفى الكاتب الكبير الأستاذ محمد أبوالعلا السلامونى أثناء الاجتماع، الذى كان على رأس جدول أعماله مناقشة عودة المجلة، وكثفت الجهود لإصدار المجلة فصدرت ٤ أعداد «يوليو وأغسطس وسبتمبر وأكتوبر ٢٠٢٣»، ثم انتهى البروتوكول الذى كان منعقدًا بيننا وبين الهيئة العامة للكتاب لتولى طباعة المجلة فى ١ نوفمبر ٢٠٢٣ فتوقفنا.

■ أليس من المفترض أن يُجدد البروتوكول تلقائيًا؟

– لم يحتو البروتوكول على هذا البند، ربما لمراعاة معدلات الزيادة السنوية فى أسعار الطباعة، فوفقًا للبروتوكول السابق كنا ندفع ثمن الطباعة للهيئة، بالإضافة إلى مكافآت هيئة تحرير المجلة، ولا يجوز قانونًا أن نصدر المجلة دون هذا البروتوكول، الذى يفيد بموافقة الهيئة العامة للكتاب جهة الطبع وصاحبة الترخيص حصريًا.

لذا بمجرد انتهاء البروتوكول صرت مقيدًا. والحقيقة أننى لا أعرف لماذا نعقد بروتوكولات تعاون داخلية، ونحن جهات داخل نفس الوزارة، ومن المفترض أن يكون التعاون والتكامل بيننا أمرًا طبيعيًا؟

■ ألم تحاول تجديد البروتوكول؟

– طلبت من عبدالرازق حسين، رئيس تحرير المجلة، صياغة بروتوكول جديد، وتم رفعه للسلطة المختصة بتاريخ ٢٢ نوفمبر، وكان البروتوكول الجديد يعفينا من دفع تكاليف الطباعة فى مقابل عدد معين من النسخ تأخذه الهيئة ويكون عائد البيع لها، بما يحقق مصلحة مزدوجة: توفير نفقات وأيضًا ضمان توزيع المجلة عبر منافذ الهيئة فى كل محافظات مصر، عوضًا عن تكديس النسخ فى مخزن المركز القومى للمسرح، ولكن حصل خلاف قانونى حول إخضاع البروتوكول لقانون التعاقدات الحكومية ٨٢ وهو ما كان سيحمل المركز تكلفة مالية هو فى غنى عنها ويفرض على الهيئة عقوبات وغرامات تأخير وهى التى لم تتقاض أجرًا، وتلك الإشكالية القانونية هى ما نتج عنها عرقلة صدور البروتوكول طوال تلك الفترة، وبالتالى توقف صدور المجلة.

وفى النهاية عادت المجلة للهيئة، ولا أعرف لماذا خرجت من الهيئة ثم عادت إليها، ولماذا أصير أنا متهمًا ومضطرًا للدفاع عن نفسى، أنا فى النهاية موظف دولة مقيد بلوائح وقوانين تقيدنى مهما كانت سلطاتى لا أملك تجاوزها. وعلى الجميع أن يعلم حقيقة أن إيهاب فهمى لم يوقف المجلة فأنا مسرحى ومسئول ووطنى، ومن المؤكد أنه ليس من مصلحتى أن أوقف إصدار مجلة عريقة كمجلة المسرح، وأنا لم أدخر جهدًا فى محاولات استعادتها ولكن هناك تعقيدات خارجة عن إرادتى، كما لم أدخر جهدًا فى تذليل كل العقبات الخاصة بالكُتاب ومستحقاتهم والوفاء بها خلال فترة صدور المجلة، وبالمناسبة لدىّ عدد كان جاهزًا على الطباعة لولا ما حدث.

■ أين المركز من توثيق العروض المسرحية؟

– قد تتعجبين إذا قلت لك إننى لم أترك عرضًا فى ٢٠٢٣ داخل القاهرة أو فى محافظات مصر لم أوثقه بالكامل، ما حدث هو أننى جئت على وضع كالتالى: الهاردات التى تفرغ عليها مادة الكاميرات ممتلئة عن آخرها، واستعنا بالحلول الإلكترونية جميعها لسد تلك الفجوة حتى امتلأت جميعها عن آخرها، ويجب أن نأتى بهاردات جديدة. والتى حين تمتلئ سنأتى بغيرها، وكان الحل الحقيقى الذى سعينا إليه هو الرقمنة، وهو ما طلبناه وسعينا إليه مع وزارة الثقافة وحدث تواصل بين إدارة المعلومات ووزارة الاتصالات من أجل العمل على منصة رقمية، وقد أرشفنا بالفعل بعض المواد وصولًا لأن يكون المركز كله يتمتع بالرقمنة، وهو مشروع ضخم.

■ لماذا هناك صعوبة فى شراء «الهاردات»؟

– طلبنا ولم تأتِ لأنها لم تكن مدرجة فى الخطة الاستثمارية للمركز فى ٢٠٢٣/ ٢٠٢٤، وقد أدرجنا الهاردات فى خطة هذا العام، وجار العمل على إجراءات شرائها فى العام الجارى، علمًا بأننا نتكلم عن هاردات للتوثيق ليست كالهاردات العادية، هى هاردات يتراوح ثمنها من ٣٠٠ ألف لـ٥٠٠ ألف وفقًا لسعتها.

قبل ذلك وخلال ٢٠٢٣ رصدنا الحركة المسرحية فى كل مكان فى حلايب وشلاتين والعريش، وذهبنا مع مسرح المواجهة والتجوال، وحتى المسرح المستقل، فكنت أوثق كل عروض مسرح نهاد صليحة وعروض أكاديمية الفنون، ولكن توقف ذلك بسبب ما أطلعتك عليه من ملابسات الأمر.

أما مسرح القطاع الخاص فلا يحق لى أن أوثقه وإلا تعرضت للمساءلة، لذا يجب أن يكون هناك بروتوكول تعاون بينى وبين جهة مسرح القطاع الخاص، حتى يحق لى توثيق أعماله ولا أتُهم بأن لى مصلحة شخصية.

وبالنسبة للمهرجان القومى للمسرح، فقد انتهت فترة إدارتى للمركز فى يوليو ٢٠٢٤ ولم يأت التجديد لى فى حينه، وفى هذه الأثناء عقد المهرجان ولم يتم توثيقه ولم أكن مسئولًا حينها.

■ أين دوركم فى التوثيق البحثى؟ أين الأبحاث التى تقدم رؤى وحلولًا لإشكاليات الواقع المسرحى؟ هل هذا الدور اقتصر على تقديم التهانى بأعياد ميلاد الفنانين أو إحياء ذكرى وفاتهم على «واتس آب»؟

– هناك مشكلة بحثية فى الحركة المسرحية ككل، وتعانى البحوث المسرحية من ندرة واضحة، على الرغم من وجود قامات كبيرة فى هذا المجال. ونبحث حاليًا عن حلول لهذه الإشكالية.

أما فيما يخص الاحتفاء برموزنا وفنانينا، فإن ذلك يأتى بسبب مشكلة حالية تحتاج إلى تدخل، وهى جهل الأجيال الجديدة بهذه الرموز، فبعضهم لا يعرف إلا «ويجز» مثلًا، لذا أردنا تقليل هذه الفجوة بتذكير الناس بتلك الرموز، فى تواريخ ميلادهم.

علاقتنا بالاطلاع صارت مرتبطة بالموبايل فقط، لذا أردنا استغلال ذلك لتقريب المسافة، وتعريف الأجيال الجديدة برموز المسرح والفنون الشعبية والموسيقى. مثلًا فنان زميل قدم أكثر من ٥٠ عملًا، قدم عمره للمسرح، ألا يليق بنا أن نقول له: «كل سنة وأنت طيب؟»، ألا يمكننا تخليد ذكراه فى الحياة والممات ونشعره بالتقدير، ما ينعكس بالإيجاب على حالته النفسية وطاقته للعمل؟ وبالطبع لا أستطيع أن أصدر ذلك فى مطبوعة ورقية، لأن المطبوعات غير الأساسية مقيدة بـ«حظر الصرف» حتى الآن.

■ مع التقدير لهذا البعد الإنسانى، دور المركز القومى للمسرح أكثر عمقًا من مجرد الإشارة إلى عيد ميلاد أو ذكرى وفاة.. لماذا لا يكون التقدير بجهد بحثى فى التعريف بالشخص وإنجازه؟

– أود الإشارة إلى أن مسألة تدقيق تاريخ الميلاد مسألة صعبة جدًا. والباحثون فى المركز درسوا آليات التوثيق الحديثة، فى ورشة مع قامة كبيرة فى البحث المسرحى هو الدكتور عمرو دوارة، تحديدًا فى «التقنيات الحديثة فى البحث المسرحى».

ونحن نعتبر ذلك مرحلة أولى من الجهد البحثى المطلوب، على أن تكون المرحلة الثانية مختصة بتوثيق المعلومات المطلوبة عن كل فنان وتدقيقها، مع ملاحظة ما أشرنا إليه من قبل حول نقص الباحثين فى المركز بصفة عامة.

■ لماذا لا تعقدون بروتوكولات تعاون مع أكاديمية الفنون والأقسام المتخصصة فى الجامعات لسد هذه الفجوة؟

– فكرة رائعة سنعمل عليها بالفعل.

■ ما آليات العمل التى ينتهجها المركز القومى للمسرح من أجل إتاحة المواد البحثية والوثائقية المرئية والمسموعة والمقروءة للباحثين؟

– يستطيع أى باحث أن يتقدم بطلب إلى الإدارة المختصة «إدارة التوثيق- إدارة المسرح- إدارة الموسيقى- إدارة الفنون الشعبية»، وسنتيح ونيسر له الحصول على ما يحتاجه، ومع مشروع «الرقمنة» الحالى، سنحقق قريبًا إتاحة وتداولًا أكبر لكنوز المركز.

■ أين متحف مقتنيات فنانى المسرح الذى توقعنا له ترويجًا أكبر بعد افتتاحه؟

– المتحف مفتوح ونتعامل فيه بالتذاكر، ونعمل على تحقيق الدعايا اللازمة له، وأخطط لإقامة «ريسيتال» أو «عزف لايف»: «تشيلو- فلوت- هارب»، وربطه بالمتحف، إلى جانب عرض فيلم على شاشة خارجية للتعريف بالمتحف ومحتوياته، وهو ما نعمل عليه الآن لحين تحديث آليات العرض.

المتحف يعمل، لكن ليس بالقدر الذى أطمح إليه، ولا الذى يطمح إليه أى منا. لذا لدى حلم أرجو أن نتعاون فى تنفيذه، خاصة أنه سيكون نقلة حقيقية للمتحف، يتمثل فى توقيع بروتوكول مع وزارة التربية والتعليم لتعظيم الفائدة التثقيفية والمالية للمتحف، عبر تنظيم رحلات مدرسية محدودة العدد إلى المتحف، وفقًا لطبيعة المكان، ليتاح لطلابنا التعرف على تاريخ الفنون ورموز المسرح والموسيقى والأدب. هكذا نستطيع الربط بين العائد الاستثمارى المالى والتثقيفى.

كما أننا أرسلنا فيديو ترويجيًا للمتحف إلى العلاقات الثقافية الخارجية، لإرساله إلى المراكز الثقافية المصرية فى الخارج، حتى نستطيع جذب الأجانب لزيارة المتحف والتعرف على آثارنا ورموز فننا الخالد.

■ لماذا لا يعقد المركز مؤتمرًا ينتج عنه إصدار تقرير للحالة المسرحية؟

– يصدر المركز سنويًا كتابًا عن الموسم المسرحى، لكن عقد مؤتمر أمر يحتاج للنقاش، وربما نجد الفرصة سانحة للعمل عليه.

هل أضر الهيكل الجديد المركز القومى للمسرح؟

أنا لا أتدخل فى سياسات الدولة ورؤيتها فيما يخص الهياكل وموازناتها. لكن طبعًا غياب مجلس الإدارة هو المشكلة التى أواجهها حاليًا، فلا يجوز أن يكون هناك مجلس إدارة لإدارة عامة. كما أن المجلس كان بيت خبرة وسندًا علميًا يمنحنى الكثير من الدعم فى إدارة المكان، لذا رفعنا الأمر إلى السلطة المختصة، وفى انتظار الرأى القانونى.

جانب من حفل بساحة الهناجر

ديانات.. وشركات

كيف أوقعتنا الجماعات المتطرفة فى فخ الاقتصاد الإلهى؟

فى 24 فبراير 2022، دخلت أكثر من 3 آلاف دبابة قتالية روسية، برفقة عدة آلاف من القوات الإضافية فى الشاحنات والمركبات المدرعة الخفيفة، أوكرانيا، لقد كانت الحرب معركة للدفاع عن فكرة ما، ورغم أنها قومية فى الأساس وليست دينية، إلا أنها كانت مدعومة ببعض المدفعية الدينية الثقيلة.

ففى اليوم السابق لبدء الحرب، ألقى البطريرك كيريل، أسقف الكنيسة الأرثوذكسية الروسية، خطبة نارية داعمة للحرب، وعلى مدى الأشهر التالية، ضاعف كيريل خطابه الداعم لموقف الرئيس الروسى بوتين، وحث الجنود على القتال باعتباره واجبهم الوطنى، ووعدهم بأن «التضحية فى سبيل أداء واجبكم العسكرى تغسل كل الذنوب». وفى الأيام والأسابيع التالية، كان كهنة الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية الأوكرانية يستخدمون الصلاة والوعظ الكتابى لتقوية إرادة مواطنيهم فى المقاومة، ومن بين تدفق الدعم وعروض الإمدادات العسكرية والإنسانية، تم تصنيع عدة آلاف من المسابح، وتسليمها إلى أوكرانيا لرفع معنويات كل من اللاجئين المدنيين وجنود الخطوط الأمامية.

ومن المتعارف عليه أن الخطابة والمسابح ما هما إلا اثنتان من مجموعة هائلة من التقنيات الدينية المنتشرة عبر العصور، لتقوية عزيمة الشباب الذين يؤمرون بالقتال، فالحرب ليست سوى واحد من مسارح الإقناع الدينى المتعددة.

من ساحة المعركة إلى صناديق الاقتراع، ومن قاعة الاجتماعات إلى غرفة النوم، تتمتع الحركات الدينية بقوة هائلة فى العالم اليوم، لكن كيف وصلوا إلى هذه القوة؟، هذا ما يوضحه ويتناوله بالتحليل كتاب «الاقتصاد الإلهى: كيف تتنافس الأديان على الثروة والسلطة والناس»، للخبير الاقتصادى بول سيبرايت، وهو أستاذ اقتصاد بريطانى فى كلية تولوز للاقتصاد بفرنسا.

الكتاب الذى صدر عن مطبعة جامعة برينستون بالولايات المتحدة، يأتى فى 504 صفحات، وهو حائز على الميدالية البرونزية فى جوائز إكسيوم بيزنس بوك، وتم إدراجه فى القائمة الطويلة لجائزة فاينانشيال تايمز وشرودرز لكتاب الأعمال لهذا العام.

ميرفانا ماهر

1 عدسة اقتصادية

هل تصلح الأديان للتحليل الاقتصادى؟ سؤال يجيب عليه الكتاب ببساطة، فهو يصنف ضمن فئة اقتصاديات الدين، ويقدم تفسيرًا اقتصاديًا جديدًا للكيفية التى أصبحت بها الحركات الدينية قوية جدًا فى العالم الحديث، وتقاطع الدين والاقتصاد والسلوك البشرى.

الكتاب يتناول بالتحليل عدة أفكار، وهو مقسم إلى أربعة أجزاء، أولها عن الكيفية التى يبدو بها الدين فى العالم اليوم؛ ثم كيف تكتسب الأديان قوتها؟ وتليها فكرة استخدام هذه القوة، وأخيرًا، خاتمة.

وقام المؤلف فيه بتوثيق وجمع الأدلة التجريبية للتدين ورأس المال الاجتماعى والأثر الاقتصادى بدقة من عدد كبير من الدراسات من جميع أنحاء العالم، وركز الجزء الأخير من الكتاب على الاقتصاد السياسى للدين، وهو الموضوع الذى يستحوذ على اهتمام كثير من الأعمال الأخيرة للاقتصاديين.

والفكرة العامة التى يقوم عليها الكتاب هى أن الأديان بشكل عام تقدم منتجًا «مثل الخلاص»، ولديها شبكة من مقدمى الخدمة «كهنة، وأئمة، وما إلى ذلك»، ويستفيدون من شبكات التوزيع الجيدة.

فوفقًا لسيبرايت، ليست التجارة وحدها هى التى تنتقل عبر الطرق، فالأفكار والأمراض والأديان تنتقل أيضًا عبر طرق التجارة، فمثلًا سمحت الطرق الرومانية للمسيحية بالانتشار عبر أوروبا بسرعة لم يسبق لها مثيل.

ومع دراسة الأكاديميين لاقتصاديات التطرف، كان الاقتصاديون يصفون فترة الإصلاح بأنها «اللحظة التى تم فيها تفكيك مزود الاحتكار وهو «الكنيسة الكاثوليكية»، ما أدى إلى زيادة فى اختيار المستهلك «البروتستانتية»، لتبدأ مجموعة كبيرة ومتنوعة من الموردين فى تقديم خرائط الطريق إلى الجنة.

2 الاحتياجات الإنسانية

يبدأ الكتاب فى أكرا، عاصمة غانا، بقصة امرأة تبلغ من العمر ٢٤ عامًا، يسميها المؤلف جريس، والتى تكسب ١,٥٠ دولار يوميًا من بيع الماء المثلج للناس عند إشارات المرور، وهى تبلغ ١٠٪ من هذا الدخل، إلى جانب تبرعات أخرى، لكنيستها البروتستانتية، على الرغم من أن هذا يعنى أنها لا تستطيع دفع تكاليف بعض العلاجات الطبية لخالتها، التى تعيش معها فى منزل صغير فى أحد الأحياء الفقيرة.

يرى المؤلف أن جريس تأمل أن تلتقى فى الكنيسة بمرشح زوجى محترم، بعد أن تحصل على موافقة راعيها ومجتمع الكنيسة، وهذا أكثر بكثير مما يمكن أن يقدمه تطبيق المواعدة، حيث تشجع الكنيسة الزوج على «الحضور رصينًا، ببدلة نظيفة، صباح يوم الأحد، وسيراقبه الكثيرون لمعرفة ما إذا كان يعامل زوجته بشكل جيد».

هذه الشرعية للمنظمة الدينية تجعل القادة السياسيين يمنحون بعض السلطة لزعماء الدين، لأن الحركات والمؤسسات الدينية تكتسب قوتها بشكل مستقل من هذه الشرعية، وحسب الكاتب، تزدهر هذه الكيانات لأنها تبشر برسالة روحية مؤثرة بشكل خاص- وهى قصة تتحدث عن الاحتياجات الإنسانية المهمة، وبالتالى تنجح الأقوى منها فى تحريك سامعيها أكثر من غيرها.

لكن على النقيض، تختفى معظم الحركات الروحية التى تأسست دون أن تترك أثرًا، وهنا السؤال، ما الذى يجعل أفضل الرسائل الدينية مؤثرة جدًا وساحرة جدًا؟ هناك إجابة مفاجئة على هذا السؤال:

كاتب بريطانى: منذ 250 عامًا وحتى الآن كيف أصبحت الحركات والمنظمات الدينية فى العالم ساحرة جدًا؟

المنظمات الدينية تكتسب قوتها الهائلة من تلبية الاحتياجات الإنسانية المهمة

دراسة: المنظمات الدينية فى أمريكا حصلت على 378 مليار دولار فى 2016

إيرادات المنظمات الدينية فى أمريكا فى 2016 تمثل 60% من إيرادات صناعة الإعلام والترفيه

إنه الاقتصاد.

وفقًا لسيبرايت، ركز تاريخ الحركات الدينية بشكل كبير، ولسبب وجيه، على شخصيات مؤسسيها والشعر فى الرسائل التى ينقلونها، ومع ذلك، فى حين أن الحركات الدينية قد تعظ بالشعر، إلا أن عملها لكى يكون فعالًا، يجب أن يخدم بالنثر.

لكن ما هو النثر؟ يوضح الكاتب أن ذلك هو الأفعال التى تقوم بها المنظمات التى تشكل هذه الكيانات الدينية: الكنائس، والمساجد، والمدارس الدينية، والمعابد اليهودية، والمعابد، وجماعات الصلاة، والأضرحة، والأديرة، ودور الاجتماعات، والتى تنخرط فيما أسماه الاقتصادى ألفريد مارشال فى القرن التاسع عشر «الأعمال العادية للحياة».

حيث تقوم هذه المؤسسات بتجنيد وجمع الأموال وصرف الميزانيات وإدارة المبانى وتنظيم النقل وتحفيز الموظفين والمتطوعين وإيصال رسائلهم، وهم يدركون تمام الإدراك أنهم يتنافسون على الأموال، والولاء، والطاقة، والاهتمام مع المنظمات الدينية الأخرى، وكذلك مع المنافسين العلمانيين.

ويرى المؤلف أن الأبحاث التى أجراها علماء الأنثروبولوجيا وعلماء الاجتماع تشير إلى أننا «نكون أنفسنا أكثر عندما نعطى الآخرين أكثر من كوننا متلقين سلبيين لإحسانهم»، ولذلك فالمنظمات الدينية التى توفر لنا الفرصة لخدمة الآخرين هى الجذابة، وهذا بدوره يسهم فى بناء مجتمع يرتبط ببعضه البعض بإحساس مشترك بالهدف والمعنى.

ويضيف المؤلف أنه من دون الموارد الاقتصادية، فإن الرسائل الأكثر جمالًا فى الصياغة سوف تكافح من أجل الحصول على آذان صاغية فى نشاز الحياة، ولذا يرتدى القفاز المخملى للسحر قبضة حديدية للتنظيم.

ويرى الكاتب أن التنافس الدينى لا يعنى أن الدافع هو الجشع أو الربح أو أمر تحركه العاطفة أو المنفعة الشخصية، ولكن هو أمر يتعين القيام به من أجل السيطرة على الموارد الاقتصادية والبشرية اللازمة للبقاء والازدهار.

3 أعمال تجارية

ويشير سيبرايت إلى أن المنظمات الدينية يمكن أن تكون منصة مواعدة ناجحة أو توفر شبكات عمل جيدة على وجه التحديد، حيث يمكنها أن تعطى جميع الأنشطة معنى دينيًا.

ويقول المؤلف إن الحركات الدينية باختصار هى أعمال تجارية مثل معظم الشركات، فهى مجتمعات، ومهد للطموح والإحباط لمجنديها، ومسارح الإنجاز أو اليأس لأولئك الذين يستثمرون حياتهم فيها أو يدخرون داخلها.

وفى نفس الوقت هى شركات مشروعة، ويجب أن يتم فهمها من حيث هيكلها، والخدمات اللوجستية، وثقافة الشركة، وكذلك من حيث المهمة التى ورثتها من مؤسسيها، وهو الأمر الذى يفسر الديناميكية المستمرة للحركات الدينية فى العالم الحديث.

فهى حتى تكون ناجحة، يجب أن تكون نوعًا خاصًا من الأعمال أو منصات مثل فيسبوك وأمازون، وهذه المنصات هى منظمات تجمع الأفراد أو مجموعات المستخدمين معًا فى علاقات متبادلة المنفعة، وتعمل على تسهيل العلاقات التى لا يمكن أن تتشكل، أو لا يمكن أن تعمل بشكل فعال، فى غياب هذه الكيانات.

أو فى قول آخر حسب الكاتب، إنهم يبنون المجتمعات، وبالتالى تكافئ هذه المنصات أولئك الذين يقومون بإنشائها وإدارتها، من خلال الاستحواذ على بعض الفوائد التى تتيحها هذه العلاقات، سواء كان ذلك ماديًا «التعليم أو الصحة أو الخدمات المالية» أو روحانيًا «الصلوات والطقوس».

ويرى المؤلف أن الأعضاء المتدينين ليسوا مجرد مستهلكين للصالح الدينى، «إنهم أصول المنصة، ونشيطون فى توصيل هذه الفوائد لبعضهم البعض»، وهو ما يساعد فى تفسير السبب وراء كون الحركات الدينية الناجحة تستطيع بناء «منصات» كبيرة قوية للغاية وطويلة الأمد.

وقد تبدو هذه الأفكار غريبة بالنسبة للأشخاص الذين يرون أن الدين فى أمريكا الشمالية أو أوروبا الغربية فى حالة تراجع، ولكن يرى سيبرايت أن فى العالم ككل، تزدهر المجتمعات المسيحية بما لا يقل عن تلك الموجودة فى الإسلام والهندوسية والبوذية، ومجموعة من الحركات الدينية الأخرى القديمة والجديدة.

وهو ما يؤدى إلى منح رسائل العالم الآخر قوة خاصة فى تحريك الناس، ولكن يتشكل ذلك من خلال قيود دنيوية مثل المنافسة الاقتصادية، وهو نفس ما ذهب إليه الفيلسوف والاقتصادى الأسكتلندى آدم سميث فى القرن الثامن عشر.

بول سيبرايت

> دعوات إلى تقييد استخدام الحركات والمنظمات الدينية سلطتها ومعاملتها بطريقة أكثر واقعية

4 طريقة تسويقية

فى الوقت الذى كان فيه الاقتصاديون بطيئين فى دراسة الدين، منذ حوالى ٢٥٠ عامًا، لاحظ آدم سميث، فى كتابه «ثروة الأمم»، أن ثروة الكنائس كانت كبيرة، وتحدث عن كيفية ظهور هذه الثروة، ولاحظ أن إيرادات الكنائس «التبرعات» تدفقت وأفادت الكهنة، الذين قال إنهم فى بعض الأحيان لم يحركهم حب الله، بقدر ما يحركهم «الدافع القوى للمصلحة الذاتية».

فى هذا الزمن، كان اللاهوتيون فى كنيسة إنجلترا منشغلين بتزايد شعبية ما يسمى بالمنشقين الجدد، وخاصة الميثوديين، وهى طائفة مسيحية بروتستانتية ظهرت فى القرن الثامن عشر فى المملكة المتحدة على يد جون ويزلى، وانتشرت فى بريطانيا، ولاحقًا من خلال الأنشطة التبشيرية فى المستعمرات البريطانية حتى الولايات المتحدة الأمريكية.

واتهم الدعاة الميثوديين بـ«سحر» مستمعيهم، وجعل «الناس يصابون بالجنون»، وإقناعهم بأن قساوسة الكنيسة المؤسسة كانوا «مرشدين عميانًا وأنبياء كذبة»، وبالنسبة لسميث، ما كان يحدث هو المنافسة لجذب الجمهور.

حيث كان يعتقد أن السبب وراء نجاح الميثوديين فى ذلك هو أن لديهم حوافز أقوى، كما كتب فى كتابه «ثروة الأمم»، واجه الميثوديون مجموعة مختلفة من المكافآت الاقتصادية، بغض النظر عن مدى جودة وعظهم، مقارنة بقساوسة كنيسة إنجلترا.

كان سميث حينها مهتمًا بكيفية تأثير الحوافز الاقتصادية ليس فقط على جودة الرسالة التى تقدمها الكنائس، بل أيضًا على محتوى الرسالة، وكان هذا حرفيًا مسألة حياة أو موت.

ويرى الكاتب أن الناس لا ينضمون إلى الحركات والمنظمات الدينية بسبب اللاهوت، فالواعظ الذى يتمتع بشخصية جذابة، يمكن أن يكون عامل جذب، فالقصة كلها طريقة تسويقية خاصة فى عصر العلم، فليس بالضرورة ما يقوله ذلك الواعظ، بقدر ما يتعلق بالطريقة التى يستخدمها.

حيث يعد سرد القصص الجيدة أمرًا حيويًا، فالنصوص المقدسة لأديان العالم تعالج دائمًا المشكلات الكبيرة التى يواجهها البشر.

بالنسبة لسيبرايت، ما يشكل جزءًا حاسمًا فى الانجذاب نحو الحركات الدينية هو الاستعداد لسرد قصص عظيمة وطموحة، وهذا السرد الجيد يتكون من مكونين، الأول أنه يتوافق مع مفاهيم «السببية المنطقية»، وهو خط واضح بين «السبب» و«النتيجة» الذى يبدو منطقيًا تمامًا للمستمع.

والثانى أنها تحتوى على ما يصفه الكاتب بـ«عناصر غير بديهية»، أجزاء من القصة تبدو غير عادية أو غير قابلة للتصديق إلى حد كبير أو من غير المحتمل حدوثها فى الحياة اليومية.

ففى ذلك الوقت، كانت أوروبا لا تزال تحمل ندوب الحروب الدينية العنيفة التى هزت القارة لأكثر من قرن من الزمان، وكانت هناك انفجارات دورية للعنف الذى يغذيه الدين، فضلًا عن القمع المستمر للأقليات الدينية مثل البروتستانت الهوغونوتيين فى فرنسا.

وكان سميث قد بدأ كتابه «ثروة الأمم» فى عام ١٧٦٤، أثناء زيارة طويلة لمدينة تولوز فى جنوب غرب فرنسا، والتى كانت قد تعرضت للدمار خلال العامين الماضيين، بسبب الاتهامات المتبادلة بشأن تعذيب وإعدام جان كالاس، وهو بروتستانتى، بتهمة كاذبة بقتل ابنه.

وكتب سميث أنه سواء كانت الأديان تبشر برسالة متسامحة أو غير متسامحة، فإن الأمر لم يكن نتيجة لبعض الصفات المتأصلة فى الدين، بل نتيجة للحوافز التى يوجهها الزعماء الدينيون.

ومثل ما يحدث فى مجالات الحياة العادية والاقتصاد، فبالنسبة لسميث فإن المنافسة أمر جيد والاحتكار أمر سيئ، ولذلك عندما تتنافس العديد من الأديان على قدم المساواة، فإنها تبشر برسالة أكثر خيرًا.

ويرى الكاتب أن النهج الاقتصادى للحركات الدينية يحتوى على الكثير من المواد الخام التى يمكن العمل عليها، ولذا فهى تحتاج إلى جذب «العملاء»، بعد أنها توفر «السلع» المختلفة، وتتنافس مع بعضها البعض.

وحسب المؤلف، فإن سميث كان يشير إلى التنافس بين الحركات التى تتمتع بحرية صياغة رسائلها الخاصة، بما فى ذلك الكنائس البروتستانتية المتنافسة فى نفس المدينة، حيث إنه كلما كان عدد الحركات الدينية فى المجتمع قليلًا جدًا، فإن قادتهم سيكونون قادرين على التبشير بالعنف والشقاق، خاصة إذا منح الزعماء السياسيون الحماية لبعضهم على حساب الآخر.

فلماذا يريد القادة السياسيون القيام بذلك؟ اعتقد سميث أنهم قد يوفرون الحماية لبعض الحركات الدينية، وتتم حمايتها من المنافسة، وذلك مقابل إضفاء الشرعية على القادة السياسيين للدولة من قبل الزعماء الأيديولوجيين للدين.

لقد طور سميث نظرية لدورة الحياة الطبيعية للحركات الدينية، ستكون الحركات الجديدة نشطة وديناميكية، وستجذب الحركات الناجحة حسد القادة السياسيين، الذين سيقدمون لهم الامتيازات، فالقادة السياسيون لا يحبون شيئًا أفضل من أن يكون هناك كهنة، أو قساوسة، أو حاخامات، أو أئمة، يعظون نيابة عنهم.

ولكن سميث حذر من أن هذه الحماية من شأنها أن تضعف الحوافز التى تدفع الزعماء الدينيين إلى الاستماع إلى أتباعهم، وبالتالى يصبحون فى نهاية المطاف غير قادرين على المنافسة بفاعلية ضد الحركات الدينية الأحدث التى تتحداهم.

ومن وجهة نظر سميث، تستجيب تعاليم الزعماء الدينيين للظروف الاقتصادية والسياسية، ولذا فلم يكن هناك أى فائدة من حث الكنائس على تغيير أى رسالة معينة، إذا كانت تلك هى الرسالة التى من مصلحتهم إيصالها.

ويرى الكاتب أنه رغم مرور قرنين ونصف القرن على أشهر أعمال آدم سميث «ثروة الأمم»، وتغير مجتمعاتنا بشكل كبير، إلا أن طريقة تفكيره حول مشاكل عصره تظل وثيقة الصلة بالموضوع بشكل مدهش حتى الآن.

5 عرض وطلب

ويدلل سيبرايت بالأرقام على أن الحركات والمنظمات الدينية اليوم هى عمل تجارى كبير، فقد قدرت دراسة نشرت فى عام ٢٠١٦ أن المنظمات الدينية فى الولايات المتحدة حصلت على إيرادات تعادل ٣٧٨ مليار دولار.

وهو ما يعتبره المؤلف تدفقًا هائلًا للموارد أكبر من الإيرادات فى نفس العام لشركتى أبل ومايكروسوفت مجتمعتين، وأكثر من ٢٪ من إجمالى الدخل الشخصى فى الولايات المتحدة فى ذلك العام، مشيرًا إلى أنها تمثل ٦٠٪ من إيرادات صناعات الإعلام والترفيه، وهذا لا يشمل حتى الوقت والطاقة والمساهمات العينية التى يقدمها أعضاء المنظمات الدينية.

ويشير الكاتب إلى أنه من المستحيل الحصول على أرقام دولية قابلة للمقارنة، لكن هناك العديد من الدول ذات الأغلبية المسيحية التى تتمتع بحضور قوى للخمسينية، وهى حركة دينية بروتستانتية ظهرت فى الولايات المتحدة الأمريكية فى أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين.

وذلك خاصة فى إفريقيا مثل دول غانا ونيجيريا وكينيا وزيمبابوى وجنوب إفريقيا، وأمريكا اللاتينية مثل البرازيل وجواتيمالا والسلفادور وهندوراس، حيث من المرجح أن تكون إيرادات المنظمات الدينية مماثلة بالنسبة لحجم اقتصاداتها.

ويؤكد المؤلف أن هذا القرن لن يشهد اختفاء الحركات والمنظمات الدينية، لأن هذه المجتمعات الدينية سوف تستمر فى تلبية الاحتياجات الإنسانية الحقيقية على نحو أكثر فاعلية من أغلب البدائل المتاحة.

فهذه الحركات الشبيهة بمنصات الأعمال، والتى تم بناؤها فى المجتمعات المسيحية والإسلامية، تساعد أفرادها على التغلب على تحديات العالم الحديث، مع تزايد الهجرة من الريف إلى المدينة، وتفكك الروابط الأسرية، ومخاطر المرض والبطالة والعمالة، وأيضًا الوحدة التى لم تعد المؤسسات التقليدية للأسرة والقرية والدين الشعبى قادرة على حمايتهم منها.

وبالتالى فأنجح الرسائل الدينية وأدومها يمكن فهمه فى ضوء العرض والطلب والمصلحة الذاتية، وهو ما يحول الإيمان، وهو مسألة روحية إلى شىء مادى، لكنه فى الوقت نفسه يفسر سر استمرار قوة هذه الحركات، فى عالم أصبح علمانيًا بشكل كبير.

هذا بالإضافة إلى المصالح السياسية القوية التى سوف تستمر فى التلاعب بالدين لإرسال الجنود إلى ساحة المعركة، والناخبين إلى صناديق الاقتراع، وسوف يظل بعض المواطنين مخمورين بالدعوة.

ولذا يدعو الكاتب إلى تقييد استخدام الحركات الدينية لسلطتها عما حدث فى الماضى، فهو مشروع يجب أن يوحد كل الأشخاص العقلاء من أى دين أو الذين لا دين لهم، فهذه الحركات تتمتع بالامتيازات، وينبغى لها أن تعترف بالتزاماتها، فلقد حان الوقت لمعاملتهم بطريقة أكثر واقعية وإلحاحًا، وليس بتقديس.

فهم وفقًا لسيبرايت، يعملون بطريقة مماثلة للمنظمات الأخرى، ما يجعلهم عرضة للفساد وسوء الاستخدام، ولذلك يجب أن يكونوا مسئولين بنفس القدر، خاصة مع التحديات والتشابكات الدائمة فى العلاقة بين الدين والدولة.

إن الباعة المتجولين المتدينين، مهما كان مظهرهم، يتاجرون بالنصوص المقدسة مثل الكتاب المقدس، والقرآن، والتلمود، والاقتصاد هو «المفتاح» والمحرك المركزى فى الوجود الإنسانى دائمًا.

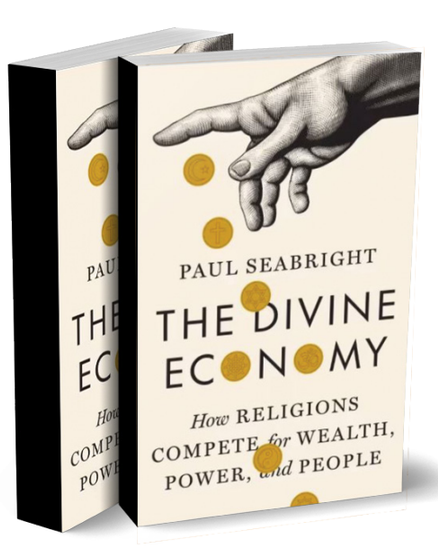

سيبرايت: من دون الأموال سوف تكافح الرسائل الأكثر جمالًا للحصول على آذان صاغية فى نشاز الحياة

تسويق القصص العظيمة السبب الرئيسى لانجذاب الناس نحو المنظمات الدينية

الجزائرى أحمد طيباوى: التفاؤل بأحوالنا كعرب «تخدير» أو «تنويم»

الروائى الجزائرى أحمد طيباوى حكّاء ماهر، فهو ينظر إلى الواقع المعاش بتفاصيله العادية والدقيقة بنظرة فاحصة، ويعيد تشكيل كل ما تراه عيناه بشكل درامى وفلسفى وجمالى فى صورة أعمال روائية بديعة.

وفى روايته الأحدث «الحب عربة مهترئة» يحلل «طيباوى» فكرة الاختيارات الإنسانية، بشكل يجعل القارئ يقيس ما طرحه على اختياراته وقراراته وخطواته فى الحياة، فيعيد تقييم ما فعله ويعيد توجيه ذاته وحياته.

عن روايته الجديدة، ورؤيته عن الهوية، وأثر «العشرية السوداء» فى أعماله، والمشهد الأدبى فى الجزائر، أجرت «حرف» الحوار التالى مع أحمد طيباوى.

نضال ممدوح

■ **قلت إن «الحب عربة مهترئة» رواية لجيل الاختيارات المحدودة. هلّا أوضحت لنا الأمر أكثر بدءًا من فكرة الرواية وعنوانها وما قصدته من هذا الوصف؟**

– نحن جيل الاختيار الوحيد المتاح، هذه عبارة وردت على لسان البطل فى الرواية، ليس حكمًا قطعيًا نتفق عليه جميعًا على كل حال، فالسياقات تحكم نظرتنا. حاولت فى هذه الرواية جعل فكرة الحتمية التى قد تكون مزيفة، وحالة من العجز والقصور وضعنا أنفسنا بداخلها، قابلة للنقاش، إذ يحاول بطل روايتى فى ظرف صحى صعب يمر به أن يستعيد حياته السابقة- بشىء من الأسى والحنين- ويفكر بناء على ما مضى أن القادم منها ليس بالضرورة أن يكون امتدادًا لما سبق وعلى منواله.. الأقرباء، أصدقاء العمل، الأشياء المواقف.. عمل على مراجعة ذلك كله. ويتوقع سيناريوهات قادمة يمكن أن يسير مستقبله وفقها.

هو نص يتعلق بإعادة التفكير الشامل فى الذات وفى الآخرين من حولنا، وفى الاختيارات التى اتخذناها ونحن نغالط قلوبنا وعقولنا أنه لم يكن أمامنا غيرها، حتمية مصطنعة تعفينا من عناء التفكير الطويل وخوض تجارب الحياة كاملة، فلا نكون مكبّلين بالخوف، ولنعيش الحب- لا أوهامه- بطريقة تجعل لوجودنا جمالًا ومعنى.

■ **البطل يستعيد حياته السابقة واختياراته وكل ما مر به إثر تجربة المرض.. هل كان للمرض تأثير فى هذه المراجعة؟ وهل كانت المراجعة حتمية ما لم يخض تجربة المرض؟**

– يفترض أن الإنسان يتعلم من المحن التى تمر عليه، يزداد قناعة وإيمانًا بالسبيل التى اختارها، أو تكون ضاغطة حد أن يفهم أو يصل لمستوى من النضج بفعلها يقوده لاختيارات أفضل. والأفضل هنا نسبى جدًا.. هذه حال بطل روايتى. هى باختصار رواية حاولت فيها التجريب فى الشكل والمضمون، عن فكرة الحتمية، عن جدوى التأمل ومراجعة الذات حول العواطف المجانية التى يمنحها البعض للآخرين فتعود عليهم بالوبال، والأقدار التى تصنع مصائرنا.

■ **هل لأبطال روايتك ظل فى الواقع؟ وإلى أى مدى يستمد الكاتب إبداعه من الواقع ومن الخيال؟**

– السرد كما أفهمه إعادة إنتاج للواقع جزئيًا أو بشكل كلى، بعيدًا عن التسجيل والنقل المباشر. للخيال دوره فى عملية إعادة إنتاج أو تشكيل الحياة من جديد فى النصوص وعبر الحكى، وكذلك للأثر النفسى للتجارب التى عاشها الكاتب أو عايشها آخرون وسمعوا عنها.. إن تجارب الواقع والقراءة تشكلان ما يصنع إطارًا للروائى، أقصد هنا تحديدًا الرؤية، رؤيته للحياة وللبشر وللأشياء وللمكان وللزمان والمشاعر وللأفكار والسلوك.. أى عناصر الرواية كافة.

إلى أى مدى أثرت العشرية السوداء على الأدب الجزائرى بشكل عام وعلى ما كتبته أنت فى رواياتك؟

ـ أثرت لدرجة كبيرة، وتقريبًا ما من كاتب إلا وعالج أو تطرق لتلك الفترة العصيبة فى كتاباته، وظهر عندنا ما نسميه أدب الأزمة ـ رغم أن ما وقع ليس أقل من محنة أو مأساة مفجعة ـ بعضه أدب استعجالى وبعضه الآخر أكثر عمقًا وتبصرًا. بالنسبة لى، نعم تطرقت إليها فى أكثر من رواية، خاصة للآثار النفسية والاجتماعية لما بعد الأزمة، مثل «المقام العالى، وموت ناعم»، وحاولت فى كل مرة أن أقاربها بطريقة مغايرة، عند جيل أو فئة مختلفة. لم تكن فترة أليمة من تاريخ مجتمعنا وبلدنا مضت كأنها جرح عابر والسلام. لقد كنت دون العشرين، وأنا أعيش وأسمع أخبار تلك الأيام الرهيبة وشديدة الوطأة، بعد مرور فترات مماثلة، قد تكون الكتابة تشريحًا، إعادة إنتاج لتجارب المعاناة التى أثرت فينا وتخرج إلى العلن فى الخطاب وأشكال الإبداع، أو عودة لإخراج مخزون الحزن والفجيعة الذى هربنا منه أو لم نعشه كما يجب لنتخلص منه لاحقًا.

طيباوى يوقع أحد أعماله

■ **كيف طورت الشخصيات فى الرواية خصوصًا فيما يتعلق بصراعاتهم الداخلية والخارجية؟ وهل هناك شخصية معينة تجد نفسك مرتبطًا بها بشكل خاص؟ ولماذا؟**

– نعم يوجد صراع بين الفرد وذاته، وبين الشخصيات فى المتن، غير أن ذلك مما يترك للقارئ الكريم أن يكتشفه بنفسه وليس من شأن الكاتب أن يفصل فيه. بالنسبة للشق الثانى من سؤالك وهو الأهم برأيى، فالإجابة نعم، يحتاج الروائى للتفاعل مع شخصياته، إذ يتماهى معها أحيانًا ويحاسبها ويكشفها فى أحيان أخرى، بعد الانتهاء من كتابة الرواية تبقى هذه الشخصية أو تلك عالقة فى أذهاننا مدة، وفى داخلنا بعض الترسبات والشوائب منها، من رواية لأخرى، ونكون قادرين أكثر على وضع المسافات، التجاوز لشخصياتنا السردية، نعدم أو نهدم النماذج التى قمنا ببنائها ليتاح لنا نحت أخرى. فى النهاية، داخل الروايات الكثير من الشخصيات فيها ذات الكاتب موزعة أو مبعثرة بينها، وفى نفس الكاتب الكثير من شخصياته السردية.

■ **إلى أى مدى تعكس أعمالك السردية مشهد المجتمع الجزائرى؟**

– أنا أكتب باسمى ووفق ما أراه، يمكنك القول إن أعمالى تعكس بعضًا من المجتمع كما أراه أنا.. والذاتية والتحيز لا بد حاضران مهما وضعت مسافات بينى وبين شخصياتى، وهو أمر أحرص عليه دائمًا، لكن هذا من طبيعة الأدب والفن.

■ **من أول أعمالك الإبداعية وصولًا لأحدثها.. ما الذى اكتسبته فى تقنيات الكتابة السردية؟ وكيف طورتها؟ وما أبرز التحديات التى واجهتها خلال هذه الرحلة؟**

– يتعلم الروائى بالممارسة، بالكتابة والمحو، بالقراءة لتوسيع رؤيته.. الرهان دائمًا ليس حول ما يجب قوله، بل بكيف تقول ما تريد أن تقوله، وبما تتضمنه روايات كاتب ما من محمولات إنسانية وفكرية. من جانب الأفكار والجانب الفنى، تمر السنوات، وتدرك كم تغيرت عما كنت عليه فى بداية مشوارك. على أن شيئًا واحدًا يجب أن يرافقك من البداية حتى النهاية، ذلك الخوف والترقب وأنت تنكب على الكتابة فى كل مرة. عندما أكتب، أحب أن أتعلم المشى فى طرق مختلفة، التشابهات مع ما سبق أو مع الآخرين موجودة دائمًا، لكن أحاول أن أشبه نفسى أكثر. الكتابة بحد ذاتها تحدٍ، إذ تبنى عالمًا موازيًا فى كل رواية، تصنعه من مادة الخيال وخلاصة التجارب وثمار القراءة والتأمل.

■ **فزت بجائزة نجيب محفوظ عن روايتك «السيد لا أحد».. ما الذى تعنيه لك هذه الجائزة تحديدًا والجوائز الأدبية بشكل عام؟**

– الجوائز ليست بدعة فى الأدب، فهى موجودة فى كل المجالات تقريبًا، العلوم والرياضة والفنون والمسرح وغيرها، وأعتبرها مفيدة للفت الانتباه ومنح الاستحقاق للكاتب رغم بعض مشاكلها والحساسيات التى تثيرها أحيانًا. على الصعيد الشخصى أسعدتنى جائزة نجيب محفوظ للأدب كثيرًا، فهى تحمل اسم كاتب عظيم، وأعطتنى دفعًا قويًا وثقة إيجابية فيما أكتبه، وفى المقابل إحساسًا بالمسئولية. ما يجدر بالكاتب أن يسعى إليه هو أن يكتب روايات تحترم عقل القارئ وذائقته، وتكون مساحة تقاطع بينى وبين آخرين، تحقق لهم المتعة والإقناع.

■ **ماذا قرأت من الأدب المصرى؟ ولمن؟**

– سأذكر لك آخر ما قرأت مما كُتب فى مصر: رواية لمحمد المنسى قنديل عنوانها «يوم غائم فى البر الغربى»، وأخرى لعادل أسعد الميرى أحسبها أقرب لسيرة ذاتية وكانت بعنوان «كل أحذيتى الضيقة».. وهما روايتان فائقتا المتعة والإبداع. وقبلهما قرأت لكثيرين، فى الأدب وفى غير الأدب، مثل التاريخ والاجتماع والسيرة الذاتية وكذا فى الاقتصاد، لأن تخصصى فى إدارة الأعمال. والقائمة طويلة تضم: نجيب محفوظ، وطه حسين، وأحمد أمين، والمازنى، ويوسف إدريس وغيرهم كثيرون.

■ **ضعنا معك فى صورة المشهد الأدبى الجزائرى.**

– يمكننى أن أتحدث عن الرواية، إذ لدينا سهولة نسبية فى النشر، مع ملاحظة أن الكم غالب على الكيف. توجد أقلام جيدة ونصوص تصدر جديرة بالقراءة والاحتفاء، وبعضها أثبت نفسه حتى عربيًا وتجاوز كونه محليًا وحسب. يواجه البعض ضعف صناعة النشر رغم التهافت الكبير على ممارستها بالتعاون مع ناشرين عرب، أو اللجوء للنشر المشترك بين دار عربية وأخرى جزائرية لضمان توفر الرواية.

والجزائر مثلها مثل باقى البلاد العربية، ليست الرواية رافدًا كبيرًا للوعى العام، عدد النسخ التى تُقرأ مهما بلغت تبقى محدودة، والتأثير الأكبر له مصادر أخرى.. مثل وسائط التواصل الاجتماعى، ومنصات المحتوى، والدراما، وغيرها.

■ **ذكرت أن فضاءنا العربى مأزوم فى أغلب توجهاته الاجتماعية والثقافية.. هلّا وضحت الأمر أكثر؟**

– أضيف التوجهات السياسية خاصة.. عطفًا على إجابتى عن أول سؤال وجهته لى فيما يخص جيل الاختيارات المحدودة، نحن فى مواجهة الجدار مباشرة.. لا أدعو لبث التشاؤم، لكن التأمل الموضوعى الشامل والعميق لأحوالنا كعرب لا يمكن أن نخرج منه بنتائج سارّة.

التفاؤل فى مثل حالتنا هذه الأيام تخدير أو تنويم.. تتعاظم الأزمات ويتعمق الضعف وندفع جراء ذلك أثمانًا أكثر فداحة. إذ لا أنظمة ديمقراطية حقيقية «المجالس المنتخبة مجرد واجهات أو ديكور، القرارات المهمة تُتخذ فى الغرف المظلمة، لا اقتصادات مزدهرة تعد بالرفاه وتكافؤ الفرص، وهناك الغلاء والبطالة والديون، لا إشعاع ثقافيًا، ولا فنون أو آداب نواجه بها العولمة، لا مهابة بين الدول كما يحدث هذه الأيام، لا توافق أدنى حول الدين والمذاهب. فمن أين يأتى التفاؤل إلا إذا كان عن بلادة أو انعدام الحس بالمسئولية؟

■ **صدرت لك ست روايات مقابل مجموعة قصصية واحدة.. أيعكس هذا انحيازًا للرواية وزمنها؟**

– ليس بالضرورة أن يكون ذلك انحيازًا لزمن الرواية، إذ لكل فن أدبى حضوره وقيمته ومتلقوه. أعتقد أن الأمر يتعلق باختيارات إبداعية محضة، وأنا بدأت بكتابة الرواية فى الأصل.

ربما يكون لدىّ قصص أخرى، لا أعلم. أجد فى الرواية ذلك الشمول الذى أبحث عنه، الصورة الكاملة أو المسار العام والتشابك بين البشر والزمان والمكان، بينما متعة القصة فى قنص اللحظة وتشكيلها سرديًا وفى التكثيف الفنى.

■ **بمَ تفسر ظاهرة انتشار الروايات التاريخية والإقبال عليها؟ وهل للجوائز دور فى دعمها خاصة أن العديد من هذه الروايات هى الأكثر حصدًا للجوائز؟**

– ليس لدىّ تفسير خاص للأمر، ربما تكون اختيارات حرة تبناها البعض كتيمات لرواياتهم لصناعة التفرد أو البحث عن مساحات جديدة، بعد تشبع المدونة السردية العربية من الروايات الواقعية أو ذات اللغة الشعرية، كما قد تكون هروبًا أو خوفًا من مواجهة الواقع السياسى والاجتماعى والثقافى مما يجبر الروائى على التصريح برأيه على لسان شخصياته وهو يذهب للتاريخى ويزعم أن القارئ بإمكانه أن يجرى إسقاطًا على أحوال الحاضر. لا أتهم ولا أدين أحدًا، هذه مجرد تأويلات يتم تداولها فى الوسط الأدبى، وفى النهاية كل روائى حر إذا اختار التركيز على التاريخ فى كتاباته. يحتاج الأمر إلى تفكيك الماضى وإعادة استحضاره على نحو مختلف بما يخدم الغرض.. النجاح غير مضمون، كل كتابة هى تحدٍ بالأساس.

■ **طرحت فى روايتك «باب الوادى» سؤال الهوية.. أى هوية تعنى؟**

– الهوية ليست معطى جاهزًا أو ثابتًا، وأنا عندما أعالجها فى روايتى فأنا أقاربها- مقاربة- فى تحولاتها، تحولات المجتمع واتجاهاته المختلفة، وأحاول أن أرصد الذات الفردية والجماعية، باتخاذ نماذج منتقاة تعبر عما أراه وأريد قوله.

والهوية ليست قضية ثابتة ومتجاوزة، أو محسومة بتحديد دستورى أو قانونى شرعته أغلبية شعبية أو توافق نخب. هناك دائمًا أبعاد فلسفية وفكرية واجتماعية ونفسية، لها مظاهرها وأشكالها فى الواقع لمن يريد أن يرى لدى الفئات المكونة لأى مجتمع. لن يتوقف الإنسان أبدًا عن التساؤل والبحث ومحاولة الفهم لهويته، وجدير بالقول إن ذلك علامة صحية تعبر عن انتمائه لمجتمع حى، حيوى، واعٍ بتحولاته.

تتعاظم أزماتنا كعرب ويتعمق الضعف وندفع جراء ذلك أثمانًا فادحة

الروائى يتعلم بالممارسة وبالكتابة والمحو وبالقراءة لتوسيع رؤيته

الكتابة تحدٍ لأنها تبنى عالمًا موازيًا تصنعه من الخيال وخلاصة التجارب

الجوائز مفيدة للفت الانتباه ومنح الاستحقاق رغم بعض مشاكلها وحساسياتها

أصدرت الدكتورة ريم بسيونى روايتها الجديدة «الغواص.. أبوحامد الغزالى»، عن دار «نهضة مصر للنشر والتوزيع»، والتى تعتبر روايتها الأولى منذ فوزها بجائزة الشيخ زايد للكتاب، عن روايتها السابقة «الحلوانى.. ثلاثية الفاطميين».

فى روايتها الجديدة، تتبع الروائية المشهورة بالأعمال التاريخية خطى حجة الإسلام أبى حامد الغزالى، العالم الجليل فى الفلسفة والفقه الشافعى وعلم الكلام والتصوف والمنطق، والكثير من العلوم الأخرى التى تميز فيها وجعلته يستحق عن جدارة ألقابًا من عينة «حجة الإسلام» و«مفتى الأمة».

عن رحلة البحث فى حياة الإمام أبى حامد الغزالى طوال 6 سنوات كاملة، وما تضمنته من قراءة كل كتب الإمام، إلى جانب رؤيتها الخاصة لهذه الشخصية التى تصفها بـ«العبقرية جدًا»، وإذا ما كانت الكتابة عنها تأتى ضمن مشروع كامل للكتابة عن الصوفية وأهلها، يدور حوار «حرف» الآتى مع الدكتورة ريم بسيونى.

إيهاب مصطفى

المسافرة عبر الزمن

ريم بسيونى: قرأت كل أعمال أبى حامد الغزالى لكتابة «الغواص»

■ كتبتِ عن شخصيات تاريخية عديدة فى رواياتك من بينها المرسى أبوالعباس وأبوالحسن الشاذلى.. ما المختلف فى الكتابة عن أبوحامد الغزالى فى روايتك الجديدة «الغواص»؟

– كنت خائفة وأنا أكتب عن المرسى أبوالعباس فى رواية «ماريو وأبوالعباس»، لأنه أحد أولياء الإسكندرية، والناس تحترمه جدًا، وكنت أريد أن أبين تدرجه فى الصفاء النفسى، وقلت إن القارئ سيشعر بصدق الكتابة، فكتبت ما أراه، وهى كتابة جاءت بعد قراءات طويلة جدًا، إلى جانب وجود أبوالحسن الشاذلى فى نفس الرواية، وهما شخصيتان مهمتان جدًا فى التاريخ.

بعد هذا جاء أبوحامد الغزالى، الذى درسته لمدة طويلة جدًا، وهذه الدراسة جعلتنى أشعر به كإنسان إلى حد كبير. ولم تكن لدىّ رهبة فى الكتابة عنه على الإطلاق، لكن الرهبة كانت فى كيفية الكتابة، لأنه شخصية عبقرية جدًا، ما ولد أمامى تحدٍّ خاص، وهو أن أكتب عنه كلامًا عبقريًا بطريقة سهلة يفهمها القارئ.

هذه كانت مشكلتى الأساسية فى الكتابة عن أبى حامد الغزالى، والتى مثلت أكبر تحدٍّ لى، لم أخشَ الكتابة عنه، ولكن الرهبة لدىّ كانت نابعة من رغبتى فى إعطاء هذا الرجل حقه، وأجعل القارئ يتعرف على هذه الشخصية العبقرية، والتى لا يجود الزمان بمثلها إلا كل ١٠٠٠ عام، ما جعلنى أتساءل: كيف سأكتب ما يجعل القارئ يفهم هذه الشخصية؟

■ ما أهم الاكتشافات التى توصلتِ إليها فى بحثك عن الإمام أبى حامد الغزالى؟

– هناك الكثير من الاكتشافات، التى لا أود الحديث عنها حتى لا «تُحرق» أمام القارئ الذى سيقرأ الرواية. لكن القارئ سيكتشف أن الكثير من الكلام الموجود على الإنترنت حول حياة الإمام أبى حامد الغزالى، وحتى ما كتبه بعض المؤرخين العرب، فيه الكثير من الأخطاء.

نحن نحتاج بالفعل إلى إعادة قراءة سيرة هذا الرجل، والتى أرى أن المشكلة الأساسية فيها هى أن رسائله الخاصة كانت مكتوبة باللغة الفارسية، وهى الرسائل التى لم يجدها المؤرخون العرب لمدة طويلة، حتى تُرجمت فى القرن العشرين.

تخيل حتى منتصف القرن العشرين لم تكن هذه الرسائل مُتاحة، وهى التى كتبها «الغزالى» بنفسه. لذا بالتأكيد فات المؤرخيون جزءًا كبيرًا من حياته، ومن ثم تأتى هذه الرواية لتمنح القارئ نظرة مغايرة عن الإمام، وأحاول فيها أن تكون صادقة ومختلفة عما سيجده على الإنترنت عن حياة الرجل.

البحث الذى أجريته حول الإمام كان طويلًا جدًا، وبسبب وجود هذه الرسائل، قرأت معظم ما كتبه «الغزالى». كل كتاب كنت أقرأه أكثر من مرة، ثم ألخص أهم ما جاء فيه. هذا إلى جانب البحث داخل العديد من الكتب الأخرى عن حياته وشخصيته.

■ هل يمكن اعتبار تأليفه ٩ كتب فى عام واحد من هذه الاكتشافات العبقرية؟

– نعم، أبوحامد الغزالى كتب ٨ كتب فى عام واحد. بل إن البعض يقول ٩ كتب. هذا شىء غير طبيعى، ويعكس كيف كان عبقريًا بشكل لا يوصف. فكتابة هذا العدد من الكتب فى عام واحد طفرة كبيرة. وبعض المؤرخين الأجانب يقولون إنه أُصيب بإرهاق نفسى واكتئاب وانهيار من كمية البحث والكتابة. لا أن أحرق أحداث الرواية، وأكتفى هنا بالإشارة إلى أن عام تأليفه هذا العدد الكبير من الكتب كان العام الذى أصيب فيه أبوحامد الغزالى بالاكتئاب والانهيار.

■ كانت فترة الإمام الغزالى مليئة بالفتن، خاصة مع وجود جماعات فتنت المسلمين مثل «الحشاشين» وغيرها.. كيف ترين هذه الفترة من واقع بحثك؟

– فترة أبوحامد الغزالى مثلت تحديًا كبيرًا فى تاريخ الأمة الإسلامية، فى ظل وجود حرب أهلية طاحنة، فوجود «الباطنية» لم يكن المشكلة الحقيقية الموجودة آنذاك، بل صعوبة الأمر كانت فى الحرب الأهلية الدائرة بين «السلاجقة» أنفسهم، بالتزامن مع وجود تعصب شديد جدًا بين المذاهب السنية نفسها.

كانت هناك حرب بين «المعتزلة» و«الأشعرية»، والمذهبين الحنفى والشافعى، تعصب شديد جدًا، أدى إلى وجود خلافات بين الفقهاء، تكاد تصل إلى الشتائم والتكفير فى بعض الأحيان، وفق ما ذكره «الغزالى» نفسه فى كتبه. وبالتالى، كانت هذه الفترة فترة تحدٍّ شديدة.

وصل الأمر إلى إلحاد البعض ممن رأوا قسوة شديدة فى حياتهم تلك، فراحوا يتساءلون عن جدوى الحياة نفسها، وهل هناك حياة بعد الموت أم لا، وغيرها من التحديات والفتن القوية المتعددة، والتى واجهها «الغزالى» بكل قوة، حتى أنه اعتبر نفسه «منقذ العالم»، كان يرى أنه يلعب هذا الدور بشكل دائم، لذا تجد أن كل كُتبه كانت تدور حول فكرة: ما الذى ينبغى فعله حتى ننقذ العالم؟

■ المرسى أبوالعباس وأبوالحسن الشاذلى والآن أبوحامد الغزالى.. هل يمكن القول إنكِ تسعين إلى مشروع كتابى خاص بأهل الصوفية؟

– مشروعى الأساسى هو الإنسان، التعبير عن النفس البشرية، لكن هناك بعض الشخصيات منحت الكثير من النور للناس، نشرت المحبة والإخلاص فى العالم، وتغلبت على كل هوى النفس، وأرى ضرورة أن نعرفها ونقترب إليها، خاصة فى وقتنا الحاضر.

يأتى على رأس هذه الشخصيات الإمام أبوحامد الغزالى، الذى سبق أن ذكرته أيضًا فى بحث خاص لى معنون بـ«البحث عن السعادة- رحلة فى فكره الصوفى وتاريخ اللغة»، ثم وظفتها بعد ذلك فى رواية «ماريو وأبوالعباس»، وصولًا إلى رواية «الغواص.. أبوحامد الغزالى».

■ من واقع القراءة عن أبى حامد الغزالى لسنوات طويلة.. كيف تناول المؤرخون حياة هذا العبقرى؟

– تناول المؤرخين لحياة أبى حامد الغزالى مُختلف، هناك من انتقده انتقادًا شديدًا، وهناك من أحبه محبة جارفة. أبوحامد الغزالى فيه كل الآراء التى يمكن أن تجدها عند الآخرين. الكثير من الناس أساءوا فهم كلامه، ومثلهم من أحب أو كره هذا الكلام، وهكذا.

■ وما الذى تعلمتِه من رحلة البحث هذه؟

– تعلمت من أبوحامد الغزالى الكثير. تعلمت منه معانى البحث العلمى والمنهجية والموضوعية فى التفكير. وأعتقد أن أهم ما يمكن أن نتعلمه منه هو كيف نفكر تفكيرًا نقديًا، أن نرفض قبول أى شىء يُقال لنا، قبل التفكير فيه ومحاولة فهمه وفهم أبعاده، وبعيدًا عن الآراء المتداولة من حولنا. أى شىء لا بد أن نفكر فيه تفكيرًا علميًا نقديًا. علينا أن ننتقده ونفنده بشكل علمى سليم.

■ لغة السرد فى الرواية أشبه بما كان يتحدث به «الغزالى».. كيف تختارين اللغة المناسبة للحقبة التى تكتبين عنها؟

– طريقة السرد فى رواية «الغواص.. أبوحامد الغزالى» كانت بالفعل أقرب إلى لغة أبى حامد الغزالى نفسه، لأننى قرأت عنه كثيرًا جدًا، حتى أننى ظللت ٦ سنوات كاملة أقرأ كل ما كتبه، وبالتأكيد تأثرت جدًا بما كتب وقال، لدى كتابتى هذه الرواية.

■ أخيرًا.. هل هناك مشروع جديد تعكفين عليه فى الوقت الحالى؟

– رواية «الغواص.. أبوحامد الغزالى» أرهقتنى جدًا، ومنذ صدورها وحتى الآن لم أستطع التفكير فى أى مشروع كتابة جديد، ربما لأنها أخذت منى وقتًا طويلًا جدًا، ما أصابنى بإرهاق كبير، فضلًا عن حاجتى لقراءة وفهم أكثر قبل كتابة أى عمل جديد.

■ لماذا اخترتِ بدرالدين الجمالى للحديث عنه فى رواية «الحلوانى.. ثلاثية الفاطميين»؟

– لدينا شخصيات أثرت فى مصر تأثيرًا شديدًا جدًا، ومع ذلك لم ندرسهم فى المدارس ولم يُكتب عنهم كثيرًا، مثل بدرالدين الجمالى، الذى لم تكن هناك رواية واحدة تتطرق إلى شخصيته الثرية.

لم تكن هناك رواية واحدة تتحدث عن بدرالدين الجمالى رغم أنه شخصية مهمة جدًا فى التاريخ المصرى، فهو الذى أنقذ مصر من المجاعة، ومن حرب أهلية كانت تدور رحاها فى مصر آنذاك، بين الجيشين السودانى والتركى.

فقد استطاع أن يُنهى هذه الحرب، وأن يكوّن جيشًا قويًا فى مصر، إلى جانب بناء العديد من المبانى، وتقسيم مصر إلى ٢٨ محافظة. بالتالى يمكن اعتبار أن تأثيره فينا ما زال موجودًا حتى الآن. ولذلك كان يستحق جزءًا كاملًا من روايتى «الحلوانى.. ثلاثية الفاطميين»، لأنه شخصية مهمة جدًا فى تاريخ مصر، كما سبق أن ذكرت.

■ وماذا عن شخصية جوهر الصقلى التى كتبتِ عنها أيضًا؟

– جرجى زيدان كتب عن فترة من فترات جوهر الصقلى، لكنها كانت كتابة سريعة جدًا. أما حياته بعد فتح مصر وبناء القاهرة، فلم يتحدث عنها كثيرًا.

وجوهر الصقلى أيضًا شخصية استثنائية فى التاريخ. ورغم أنه غير مصرى جاء من جزيرة صقلية، اعتبره المصريون مصريًا، وأحبوه جدًا، ولو كان لدى أحدهم أى مشكلة كان يطلب منه حلها دون أى تردد.

و«الصقلى» فتح مصر، وبنى القاهرة والجامع الأزهر وأبواب القاهرة وقصر الخليفة المعز لدين الله الفاطمى، كل هذا أنجزه فى ٤ سنوات فقط. وحين رجع الخليفة إلى مصر وجد كل شىء جاهزًا تمامًا.

جوهر الصقلى كان لديه إخلاص كبير للخليفة، وكان المصريون يحترمونه جدًا، وهو شخصية موجودة فى التاريخ بقوة، حتى موته فى سن الـ٧٠ من عمره، ودفنه فى مصر. كما أن ابنه «الحسين» أصبح أحد الوزراء فى عهد الحاكم بأمر الله الفاطمى.

كما أننى تحدثت فى رواية «الحلوانى» عن فترة دخول الصليبيين إلى مصر والشام. كان هذا فى آخر حكاية بالرواية، حيث نرى صلاح الدين الأيوبى، الشاب الذى جاء إلى الإسكندرية لكى يحارب الصليبيين، وكيف أقسم بأنه لن يدخل مصر مما رآه من مآسٍ فى الحروب. لكنه رجع وحكم مصر.

■ مع أن كتاباتك كلها تاريخية لا تخلو من لمحة صوفية كبيرة.. لماذا؟

– اللمحة الروحية أو الصوفية أو الروحانية، أو الايمان بالله والبحث عن فهم ما يحيط بنا، موجودة لدى المصريين، وهى من الأفكار الأساسية فى الحياة، لذا فإن روايات مثل «الغواص.. أبوحامد الغزالى» و«ماريو وأبوالعباس»، تطرقتا إلى شخصيات مهمة فى تاريخ الفكر الصوفى.

الروايات الأخرى كانت بها شخصيات مهمة فى تاريخ مصر، مثل «الشيخ أبوالسعود»، الموجود فى رواية «أولاد الناس.. ثلاثية المماليك»، والذى عاصر دخول العثمانيين مصر، وهو شخصية حقيقية، لذا كان لا بد من أن أتطرق إليها، وهو من الشخصيات التى كانت تحمل لمحة صوفية أيضًا.

وحتى شخصية بدرالدين الجمالى ما دفعه لبناء مسجد «الجيوشى» فوق جبل المقطم هو تلك المسحة واللمحة الصوفية والروحية التى كان يحملها، والتى إن دلت فإنها تدل على أنه كان مؤمنًا، ويريد أن يختلى وحيدًا مع الله، فى مكان بعيد جدًا، وغيره الكثير من شخصيات التاريخ الاسلامى كان لديها هذا الحس الروحانى والإيمانى العميق جدًا.

■ فى كتاباتك للتاريخ تركزين على موضوع الهوية المصرية.. ما الذى تستهدفينه من ذلك؟

– مصر لديها تاريخ طويل يمتد لآلاف السنين، وهذا جعلها تؤثر ولا تتأثر. تاريخ مصر يجبر أى شخص يأتى إليها على أن «يتمصر»، وفى «يتمصر» هذه تقبل وترحيب من مصر بهذا الشخص، مع إعطائه ما لا يحلم به.

لذلك نعتبر المماليك مصريين، وأحمد بن طولون مصريًا، وبدرالدين الجمالى مصريًا، وجوهر الصقلى مصريًا، خاصة أنهم استقروا فى مصر، ولم يريدوا أى دولة غيرها. مصر بلد «تُمصر» أى شخص، وهو أمر فريد لا يوجد فى أى مكان غيرها.

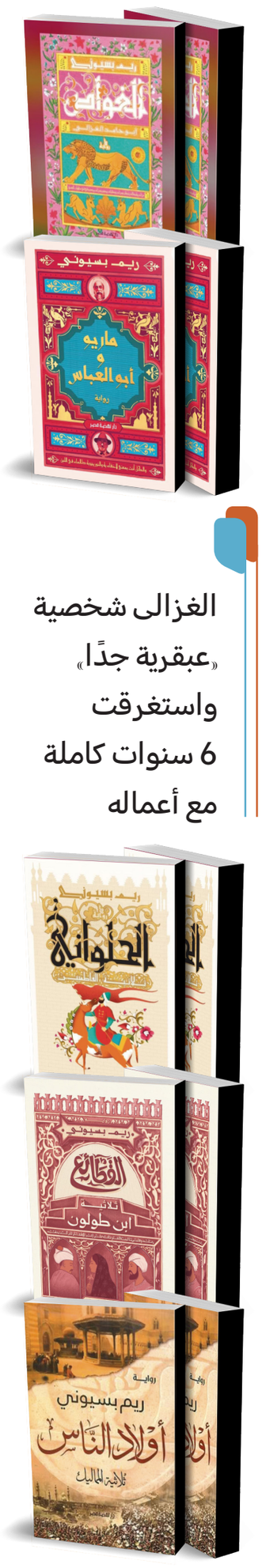

الغزالى شخصية «عبقرية جدًا» واستغرقت 6 سنوات كاملة مع أعماله

ريم بسيونى فى إحدى الندوات

اعتبر نفسه «مُنقذ العالم» وطارد سؤال: «ما الذى نفعله للنجاة؟»

الكثير من كلام الإنترنت وما كتبه المؤرخون العرب عنه «خاطئ»

تأليفه 9 كتب فى عام واحد أصابه بإرهاق نفسى واكتئاب وانهيار

بيادق ونيشان

صدى واسع أثاره فوز الروائى يوسف حسين بجائزة «كتارا» فى دورتها العاشرة، فى فئة «الرواية العربية المنشورة»، بجانب علاء حليحل من فلسطين عن روايته «سبع رسائل إلى أم كلثوم»، ومحمد طرزى من لبنان عن روايته «ميكروفون كاتم صوت». هذا الصدى مرده أن «حسين» لم يكن فى صدارة المرشحين للفوز بالجائزة، إن صح التعبير، وكان الكثير من المتابعين يتوقعون أسماءً أخرى، ما يعكس تميز روايته الفائزة «بيادق ونيشان»، ونجاحها فى نيل ثقة المُحكمين. عن تأثير فوزه بالجائزة على مسيرته الإبداعية، ورؤيته للجوائز بالنسبة للكُتاب بصفة عامة، إلى جانب تفاصيل روايته الفائزة وقصتها وفكرتها الأساسية، يدور حوار «حرف» التالى مع الروائى يوسف حسين.

إيهاب مصطفى

يوسف حسين: «كتارا» حافز قوى لاستكمال المسيرة

■ ما الذى تقوله عن فوزك بجائزة «كتارا»؟، وما الذى يعنيه لك هذا الفوز؟

– أفخر كثيرًا بهذه الجائزة، خاصة أنها تُكلل تعب وعناء وسعى طويل فى مجال الكتابة والأدب، وأعتبرها بمثابة حافز تشجيعى قوى لاستكمال مسيرتى الأدبية بشغف، فأهم ما يرجوه المرء فى حياته هو أن ينال التقدير الذى يستحقه، ما يساعده فى استعادة حبه لطموحه وتنميته بحيوية متجددة. والجوائز هى حلم يسعى الكُتاب إلى تحقيقه بكل جد وصدق فى أداء رسالتهم.

■ كيف ترى تأثير الجوائز على المبدع؟، وهل يمكن أن تغيّر مسيرته؟

– الجوائز تقدم للكاتب التقدير الكبير لكتاباته، وتمنح القراء ثقة فيما يكتبه، وتدفعهم للإقبال عليه بقلب مطمئن، موقنين بأن ما بين أيديهم حتمًا سيجدون فيه ما يروق لهم ويبهرونه. تأثير الجائزة فى أى كاتب لا يُنسى، وسيكون دومًا نبراسًا ينير صفحات طريقه، ويساعده فى استكمال رسالته فى رضا تام. التكريم الأدبى للروائى له دور كبير فى دعم وصقل ما يقدمه من إبداع، وتشجيعه على تطوير قلمه، وتحديث أفكاره الدرامية لتعايش الواقع وتناسب أذواق القراء. وأتمنى من الله أن تكون «كتارا» بداية خير لنجاح جديد، تصل من خلالها كتابتى ورسالتى إلى كل قارئ ناضج ويجد فيه مبتغاه. كما أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى المحترمين القائمين على جائزة «كتارا» فى فئة الحبيبة، على حسن اهتمامهم بالأعمال المشاركة فى المسابقة، وقراءتهم المتفحصة لها، ودعمهم البناء لكل موهبة تستحق. والله تلك الجائزة وسام على صدر كل كاتب يسعى لإيصال رسالته فيما ينفع الإنسان، فى دنياه وأخراه.

■ اللغة فى رواية «بيادق ونيشان» تعبر عن الفترة الزمنية لأحداثها، لكن النص نفسه كأنه موجود منذ الإنسان الأول حتى الآن.. هل قصدت ذلك؟

– بالفعل، هذا ما أردت إيصاله، فالرواية تجمع بين أكثر من فترة زمنية، تقلب بينها بطل الرواية، جارًا وراءه بقية الشخصيات المساهمة معه فى تشكيل قصته. ولو نظرنا إلى أجيال عصرنا سنجد بينهم ألف «آدم»، وبصحبتهم مَن يشبهون رفقاءه أيضًا. مع اختلاف الأزمنة منذ نشأة الإنسان إلى الآن، تظل النفس البشرية كما هى بصراعاتها الداخلية، التى تدور بينها وبين ما يحيطها من شهوات وفتن وشياطين وملائكة، كساقية هى وقودها حتى تقف عجلة الحياة.

■ آدم «بيادق ونيشان» يواجه «إبليس» وأعوانه أيضًا.. هل أردت من ذلك تأكيد أن الصراع بين الخير والشر مستمر، ولم ينته بانتهاء «آدم الأول»؟

– نعم، هذا صحيح. الإنسان مفتون فى كل شىء إلى يوم الدين. كل يوم يتعرض لاختبار وبلاء جديدين، يختبر مبادئه وقيمه، ما يجعله متخبطًا بلا هدى، وعليه أن يختار، إما طريق الغى أو طريق الرشاد، وهو ما مثلته تمامًا فى «آدم» بشكل درامى، ربما غلبت فيه «الميلودراما» التى تجتذب مشاعر القارئ، وتجعله حائرًا بين الإشفاق على هذا الشخص، وبين استحقاقه لكل العذابات التى تعرض لها، فكل منا سيحكم عليه تبعًا لنظرته إلى الحياة وما اختبره منها.

حاولت عرض شخصية «آدم» على القارئ بكل جوانبها عرضًا واقعيًا، تقمصت نفسه الأمّارة بالسوء، وكيف يخوض صراعًا شرسًا معها، تأمره فيطيعها، مُطلقًا لها العنان دون لجام، حتى بدا كبهيمة لا عقل لها ولا مبدأ، فانساق وراء كل ما لذ له وطاب من الآثام: سرقة تجارة آثار قتل وهلم جرا، ليحصل على ثروة باهظة سريعة دون جهد أو سعى، فما استباحته النفس مرة، فُتحت له الأبواب على مصراعيها ليُكرِّر ألفًا وألفًا. بعدها، يكتشف «آدم» فى نهاية المطاف أن ما به من عذاب، وسجنه فى هذا السرداب الأشد ظلمةً من أفعاله، هو حصاد ما اكتسبت يداه، فقد اجتمع ضحاياه عليه دفعةً واحدة ليشفوا غليل انتقامهم منه بطريقتهم الخاصة!

■ هل يمكن إسقاط شخصية «آدم» على الكثير من أبناء جيلنا الحالى؟

– هذه الشخصية المتخبطة المضطربة، التى تارةً يجر شفقتك عليه، وأخرى تستحل لعنه وقتله، تمثل الكثير من جيل هذا العصر، لا يدرى أى طريق يسلك، خير أم شر، أيرضى نفسه أم ربه؟ تجره شهوات الدنيا وملذاتها فتنصب له فخاخها، فيلهث وراءها بقوة، حتى يتبين له سرابها، ويهتف بعد أن يدرك ضلاله «يا ليتنى كنتُ ترابًا»! أردت من فكرة الرواية أن تكون هى الاختبار ذاته لكل من تتلقفها يداه، تحثه على مراجعة نفسه وإدارتها بعين البصيرة، لربما تكون سببًا فى إرشاده إلى الصواب، أو إبقائه على ما هو عليه.

■ هل ترى إذن أن واقع الرواية محقق فى مصر؟

– أراه محققا فعلًا وبشدة، بل الواقع الحالى أدهى وأمر، فهناك آلاف النسخ من شخصية «آدم»، ممن لا مبادئ لهم، تسوقهم الشهوات وحب المال إلى ارتكاب أى شىء دون التفات إلى دين أو قيم، ومن ثم يؤثر ذلك فى المجتمع بشكل كبير، فتخرج أجيال فاسدة، لا يعرفون بأى مبادئ يحتذون، فيصبح قدوتهم أراذل الخلق، من يمشون وراء «الترندات» والموضة الفارغة التى تسلب الإنسان قيمه وأخلاقه شيئًا فشيئًا فيصير بلا هوية، وكأنه مستند إلى بيت عنكبوت، ما يلبث أن يهوى به إلى قيعان الفشل والتخبط.

وكما سبق أن قلت، «آدم» شخصية تمثل كثيرًا من جيل هذا العصر، لا يدرى أى طريق يسلك، خير أم شر، أيرضى نفسه أم ربه؟! وتجره شهوات الدنيا وملذاتها فتنصب له فخاخها، فيلهث وراءها بقوة، حتى يتبين له سرابها.

الرواية تناقش كيف للنفس البشرية أن تلقى بصاحبها إلى المهالك إن لم يردعها، فكل شىء مباح إن لم يضع الإنسان حدًا له، يحكمه بدينه وتمسكه بشريعة الله فى الأرض. ومُوجَز ما يعبر عن ذلك ما جاء على لسان «آدم» نفسه بطل الرواية، حين قال: «من يُخرِج من أعماقى المتعبة كل ما أرهق روحى، وآل بهَا إلى الذبول؟ من يدخن ذنوبى ويمجها فى فمه بدلًا عنى؟ من يزرع لى بذرة نجاة فى أرض قلبى المقفرة ويضمن لى نموها؟ مَن يقنعنى بأننى ميت وأُحاسَب؟ من يثبت لى أننى لست لعبة فى أيادٍ قذرة تحركنى كيفما تشاء؟! مَن يا رب ينقذنى من جحيمى غيرك أنت الواحد القهار؟».

وفى كل الأحوال، أتمنى أن أجعل من أعمالى ولو نبراسًا خافتًا يهتدى به شباب هذا الجيل إلى حسن التفرقة بين الخطأ والصواب، وينصبون اهتماماتهم على معرفة أمور دينهم، ويحاولون اتباعها قدر استطاعتهم دون مغالاة، فلا أمل فى بناء مجتمعات سوية دون الارتكاز على مبادئ وأصول قويمة تتناقلها الأجيال جيلًا بعد جيل، فتنشأ أمة قوية تُعلى من شأن مجتمعها ووطنها.

■ فى الرواية تستحضر وتوظف أعمالًا أدبية لنجيب محفوظ وكتب لديل كارنيجى.. ما الذى عنيته من ذلك؟

– الرواية تعد مرآة للحياة الواقعية، عايشتها بكل تقلباتها، فشملت جوانب كثيرة، اجتماعيًا وتاريخيًا وفلسفيًا. من هنا حاولت أن أدعم الجانب الأخير بإبراز ما أثر فىَّ كـ«يوسف»، ومن بينه قراءتى أعمال هذين الأديبين الكبيرين، بما يتناسب مع تفاصيل أحداث الرواية وفكرتها. الكاتب يعكس كل ما يؤثر فيه، فينتج خلاصة أفكاره وتجاربه وقناعاته، دون أن يفرضها على القارئ، بل يعرضها عليه فى حبكة درامية، وللقارئ الحكم فى النهاية، إما يتقبلها أو لا.

■ هل هذا يعنى أنك تتقمص شخصيات رواياتك؟

– لن يستطيع أى كاتب يحمل فكرة صادقة يريد تجسيدها بواقعية تحقيق ذلك دون تقمصه أدوار شخصيات روايته، واستجلابه مشاعرهم وردود أفعالهم، فهو يقوم مقامهم تمامًا، يعيش كل شخصية بما يلائم دورها فى بناء حبكة الرواية وإحكام تفاصيلها، كى يُخرج عملًا حقيقيًا يثير تفاعل القارئ معه، كأنه يشاهد تجسيدًا لحياة واقعية، تمامًا، حدودها بين يديه، وأثرها لا تسعه تلافيف عقله ووجدانه. كل شخصية من هذه الشخصيات لها كادر خاص يسلب القارئ إلى محيطه، يعايش حياتها بتفاصيلها المعقدة بخيرها وشرها، ثم يخرج منها إلى أخرى وهكذا، فيجد نفسه أمام حياة كاملة متمثلة فى نفوس بشرية مختلفة الطباع والمبادئ والقيم، كالذى يواجهه فى واقعه تمامًا. فالرواية دراما حية تشبه الواقع تمامًا. ومن استطاع أن يحقق ذلك فتأكد أن القارئ لن يفلت من هذا العمل دون تأثير جلى يتركه فيه. وللأسف، الكثير من الأعمال الحالية تتسم بالنمطية والاستهلاكية، وقليل من يحاول أن يبتكر أفكارًا جديدة تجذب انتباه القراء إليها، وتعايش الواقع وتقلباته المستمرة. لكن فى الوقت ذاته هناك أقلام ذهبية لم يُكتب لها الميلاد بعد، طُمست كفيرها، ولا حياة لمن تنادى.

■ أصدرت العديد من الأعمال الأدبية.. ما مشروعك الشخصى فى الروايات؟

– كل عمل يحمل رسالة مختلفة، لكنها تجتمع على هدف واحد، هو مناقشة ما يدور فى المجتمع من قضايا شائكة كثر اللغط حولها ومحاولة عرضها، ليس من خلال وجهة نظرى الشخصية. لكن من خلال أدوار الشخصيات المستعان بها فى بناء حبكة الرواية، كى أضع القارئ أمام حيرة الاختيار والحكم، إلى أى طرف يميل أو ينحاز، وبالطبع، كل منا سيصدر رؤيته وفقًا لمبادئه واتجاهاته.

■ أسست دار «اسكرايب» للنشر.. كيف توازن العلاقة بين الكتابة والنشر؟، وهل يمكن أن يؤثر هذا على إبداعك الشخصى؟

– كونى كاتبًا هو ما جعلنى أخوض غمار النشر، فقد كنت أواجه صعوبة كبيرة فى نشر أعمالى، نظرًا إلى أن السياسة المتبعة حاليًا هى ضرورة أن تكون مشهورًا ولديك عدد كبير من المتابعين لكى يتم النشر لك، دون الالتفات إلى قيمة عملك وإن كان يستحق النشر أم لا.

هذا نراه كثيرًا فى غالبية دور النشر لضمان الجانب التسويقى للمؤلف، دون اهتمام بأهمية وقيمة العمل. لذلك طمحت فى تأسيس دار نشر خاصة بى، حتى يمكننى من خلالها استقطاب المواهب الأدبية التى تستحق فعلًا، مع الاعتماد فى ذلك على معيار قبول يقوم على التقييم بنزاهة، دون حسبان لأى شىء سوى قيمة العمل واستحقاقه.

■ ما نصيحتك للكُتاب الشباب فى مصر والوطن العربى؟

– ينبغى أن يهتموا بالقراءة كثيرًا، أن تلتهم أعينهم كل ما يقع تحت أيديهم من أعمال بناءة ومفيدة، ليستخلصوا منها أفكارًا مبتكرة، تكون بمثابة عصارة لاتجاهاتهم وآرائهم الفكرية، فينتجون أعمالًا تستحق أن توضع بين أيدى القراء. هنالك الكثير من الأعمال، بعد عرضها على لجنة التقييم فى دار النشر الخاصة بـ«اسكرايب» للنشر والتوزيع، يتم رفضها، نظرًا إلى أنها لا تتضمن الحد الأدنى من معايير الفن الروائى. القراءة حبرُ القلم، ومداده التهامُ كل ما يقع تحت يدى الكاتب من مؤلفات نافعة، تثرى خزينته اللغوية، وتنشط خلايا عقله الراكدة. هذا إلى جانب الاستعانة بالله أولًا وأخيرًا قبل كل شىء، وأن يجعل الهدف من رسالته دومًا خدمة المجتمع والوطن.

■ تحرص على النشر للعديد من الشباب فى «اسكرايب».. لماذا؟

– «اسكرايب» للنشر والتوزيع هى دار نشر مصرية تهتم بنشر الإبداعات الأدبية بكل ألوانها وأنواعها، فى مختلف الثقافات التى تدعو إلى الأخلاق والقيم، وتنير عقول الشباب واليافعين.

صدر عن الدار أكثر من ٥٠٠ إصدار ورقى فى مختلف المجالات الكتابية. كما لها باع كبير فى نشر الكتب العلمية والدينية، والدراسات الأدبية والنقدية، والأدب العالمى والترجمة.

انضم إليها العديد من الكُتّاب من مختلف دول العالم: مصر، والمغرب وتونس والجزائر وسوريا والبحرين والعراق، أقلام مبدعة شاركوا بفكرهم وثقافاتهم فى إثراء خزينة «اسكرايب» الأدبية والعلمية.

تمتلك «اسكرايب» خطة نشر ومشاركات فى المعارض المحلية والدولية، شاركت فى معارض الكتاب الدولية التى أقيمت فى الجزائر وتونس والعراق والسعودية والإمارات، وما زالت تتوسع فى مشاركاتها الدولية لتصل بأقلام كتابها إلى العالم أجمع.

ما عملك المقبل الذى تعكف عليه الآن؟

– فى الحقيقة، لم أستجمع أفكارى بعد للعمل على رواية جديدة، خاصة أن «بيادق ونيشان» عملت عليها كثيرًا فأرهقتنى بشدة. لذا لم أخرج بفكرة جديدة تليق بقرائى بعد حصادى هذه الجائزة العظيمة، وما خلفته من مسئولية كبيرة على عاتقى تجاههم. أدعو الله- عز وجل- أن يوفقنى فيما هو قادم ويعيننى عليه.

يوسف حسين فى حفل لأحد أعماله

«بيادق ونيشان» دعوة لـ«مراجعة النفس» وربما «سبب لإرشاد الضالين»

الفكرة الأساسية للرواية هى أن «صراع الخير والشر لم ينته بموت آدم»

البطل يعبر عن كثير من أبناء جيلنا وتقمصت «نفسه الأمّارة بالسوء»

الرواية مرآة للحياة الواقعية وانعكاس لكل ما يؤثر فى الكاتب

أهدانى محاولات كتابته الأولى لها بخط يده.. ثم رحل

المذكرات الأخيرة لرفعت السعيد

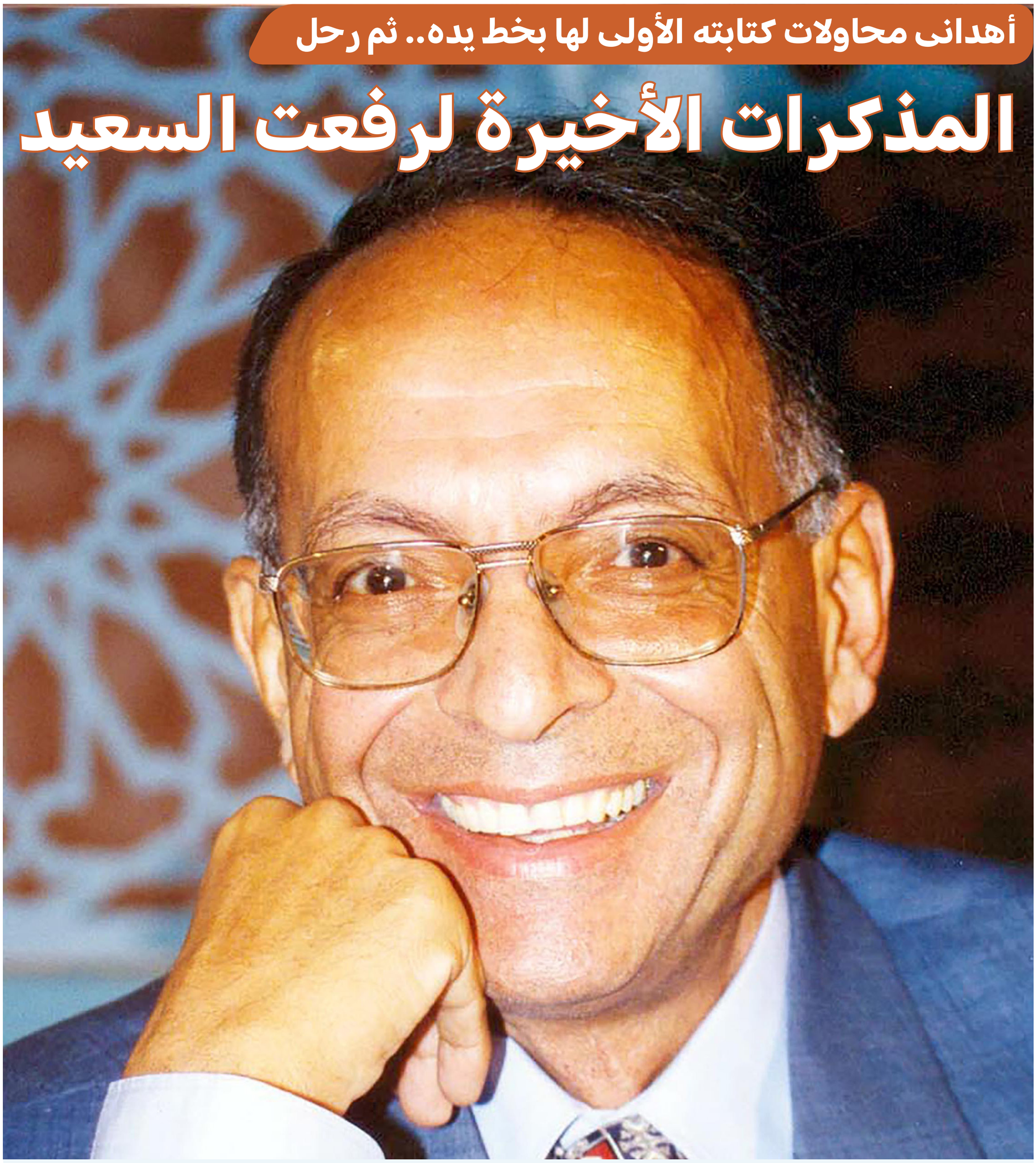

التقيت الدكتور رفعت السعيد آلاف المرات على الورق.. والتقيت به مرتين وجهًا لوجه.
آلاف المرات طُفت بين صفحات كتاباته الكثيرة التى كان فيها محاربًا صلبًا وشرسًا لأفكار وتنظيم جماعة الإخوان الإرهابية، وهى الكتب التى لا بد أن تكون فى كل بيت مصرى ومدرسة وكلية ومسجد وكنيسة ومركز شباب، فقد كان الأكثر معرفة وقدرة على فضح خطط وأهداف هذه الجماعة.
والتقيت به مرتين.. الأولى فى مكتبه بحزب التجمع فى العام ١٩٨٨، وكان يتعرض وقتها لحملة شرسة من جماعة الإخوان، ويومها لمست قدرته على السخرية، التى كان يحارب بها الجماعة، وربما كان هذا هو سلاحه الأكثر شراسة فى مواجهتها.
والثانية فى مكتبى بجريدة البوابة، خلال بدايات العام 2016 قبل شهور من وفاته، وكان يحمل معه مخطوطة كتابه الأخير «بقايا ذكريات» الذى صدر بعد ذلك، ويومها أهدانى فصلًا من مذكراته الأخيرة، ما زلت محتفظًا به حتى الآن، ففيه عطره ورائحته وقوة مقاومته، فقد ظل رفعت السعيد حتى اللحظة الأخيرة محاربًا... ولا يزال كذلك رغم وفاته، فهو يحارب الجماعة الإرهابية من قبره من خلال كتاباته ودراساته وأبحاثه.
فى سنوات رفعت السعيد الأخيرة ويفعل ما مر به الوطن كان يشعر كما قال لى: أشعر بحالة من الارتباك المليئة بالالتباس والادعاءات والمزاعم.
سألته: فى مثل هذه الحالة كيف تتصرف؟
فأجابنى بابتسامته الرائعة: أحاول أن أنجو؟
عدت لأسأله: وكيف تنجو؟
قال: أكتب.. الكتابة لأمثالنا هى الكتابة.
أخبرنى رفعت السعيد أنه بدأ فى كتابة ما تبقى لديه من ذكريات، وسيصدرها فى كتاب بعد أن ينتهى منها مباشرة بنفسه.
لم تكن الكتابة فيما يبدو سهلة، كان الزحام الذى يحيط برفعت السعيد يشغله، فتحت الصفحات التى وضعها بين يدى، فقرأت: العاشرة والنصف صباحًا «13 أبريل 2016» أخيرًا أتغلب على كل شىء لأبدأ.
كان قد كتب هذه الصفحات قبل أيام من لقائنا، قال لى: أنا أجاهد لما أكتب ما لدىّ، وشعرت بمساحة العبث التى يتحرك عليها من تقديمه لمحاولة الكتابة.
يتحدث رفعت عن النخبة التى لا تستحق هذا الوصف، فهى تشعل حريقًا فيما بينها وفى ذات أصحابها، وتعلو صيحاتها المتسمة بالجنون حول الجزيرتين «تيران وصنافير».
يقول: هذا «فلان الفلانى» يكاد أن يطيح بنفسه بعيدًا عن الموقع العتيد «رئيس مجلس إدارة مؤسسة صحفية كبرى» غضبًا لأن الجزيرتين لنا، ويتحول الأمر إلى هزل على يد الإعلامى «فلانى الفلانى»، إذ أحضر كومة رمل واحدة من تيران والأخرى من صنافير، وغرس فى كل منهما علمين «مصر والسعودية»، والأرض تحاول أن توحى بموج أزرق، ثم يقول أى كلام، ليس بقادر على إقناع أحد بأى شىء، وإنما يستطيع استهلاك الوقت فى لغو يربك المشاهدين، وإعلامى آخر يوجه سهامًا قاسية للشعب كله يتهم المصريين بأنهم أذناب تهتز طربًا بالتصفيق للسيسى مهما فعل، ربما مهدت استثاراتهم لفعل العكس حتى يبدوا رجالًا أمام أنفسهم، وعلى الضفة الأخرى وثائق تتراكم تحاول أن تؤكد سعودية الجزيرتين.
هامش: ذكر رفعت السعيد أسماء من تحدث عنهم، لكننى رفعتها مكتفيًا أنها وردت فى كتابه، وكل صاحب فعل يعرف نفسه ويعرفه الآخرون.
رصد رفعت السعيد الحالة على نحو دقيق، فمصر من وجهة نظره فى هذه اللحظة كانت تستنفد كل جهدها فى تبديد طاقتها، واستنزاف ما تبقى لدى نخبتها من فعل.
فى هذا المناخ استخلص رفعت السعيد نفسه لينجو بذاته وقرر أن يكتب، لأن الكتابة ـ كما يقول ـ دواؤه.
لم تكن هذه هى المرة الأولى التى يفعل فيها رفعت السعيد ذلك، فخلال عاصفة سبتمبر 1981 التى اقتلع فيها السادات المئات من النخبة المفترضة ـ هذا تعبيره هو ـ كتابًا وشعراء وحزبيين ورجال دين ليودعهم السجن، وكان نصيب حزب التجمع هو الأكبر، فلم يتبق خارج السجن سوى خالد محيى الدين وسيف يوسف ورمزى فهيم ورفعت نفسه، وكان العشرات من أسر المقبوض عليهم يتجمعون فى غرفة الأمانة العامة للحزب، ويتكلمون فى وقت واحد، والتحليلات والتوقعات تتراكم فوق بعضها، ترك رفعت كل ذلك ودخل إلى غرفته ليكتب.
لم يكن رفعت يكتب بيانًا أو مذكرة أو مقالًا صحفيًا عما يجرى، ولكنه كان يكتب مقدمة حول «البرجوازى الصغير وأسلوبه ودوره فى المجتمع».
دخل عليه خالد محيى الدين رئيس الحزب، ولما وجده يكتب، قال له: «مفيش بيانات تتكتب، استنى لما نشوف الوضع ده هيوصل لحد فين».
رد رفعت: أنا لا أكتب بيانات.. أنا أكتب مقدمة كتاب.
صرخ فيه محيى الدين قائلًا: يا أخى أنت بتجيب برود الأعصاب ده منين.
ببرود رد رفعت: إنها مجرد نصف ساعة أستعيد فيها نفسى وأنفاسى وأخرج من حالة التشويش وأعود.
استدعى رفعت السعيد برودة أعصابه وجلس ليكتب ما يعتقد أنه يستحق الكتابة من ذكرياته، فقد كان يشعر أن حياته تقترب من نهايتها، وإذا كان له أن يفعل شيئًا له قيمة، فلا بد أن يكون هذا الشىء هو الكتابة.
فى شهر مولده، أعيد عليكم بعض ما كتبه رفعت السعيد وتركه فى حوزتى، ثم إن كتابه الذى لم يحظ باهتمام كبير ربما لوفاة صاحبه موجود لمن يريد أن يستزيد منه.

الباز

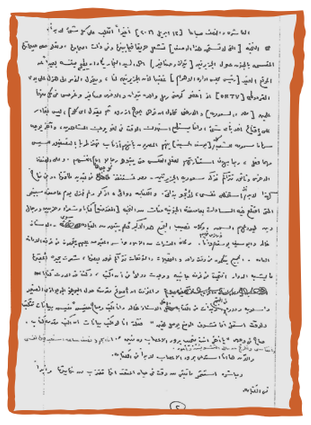
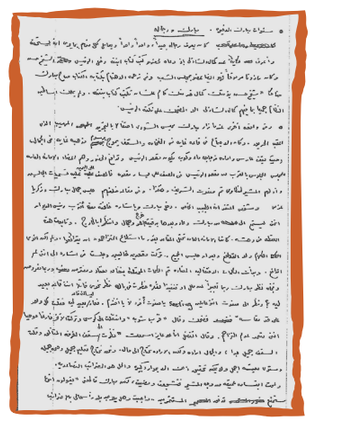
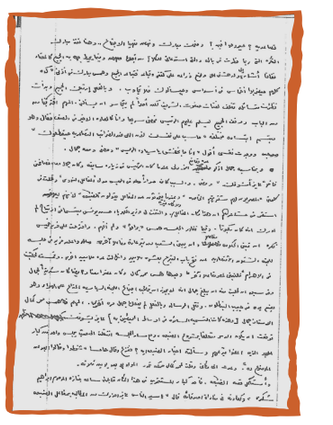
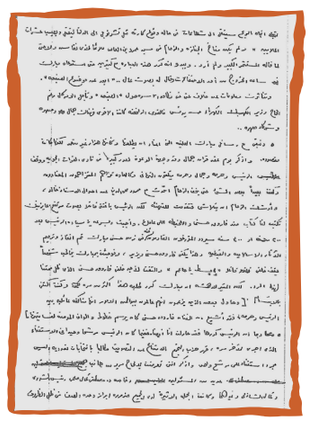

المذكرات الأخيرة لرفعت السعيد

مبارك كان يعرف رجاله جيدًا واحدًا واحدًا ويعامل كلًا منهم بما يرى أنه يستحقه

الرئيس مبارك وخالد محى الدين ورفعت السعيد

1 أسرار وكواليس ومطبات سنوات مبارك الأخيرة

كان مبارك يعرف رجاله جيدًا، واحدًا واحدًا، ويعامل كلًا منهم بما يرى أنه يستحقه، وأعرف حكاية عن كمال الشاذلى، إذ دعاه لحضور كتب كتاب ابنته، دخل الرئيس والمأذون هو الشيخ حسن، وكان مأذونًا مرموقًا، فهو أيضًا عضو مجلس الشعب، وفى زحمة الاهتمام بكتابة الكتاب صاح مبارك ضاحكًا: شيخ حسن بذمتك كمال خد منك كام علشان تكتب كتاب بنته، ولم يملك أساطين النظام جميعًا بمن فيهم كمال الشاذلى إلا الضحك على نكتة الرئيس.

وفى واقعة أخرى عندما زار مبارك مجلس الشورى احتفالًا بالتجديد المهيب الذى أعقب الحريق، وكان الاجتماع فى قاعة غاية فى الفخامة والسقف يموج برسوم مذهبة غاية فى الجمال، حيث يقف حارس وأمامه زجاجة ماء وكوب يكون مقعد الرئيس، وتدافع الحضور وهم أعضاء الأمانة العامة للمجلس للجلوس بالقرب من مقعد الرئيس فى الصف الأول على يمين مقعده، فالصف الأول على اليسار به أوراق مكتوب عليها الأسماء لترتيب الجالسين وأولهم المشير طنطاوى ثم صفوت الشريف وهكذا، وفى مقاعد خلفهم جلس جمال مبارك وزكريا عزمى وشخص أعتقد أنه الطبيب الخاص.

ودخل مبارك وبإشارة خافتة منه اقترب رئيس الديوان، انحنى ليستمع من مبارك وعاد، وبعدها بدقيقة خرج هو وجمال وانتظرا بالخارج، وتابعت هذه اللقطة فى دهشة.

كانت الأمانة العامة تحتل المقاعد بقدر ما استطاع المتزاحمون أن يتدافعوا ولم أكن أنوى الكلام ولا التدافع، وبعد أن جلس الجميع تركت مقعدين خاليين وجلست فى إشارة إلى أننى لم أتدافع ولا أريد الكلام.

بدأت الكلمات الاحتفالية المعتادة ثم الكلمات الممتلئة بنفاق معتاد ومفترض وربما مفروض، وفجأة نظر مبارك ربما تعبيرًا عن ملل أو تنفيذًا لفكرة خطرت فى باله، نظر نحوى قائلًا: أنت قاعد بعيد ليه؟ ونظر إلى صفوت: أنتم عاملين Seeting يا صفوت؟

فرد: لأ يا أفندم.

فعاد ليسألنى: قاعد بعيد ليه؟

فقلت: كل واحد على قد مقاسه.

فضحك وقال: «قرب شويه»، وانتقلت إلى كرسى وتركت الآخر فارغًا، موحيًا أننى متعمد عدم التزاحم، وقال: اتفضل أنا عايز أسمعك.

نظرت إلى سقف الغرفة المتألق، وقلت: السقف جميل جدًا، والجمال إرادة ولكن الإرادة تحتاج إلى مال، ونحن نحتاج تعليم جميل وصحة جميلة ومستوى معيشة أجمل، ولا يمكن تحقيق ذلك والحل هو الضرائب التصاعدية.

ولمحت ابتسامة عميقة على وجه المشير فتشجعت ومضيت، لكن مبارك قاطعنى: يقولون إنها ستمنع تدفق المستثمرين.

وأجبت: وهل يوجد بلد رأسمالى بلا ضرائب تصاعدية؟ حيروح فين؟

وضحك مبارك ونهض منهيًا الاجتماع، وهنا نفذ مبارك الفكرة التى ربما خطرت فى باله والتى استدعانى للكلام من أجلها، وفيما يحيط به الجميع كالمعتاد نفاقًا، أشار إلىّ ولدهشتى وضع ذراعه على كتفى، فتباعد الجميع عنا، وهمس مبارك فى أذنى: كده كلهم هيضربوا أخماس فى أسداس وحيسألوك فلا تجاوب.

وبالفعل ارتبك الجميع وبدأت نظرات متسائلة من صفوت الشريف، لكن أحدًا لم يتجاسر أن يسألنى، المهم اقتربنا من الباب ووقف الجميع ليسلم عليهم الرئيس فمضى سريعًا وأنا كالعادة الأخير فى الصف، فقال وهو مبتسم ابتسامة مختلفة: حاسب على نفسك لأن اللى ضد الضرائب التصاعدية حيقطعوك.

ووجدت نفسى أقول: أنا ما بخفش يا سيادة الرئيس.

ومضى ومعه جمال.. وبمناسبة جمال أذكر عدة وقائع.

الأولى عندما كان الرئيس فى زيارة سابقة، وكان جمال معه فصافحنى قائلًا: عايز أشوفك، ومضى، والسبب كان حوارًا فى المجلس حول «المفاعل النووى»، وقلت فى كلمتى: المصريون لهم شفرتهم الخاصة، وعندما يتحدثون عن المفاعل يقولون الضبعة، لأنهم استقر فى مشاعرهم أن هذا مكان المفاعل ولا مكان غيره.

والتفت لى وزير الكهرباء د. حسن يونس مبتسمًا فى ارتياح لم أدرك أنه كان مكبوتًا، وفيما نغادر الجلسة همس: برافو.. ولم أفهم.

واقترحت على فريد خميس فكرة أن تبنى الحكومة مفاعلًا وأن يبنى الشعب من تبرعاته مفاعلًا آخر، وأعلن فريد فى جلسة لجنة الشئون الاقتصادية عن فتح باب التبرع بعشرة ملايين وانهالت عدة ملايين أخرى، وتحمست فكتبت فى الأهرام: فلنبنِ لمصر مفاعلًا آخر، وبعدها همس محمد كمال وكان عضوًا معنا أيضًا، وأيضًا كان سكرتيرًا لجمال، وقد سبق أن طلبت منه أن يبلغ جمال أنه لا يجوز أن يخاطب اجتماع اللجنة السياسية المذاع على الهواء وهو يضع يده فى جيب البنطلون، ونقل الرسالة وبالفعل لم يفعلها جمال مرة أخرى، المهم همس محمد كمال: الأستاذ جمال - وهذه كانت التسمية السائدة فى أوساط المحيطين به - عايز يشوفك.

توقعت أن يكون الأمر متعلقًا بمشروع الضبعة، ومع مسار الجلسة انتقلت إلى حيث يجلس واحد من كبار الذين أعلنوا عن تبرعهم وسألته: أخبار الضبعة إيه؟ وقال هامسًا: شخطوا وقالوا ابعد عن الموضوع ده، وعدت إلى مكانى وقلت لمحمد كمال: ممكن تحدد الموعد بعد يومين ثلاثة.

وأستكمل قصة الضبعة، فأحد كبار المستثمرين فى هذا المكان قابلنى ساعة جنازة المرحوم إبراهيم شكرى، وكعادته فى مناداة أصدقائه قال: يا سيد الناس عايز أحذرك من المطالبة بمفاعل الضبعة، لأن اتجاه الريح سينقل الإشعاعات فى حالة وقوع كارثة مثل تشيرنوبل إلى الدلتا ليقتل ويصيب عشرات الملايين، ولم يكن مناخ الجنازة والزحام فى مسجد عمرو بن العاص ملائمًا لأى نقاش ولا حتى لما قاله المستثمر الكبير ولم أرد، ويبدو أنه كرر هذه العبارة مع كثيرين حتى استدعاه مبارك ساعة الخروج من أحد الاحتفالات وقال له بصوت عالٍ: ابعد عن موضوع الضبعة.

وتناثرت معلومات عن خلاف حتى فى نطاق الأسرة حول الضبعة، وتأجل الأمر رغم إلحاح وزير الكهرباء حسن يونس، فالقوى الرافضة كانت الأقوى، فهناك جمال وصهره وشركاء صهره.

ونبقى مع رسائل مبارك العلنية التى اعتاد أن يطلقها وكأنها هزار غير متعمد، لكنها كانت مقصودة، وأذكر يوم عقد قرانه، وقد وجهت الدعوة لعدد كبير فى نادى القوات الجوية، ووقف الرئيس وحرمه وجمال وحرمه يتلقون التهانى، وكالعادة تزاحم المتزاحمون المعتادون، وكنت بعيدًا بعض الشىء حتى يخف الزحام أتحدث مع محمود محيى الدين عن أحوال الأستاذ خالد، وأوشك الزحام أن يتلاشى فتقدمت للتهنئة، لكن الرئيس باغتنى قائلًا بصوت مرتفع: عايزينك تكتب لنا كتابًا ضد فاروق حسنى واللخبطة اللى عاملها.

وأجبت بسرعة: يا سيادة الرئيس بعد ٢٠٠ سنة أو ٣٠٠ سنة سيردد المؤرخون القادمون أنه فى زمن حسنى مبارك تم إنقاذ وترميم الآثار الإسلامية والقبطية، وهذا يكفى فاروق حسنى ويزيد.

وفوجئت بمبارك يخاطب شخصًا يقف خلفى قائلًا: ابسط يا عم، والتفت لأجد خلفى فاروق حسنى الذى ظل ممتنًا لهذا الرد.

لكن المثير للدهشة أن مبارك كرر طلبه هذا أكثر من مرة وكنت أكتفى بالابتسام، وحاول بعض الذين يزعمون أنهم عالمون ببواطن الأمور أنها مناكفة عائلية بين الرئيس وحرمه، فقد أشيع أن الفنان فاروق حسنى كان يرسم خطوط وألوان الموضة لفساتينها.

وبما أن الرئيس كررها فقد حاولت أنا أيضًا، ففيما كان الرئيس مرشحًا وحيدًا فى الاستفتاء الذى أجرى لآخر مرة، قرر حزب التجمع الامتناع عن التصويت مطالبًا بانتخابات تعددية، وليس مجرد استفتاء على مرشح واحد.

وأذكر أننى تعرضت لإلحاح مرير من جانب عديد من المسئولين وخاصة د. مصطفى كمال، حلمى رئيس مجلس الشورى وكمال الشاذلى وغيرهما، وكانت الجملة الأثيرة لدى الجميع ضرورة إبراز وحدة الصف فى ظل الظروف الصحية للرئيس، وفى كل مرة كنت أسأل محدثى: هل طلب الرئيس منك ذلك؟ وكانت الإجابة بالنفى.

وكان الأستاذ خالد قد تعرض لذات الضغوط فى مجلس الشعب وأجاب بذات السؤال، وعندما أعلن عن فوز الرئيس فى الاستفتاء ذلك الفوز المعتاد وبالنسبة المعتادة كانت وفود التهنئة تتدفق على قصر القبة، وسبقنا وفد أمانة مجلس الشعب ثم الشورى، وعندما اقتربت عبر الطابور من مصافحة الرئيس خطر فى بالى أن أوجه رسالة للسامعين وفيما الرئيس يصافحنى، سألته بصوت عال: حضرتك زعلان من موقفنا؟ فضحك وقال: أبدًا.. وأتممت: لازم الجميع يعرف أن الصور متعددة الألوان أجمل من الصورة أبيض وأسود.

فالتفت إليهم وقال كلمة لا أعرف إن كانت استحسانًا أم لا: سامعين.

وهز الجميع رءوسهم.. طاعة من غير رضاء.

وتكرر الأمر عندما كانت الانتخابات التعددية الأولى، وقد بدأت ملامح القرار عندما همس الصديق شوقى يونس، وكان دائم الجلوس خلفى، وفيما الجلسة تناقش مسائل لا أهمية لها، قال هامسًا: ستسمع أخبارًا مهمة جدًا بعد يوم أو يومين.

وجاء الخبر المهم بتعديل الدستور بحيث تجرى انتخابات الرئيس بين أكثر من مرشح، وجرت محاولات للضغط علينا للترشح، وفى بادئ الأمر قرر الحزب أن يترشح الأستاذ خالد، وأعلن بالفعل ترشحه خلال ندوة صحفية أجريت معه فى مجلة المصور وتتالت عدة وقائع.

كنت أتحدث فى برنامج فى ماسبيرو على الهواء، ثم فاجأتنى مقدمة البرنامج فقالت سنخرج إلى فاصل وبعدها أسألك: هل من الملائم أن يترشح الأستاذ خالد وهو فى هذه السن؟

وأثناء الفاصل قلت بصوت غاضب حذار أن تسألى هذا السؤال، فإجابتى ستكون أن خالد محيى الدين أكبر كثيرًا من مرشحكم.

فقالت: يا نهار أسود.

ولم تسأل السؤال، لكن الحاضرين جميعًا سمعوا، وطبعًا نقل البعض ما سمع.

والذى حدث أننا استشعرنا حقيقة التمثيلية التى تجرى فتقرر انسحاب الأستاذ خالد بحجة حالته الصحية.

وفى ذلك الحين كانت هناك ضغوط أخرى كى أترشح أنا، وكان صاحب هذه الضغوط د. نعمان جمعة الذى كان الوفد قد رشحه للرئاسة، وكان يستشعر بأنها محاولة من خصومه فى الحزب لإحراجه.

وفى جلسة رباعية ضمت «صفوت الشريف- كمال الشاذلى- نعمان جمعة- وأنا»، طالب نعمان بأن أترشح أنا وهو حتى لا يتحمل الإحراج وحده، ورفضت بحسم، وكان أن دعا د. نعمان إلى برنامج البيت بيتك لعرض برنامجه الانتخابى استكمالًا لديكور مسرحية الانتخابات.

سأله مقدم البرنامج: هل ترشح خصمًا يسائدك أمام جمهور المشاهدين.

فاخترانى، واستكمالًا للإخراج المسرحى استدعونى على التليفون، وحاول مقدم البرنامج أن يضع بعض الحصى فى فمى قبل أن أؤيد انتخاب نعمان، فسألنى: ما رأيك فى البرنامج الذى أعلنه السيد الرئيس مبارك فى مدرسة المساعى المشكورة؟.. وفهمت الملعوب.

فأجبت إجابة لم تكن تخطر على بالى ولا بال نعمان، وطبعًا لم تخطر على بال مقدم البرنامج، قلت فى هدوء: أعتقد أن الرئيس مبارك خالف القانون بأن عقد مؤتمرًا انتخابيًا فى أحد دور العلم، وهذا ممنوع قانونًا، ولو كنت مرشحًا لسافرت فورًا إلى المنصورة وعقدت مؤتمرًا انتخابيًا فى مدرسة الملك الكامل الثانوية.

وأحسست أن مقدم البرنامج وزميلته أوشكا أن يغمى عليهما من الخوف وخرجا إلى فاصل، بعدها قالت لى الشريكة فى تقديم البرنامج أنها وزميلها كانا فى حالة رعب حقيقى، وبعدها أيضًا جرت محاولة إصلاح الديكور الانتخابى فاتجه الرئيس لعقد مؤتمراته فى حديقة الأزهر.

وعندما سافر إلى المنيا وتمت استضافته فى عشة على شاطئ النيل، حيث تناول الشاى من يد زوجة صاحب العشة الذى بدا مرحبًا بصورة مبالغ فيها، أرسل زميلنا المرحوم د. وجيه شكرى أمين الحزب فى المنيا أن صاحب العشة المزعوم مخبر فى مباحث المنيا ونشرنا الخبر فى الأهالى ما أغضب الكثيرين، وهو ما تكرر نقلًا عن جريدة الأهالى فى فيلم طباخ الرئيس.

واستمرت التداعيات فقد تحولت اجتماعات رؤساء الأحزاب التى سبقت الانتخابات إلى كوميديا سوداء، الجلسات تعقد لكى يرتل رؤساء الأحزاب الولاء والمديح للرئيس المرشح والتهكم على منافسيه، وكان من بين منافسيه أحمد الصباحى رئيس حزب الأمة الذى أعلن عن أنه يترشح استكمالًا لولائه للرئيس، وأنه سوف يعطى صوته للرئيس، وبالمناسبة هو كمرشح حصل على نصف مليون جنيه دعمًا من الدولة خصص مثله لكل المرشحين، ولما طلب منه تقديم حساب عن نفقاته رفض مؤكدًا أنه مش فاكر.

المهم اتفقنا نعمان جمعة وضياء داود وأنا على الانسحاب من هذه الاجتماعات التى توقفت بعدها، ومنح كل رئيس حزب من غير المنسحبين خمسون ألف جنيه كسلفة تستقطع من الدعم الذى يقدم للحزب على أقساط، ولم تستقطع، وقد نبه عليهم عدم إعلان ذلك، لكن المستشار فرج الدرى أبلغنى بذلك سرًا، وشجعنى على أن أطلب مثلما كان للآخرين، ورفض صفوت الشريف معربًا عن غضبه، وربما متصورًا أنه يلقننى درسًا فى ضرورة الطاعة.

وقد نجح زكريا عزمى فى أن ينسج شبكة غير مرئية تحكم حصارها على مبارك، بحيث يمتنع على أحد الاتصال بالرئيس إلا عن طريقه وحده، كان يسميها متباهيًا حلقة النار.

وأذكر أن صديقًا هو د. طه عبدالعليم تم اختياره رئيسًا للهيئة العامة للاستعلامات وهو منصب مهم، وفى إحدى سفريات الرئيس اصطحبوه على الطائرة الرئاسية، واستدعاه الرئيس خلال الرحلة ليتعرف عليه، وبعد حديث قصير كان على د. طه أن يترك المقصورة الرئاسية فتجاسر وقال للرئيس: أنا من موقعى يا سيادة الرئيس أحتاج إلى الاتصال بسيادتكم لا تلقى توجيهاتكم، ورد مبارك: إن شاء الله.

لكن زكريا عزمى انتحى به وزجره بشدة: أنت تخترق حلقة النار.

ولم يدرك د. طه عمق الكارثة، وعندما تحدث إلى عقب عودته تليفونيًا وروى ما حدث قلت له احذر فقد يطاح بك، وبالفعل ربما بسبب ما طلبه من الرئيس أو بسبب أنه حكى لى ما لا يجب أن يحكى.. أطيح به.

كمال الشاذلى

صفوت الشريف

أشيع أن الفنان فاروق حسنى كان يرسم خطوط وألوان الموضة لفساتين سوزان مبارك

المشير طنطاوى

حسن يونس

نجح زكريا عزمى فى أن ينسج شبكة غير مرئية تحكم حصارها على مبارك

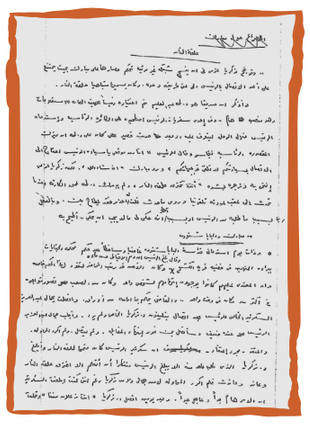
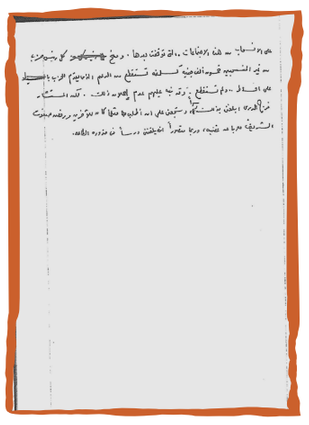
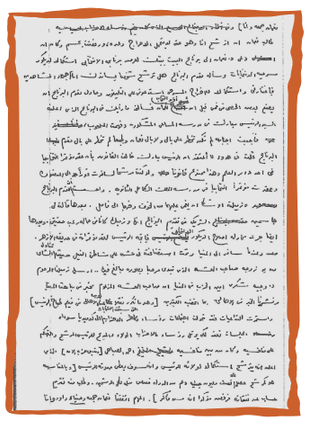
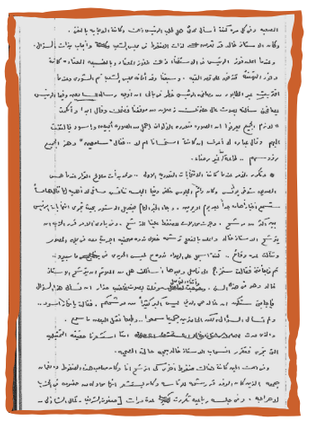

المذكرات الأخيرة لرفعت السعيد

موضوع الأقباط كان يشغل بال مبارك وإن كان يتعامل معه بحرص شديد يوحى بتردد

2 محنة الأقباط فى عصر مبارك لم تكن صدفة.. والبابا شنودة كان يعرف

ذات يوم استدعانى قداسة البابا شنودة غاضبًا وساخطًا بعد حكم محكمة الجنايات ببراءة المتهمين فى قضية الكشح، وقال بلغ الرئيس بأن دم الأقباط مش ماء.

وكان الأمن قد رتب المحاضر لتقود لهذا الحكم، خاصة أن المعتدى عليهم كانوا يوجهون اتهامهم لشخص واحد، وكان من الصعب تصور تواجده فى أكثر من مكان فى وقت واحد، والقاضى يحكم بما أمامه من أوراق.

اتصلت بجمال عبدالعزيز السكرتير الخاص للرئيس بعد اتصال بتليفون د. زكريا عزمى ولم يرد، وأجاب جمال عبدالعزيز: الرئيس عنده ضيف، وسأتصل بك فور انتهاء المقابلة.

ولم يتصل، ولم أكرر المحاولة، وأعتقد- مجرد اعتقاد- أن سكرتير الرئيس كان متممًا لحلقة النار، وأبلغ د. زكريا الذى طلب منه ألا يبلغ الرئيس منتظرًا أن أتعلم ألا أخترق حلقة النار وعاند وعاندت فلم أكرر المحاولة لا من جمال ولا من زكريا رغم أننى كنت أبلغت السكرتير أن الأمر مهم جدًا وعاجل جدًا.

وبعد يومين اتصل د. زكريا: أنت زعلان مننا.

وقلت: لأ مش زعلان.

فقال إن جمال نسى يبلغ الرئيس وسألنى: ماذا كنت تريد؟.. أنا تحت أمرك.

فقلت له ما قاله البابا وقلت اقترح أن يكلمه الرئيس، وبعدها بدقائق كان الرئيس على التليفون، وقال إن القاضى أمامه أوراق متوضبة لصالح المتهمين، وبلغ البابا أن النيابة ستطعن فى الحكم أمام محكمة النقض، وصمت البابا عن غيظ شديد.

والحقيقة أن العلاقة بين مبارك والبابا كانت معقدة جدًا، لأن موضوع الكنائس كان معقدًا، وأذكر أن د. زكريا طلب أن أزوره فى قصر عابدين، وهناك أطلعنى على رسالة من وزير الأوقاف آنذاك د. حمدى زقزوق يشير فيها إلى زيارة له للنمسا، حيث وجد حالة من الاحتقان عند الأقباط المصريين بسبب موضوع نشر فى نشرة الكرازة المرقسية ويشار فيها إلى غضب قبطى بسبب العديد من الأوضاع.

وقال: الرئيس يطلب منك أن تزور البابا ويستحسن أن تقابله منفردًا لتسأله عن طلباته، والرئيس مستعد لتلبية ما هو معقول.

واتصلت ورتبت موعدًا بالدير، حيث يكون البابا منفردًا، وكان د. زكريا قد لحقنى وأنا على السلم ليقول متقولوش إنك تحمل رسالة من الرئيس، وهاتها من عندك أنت.

فما إن انفردنا قلت لقداسة البابا: أشعر أنك لست على ما يرام مع الرئيس، فابتسم ثم صاح بعد فترة تأمل لعله تأمل الدافع وراء زيارتى وخلف سؤالى وبدأت الشكوى بالحديث عن سابق طلبه لكنيستين فى الوادى الجديد، أذكر أن إحداهما فى بلده موط.

وقال: الناس كلها تعرف إن القبطى لازم يخطب خطيبته فى الكنيسة، ويتجوزها فى الكنيسة، ولما يموت لازم يتصلى عليه فى الكنيسة، وموط فيها أقباط كثيرون، واللى يموت يحطوه فى الصندوق على حمار ويسافروا بيه مشوار طويل جدًا، لأن مفيش طرق ولا عربيات تقدر تمشى فى الصحراء، وقالوا الرئيس وافق من سنتين ولسه.

ثم سألته: هل مثلًا تجدون أن من الملائم أن يكون هناك محافظ قبطى؟

فسأل: إيه المانع يعنى؟

وتضاحكنا وودعته وفيما أغادر نادانى قائلًا: زى ما قالوا لك ما تقلش إن احنا اللى باعتينك، أنا بقولك متقلهمش إن أنا اللى طلبت.

وضحكنا معًا.

وبعدها اتصلت بزكريا عزمى فرفض الحديث فى التليفون وقال: تعالى فورًا.

وفى مكتبه قلب أوراقًا ثم استخرج المذكرة المعروضة على الرئيس بشأن كنيستى الواحات وعليها توقيع مبارك تحت عبارة «لا مانع»، والتاريخ قبل سنتين، وقال: توجه فورًا لحبيب العادلى وشوف معاه الموضوع لماذا تأخر.

وكان العادلى منتظرًا وقرأ التأشيرة وطلب مدير أمن الوادى الجديد وكان الرد البارد: مقدموش عقد يفيد تملكهم للأرض.

وفيما يرد عليه العادلى صرخت أنا: الكنيسة تمتلك الأرض من خمسمائة سنة، ولم يكن هناك عقود تمليك، وحتى الآن لا يوجد فى هذه المناطق شهر عقارى ولا عقود تمليك، وشخط العادلى: الموضوع يخلص فورًا، وخلص الموضوع فورًا.

أما عن موضوع المحافظ فقد سألنى د. زكريا: هل هو عنده مرشح؟

وسألت، والإجابة كانت: اسأل د. ثروت باسيلى وكيل المجلس الملى.

وفى اليوم التالى جاءتنى سيرة ذاتية للمرشح، أذكر أنه طبيب فى مستشفى منشية البكرى، لكننى متأكد أن اسمه «اكلمنديوس»، وطبعًا كان رد زكريا متعلقًا بالاسم، لكننى كنت واثقًا أن اختيار المحافظ- أى محافظ- لا يمكن أن يكون لأحد غير الرئيس، وعيّن الرئيس محافظًا مسيحيًا.

والحقيقة أن موضوع الأقباط كان يشغل بال مبارك، وإن كان يتعامل معه بحرص شديد، يوحى بتردد، يخاف من تداعيات لا يجوز الخوف منها، وكنا فى اللجنة المصرية للوحدة الوطنية، خاصة منير عبدالنور وأنا نبذل جهدًا فى الإلحاح على حل مشكلات تتناثر هنا وهناك، وخاصة فى مجال التعليم.

وذات يوم كنت عند قداسة البابا وكعادته فى كثير من الأحيان كان يتهكم ضاحكًا وشاكيًا فى نفس الوقت، وحكى قصة طالب طب كان يخشى من امتحان الشفوى؛ لأن الأستاذ متعصب ضد الأقباط، فاحتاط وسأله الأستاذ اسمك؟ مجدى.. مجدى إيه؟ إبراهيم.. إبراهيم إيه؟ كمال.. كمال إيه؟ وما من مفر فقال «بطاريس»، فشخط الأستاذ: قوم.. بطرس واحد بيسقط.. وعاد إلىّ باكيًا.

وذات يوم اتصل الرئيس مبارك، وسأل كالمعتاد: «البابا صاحبك زعلان والتقارير بتقول إنه يشكو بمرارة»، فحكيت له حكاية «بطاريس»، وزدت عليها أن هذا الأستاذ يتعمد أن يمتحن الطلاب يوم ٧ يناير؛ ليغيظ الأقباط، فضحك أولًا على اسم «بطاريس»، ثم قال: كلم الدكتور حسين «وزير التعليم والتعليم العالى حسين كامل بهاء الدين» يشوف حل، وبلاش امتحانات يوم ٧ يناير، فرد الدكتور حسين «الأستاذ الممتحن كان أستاذى، ومن الصعب على مجادلته فى هذا الأمر، والحل أن يصدر الرئيس قرارًا بذلك، وأردف على أى حال عندما كنا طلبة كانوا يمتحنوننا فى عيد الفطر أو عيد الأضحى كنوع من التأكيد على أهمية دراسة الطب.

ونقلت الإجابة إلى د. زكريا، وجاء الرد بعد أقل من ساعة: خلاص يا سيدى الريس قرر اعتبار ٧ يناير إجازة رسمية، ويمكن كمان عيد القيامة، وأسرعت ونقلت الخبر إلى البابا شنودة، الذى أبدى ابتهاجًا غير معتاد، لكنه لدهشتى رفض إجازة عيد القيامة؛ لأن ذلك سيثير قطاعات كبيرة من المسلمين، الذين سيتذكرون الآن «وما قتلوه وما صلبوه ولكنه شُبه لهم»، ودهشت ليس فقط لأن البابا يتذكر نصًا قرآنيًا وإنما لحرصه البالغ والسريع جدًا بالنسبة لإجازة عيد القيامة.

وأبلغت د. زكريا، الذى قال: كده يلقن البابا الجميع درسًا فى الوطنية، وبعدها عندما زرت قداسة البابا همس فى أذنى وأنا أغادر ستذكر الكنيسة فى تاريخها أنك صاحب ٧ يناير إجازة رسمية.

ولم أزل فى غمار ذكريات لا تنتهى حول العلاقة الشائكة والغامضة بين مبارك والبابا.

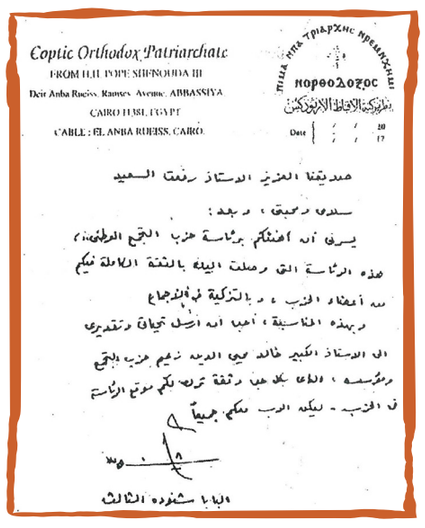
Coptic Orthodox Patriarchate
FROM H.H. POPE SHENOUDA III
Deir Anba Bishoy, Ramses Avenue, ABBASSIYA
CAIRO, EGYPT
CABLE: ELANBA RUEISS, CAIRO.
Date

صديقنا العزيز الأستاذ رفعت السعيد

سلام ومحبة، وبعد:

يسرني أن أهنئكم برئاسة حزب التجمع الوطني، هذه الرئاسة التي وصلت إليها بالثقة الكاملة فيكم من أعضاء الحزب، وبالتزكية في الاجتماع وبهذه المناسبة، أحب أن أرسل تحياتي وتقديري إلى الأستاذ الكبير خالد محيي الدين رئيس حزب التجمع ومؤسسه، وإلى كل من وثقة فيكم لتولي الرئاسة في الحزب، ليكلله الرب معكم جميعاً.

البابا شنوده الثالث

البابا شنودة لرفعت السعيد: «بلغ الرئيس إن دم الأقباط مش ماء»

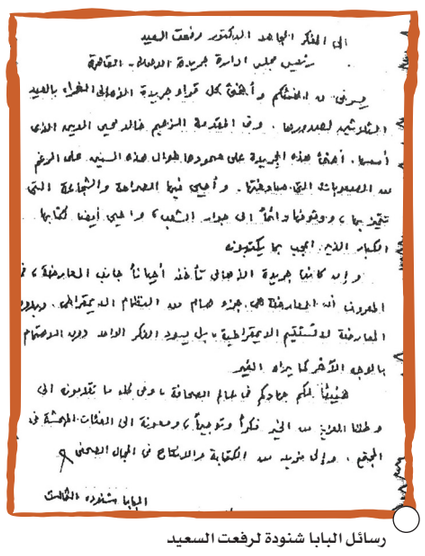
رسائل البابا شنودة لرفعت السعيد

ذات يوم وأنا فى مجلس الشورى اتصل بى شخص من طرف الأنبا مرقص «أسقف شبرا الخيمة»؛ ليبلغنى أن رئيس الحى اصطحب الأمن وعشرات العمال يهدمون مبنى خدمات كنيسة شبرا الخيمة.

اتصلت بمحافظ القليوبية عدلى حسين، وهو صديق عزيز، فقال: «بيقولوا مش كنيسة.. ومبنى بدون ترخيص»، وسريعًا حضر د. ثروت باسيلى، فقد أخرجه تليفون من الجلسة؛ ليقدم ذات البلاغ، وكنا نحن الاثنين فى زيارة البابا فى الدير، وعندما قلت له أرجوك يا قداسة البابا لا تشغل بالك بالتفاصيل الصغيرة وفوض شخصًا نثق به فى أن يتولاها، فأشار إلينا: انتوا الاثنين مع بعض.

اتصلت بالدكتور زكريا، فإذا به يقول: كنيسة شبرا الخيمة عندى خبر بس دى مش كنيسة، وده بيت خدمة بنى دون إذن ودون ترخيص، فدخلت فى حوار حول حساسية الموضوع، خاصة أن الأنبا مرقص صعّد الموضوع، وهو مصمم أن الهدم طال جزءًا من الكنيسة.

وبعدها بساعة تلقيت مكالمة منه: الرئيس أمر بإعادة المبنى كما كان، وتتحمل المحافظة التكلفة، وطلب أن أذهب غدًا لمقابلة المحافظ وحل الموضوع، وكان الأنبا مرقص قد تلقى ذات الإجابة عبر طريق آخر، وذهبنا إليه د. ثروت وأنا فى طريقنا إلى بنها، فوجدنا أمامه رسمًا معماريًا أعد على عجل يعيد بناء مدخل الكنيسة وبرخام يغطى السلالم ويتصاعد ليغلف كل الواجهة، ثم يصعد ببرج الكنيسة إلى أعلى، وأما مبنى الخدمة فهو مفتوح على قاعة الكنيسة الرئيسية، فنظرت إلى د. ثروت وتفاهمنا، وقال ثروت إن هذا ليس إعادة الشىء إلى أصله وإنما إعادة بنائه بفخامة مبالغ فيها.

وفى بنها قال المستشار المحافظ نفس الشىء، وبينما نشرب القهوة اتصلت همسًا بقداسة البابا، الذى ثار ثورة عنيفة، وقال ولا طوبة واحدة زيادة، كفاية أن الرئيس أنصفنا، ومش عايزين رخام ولا فخامة، وذهبنا مع المحافظ إلى موقع الكنيسة ومعنا الأنبا مرقص وهالنى منظر الشارع الضيق جدًا، والذى تصاعدت كل مبانيه كأبراج يصل بعدها إلى ١٢ دورًا، بحيث يخيل إليك أن الأبراج المتقابلة توشك أن تتلامس فى أدوارها العليا لتغلق بوابات الضوء والشمس وحتى الهواء.

وسألت المحافظ: اشمعنى رئيس الحى اختار مبنى الخدمات فقط؟

فقال: سأنقله فورًا.

وصمم الأنبا مرقص على موقفه، ورفضنا جميعًا، وأخيرًا استخدم المحافظ سلاحًا ظل سريًا، فقال: الكنيسة ومبنى الخدمات بُنيا على أرض زراعية ولا أستطيع فعل شىء إلا بموافقة وزير الزراعة، وبعد اتصال بالدكتور زكريا تم اتصال من الكنيسة بالأنبا مرقص، فهدأت المناقشات وأعيد الشىء إلى أصله.

لكننى لا أستطيع أن أتباعد عن عطر الكتابة المصطحبة لاسم قداسة البابا شنودة دون أن استمتع بذكر رسالتين خطيتين تلقيتهما من قداسته.

ذات يوم فى جلسة مسترخية فى الدير قال لى: لا أذكر أننى كتبت رسائل شخصية إلا لك أنت، وشعرت باعتزاز.. ولم أزل.

الأولى كانت بمناسبة انتخابى رئيسًا لحزب التجمع.

والثانية أرسلت من أمريكا بالفاكس بمناسبة العيد الثلاثين لصدور جريدة الأهالى، وتوقفت طويلًا أمام مديح لا نستحقه من شخص مثل قداسته، ولا أخفى أننى كلما أمسكت بالرسالتين فى إطارهما الفضى، لم أزل حتى الآن أشعر بعطر أنفاس قداسته واستأذن فى أن أمنح ما كتبت وما سأكتب بركة قداسته بعضهما. وربما لو أطلت التأمل لكتبت مئات الصفحات، لكننى سأكتفى بعبارة واحدة لم تزل محفورة فى أعماقى.

كنت فى زيارته فى الكاتدرائية، وكالعادة التف حولنا عدد من الآباء أتى أحدهم غاضبًا من أبراشيته فى الصعيد، وظل يشكو من تصرفات غاية فى الرداءة ضد شعبه وكنائسه هناك، والبابا صامت، لكن المطران الغاضب قال: أنت يا سيدنا تأمرنا بالهدوء، كلما سكتنا زادوا من تطاولهم، فأنصفنا، نحن أبناؤك وامنحنا الإذن بالاحتجاج، وظل البابا صامتًا وصمت الجميع.

وبعد فترة قال البابا: «ليس فقط لأن الرب يأمرنا «أحبوا مبغضيكم وباركوا لاعنيكم، وإنما لأن سلامتكم وحقوقكم فى عنقى ومعها وفوقها سلامة وأمن مصر كلها، وأنا أخشى وأحاذر على مصر من أن تغرقها دماء طائفية حتى لو احتملنا نحن».

وفى المراحل الأخيرة من مرضه الأخير همس أحدهم فى أذنى: البابا مريض جدًا، ويتألم جدًا آلامًا فوق أى قدرة على الاحتمال، لكنه يخفى آلامه.

اتصلت به فى كليفلاند، حيث يعالج، ورد على أحد مرافقيه: قداسة البابا بخير، ولكن يستريح بعض الوقت، وأنا سأبلغه باتصالك، وسمعت صوت قداسته يسأل بحدة: مين بيتكلم؟ ولما عرف صاح: هات التليفون، وكلمنى ضاحكًا أو متظاهرًا بالضحك: أنا كويس وأول ما أرجع سأتصل بك.

وبالفعل عاد البابا ليتصل بى، وقال بهدوء: عاوز أشوفك.

ولست أدرى لماذا خيم علىَّ إحساس حزين يوحى بأنه اللقاء الأخير، وانتظرت دقائق تبدت طويلة جدًا وأنا جالس فى مكتبه، وتذكرت أن منير عبدالنور، عضو المجلس الملى وصديقى العزيز، قال لى إنه فى أحد اجتماعات المجلس، كان قداسته متجهمًا، فهمس أحدهم فى أذن جاره: حد يجيب سيرة رفعت السعيد وقداسته سيضحك، وسأل قداسته: بتقولوا إيه؟ أجاب أحدهما بما سمع فضحك البابا قائلًا: هو صديق عزيز فعلًا.

وفيما أتمنى أن أراه ضاحكًا أتى قداسته متماسكًا ومبتسمًا موحيًا للجميع بأنه فى أتم صحة كما اعتدت دائمًا، احتضنت قداسته ويبدو أننى أطلت، فتخلص برفق وبدأ حديثًا ضاحكًا، وخيّم على إحساس بأنه عندما وقف ليودعنى أنه الوداع الأخير، وسكب فى أذنى أنفاسه العطرة، وهو يقول: خللى بالك من نفسك ومن صحتك وربنا هيحميك، وصحبنى إلى الخارج حتى جاءت السيارة، فى كل مرة يفعلها، وفى كل مرة كنت ألمسه برفق، قائلًا: اتفضل ادخل يا سيدنا، لكنه يصمم أن يبقى حتى تأتى السيارة.

هذه المرة لم أفعل وتمنيت ألا تأتى السيارة؛ لأبقى معه لحظات أخرى، وأحسست أنه أيضًا لا يلتفت إلى السيارة، إذ وصلت وظل واقفًا معى، وأحسست أنها نهاية اللقاء الأخير معه، وبالفعل كان رحيله بعد يومين.

وتبقى ملاحظة أخيرة فى مسألة علاقة مبارك بالمسألة القبطية، كانت دماء الكشح لم تجف بعد، وكان ثمة تجديد نصفى فى مجلس الشعب وثمة تعيينات لأعضاء جدد، اتصلت بالدكتور زكريا، وقلت له: ما رأيك فى أن يجرى تعيين مسيحى من الكشح فى الشورى.

بعدها بساعات اتصل وسألنى: صاحبك عنده اقتراح باسم معين؟

وسألته: صاحبى مين؟

وأجاب: البابا.

قلت له: البابا لم يفاتحنى فى الأمر ولا أنا فاتحته.

وبعدها صدرت قرارات التعيين وبها اسم رجل أعمال مسيحى من قرية الكشح، لكن المثير للدهشة أن القرار وضع فى النص الرسمى إلى جوار الاسم وبين قوسين عبارة من قرية الكشح، وتصورت أن خطأ إداريًا ترك هذه الإشارة مكانها، لكنه فيما أتندر بذلك فى حوار مع البابا أسند قداسته يديه على العصا، وقال فى هدوء، وكأنه يوجه الحديث لشخص غير موجود: ربما أراد أن يسجل فى وثيقة رسمية ما قد يقرأه البعض بعد سنوات عديدة؛ ليسجل أنه كان متعاطفًا مع ضحايا الكشح، وبالفعل راجعت مرسوم التعيينات فى الجريدة الرسمية فوجدت ذات العبارة.. وربما كان البابا على صواب.

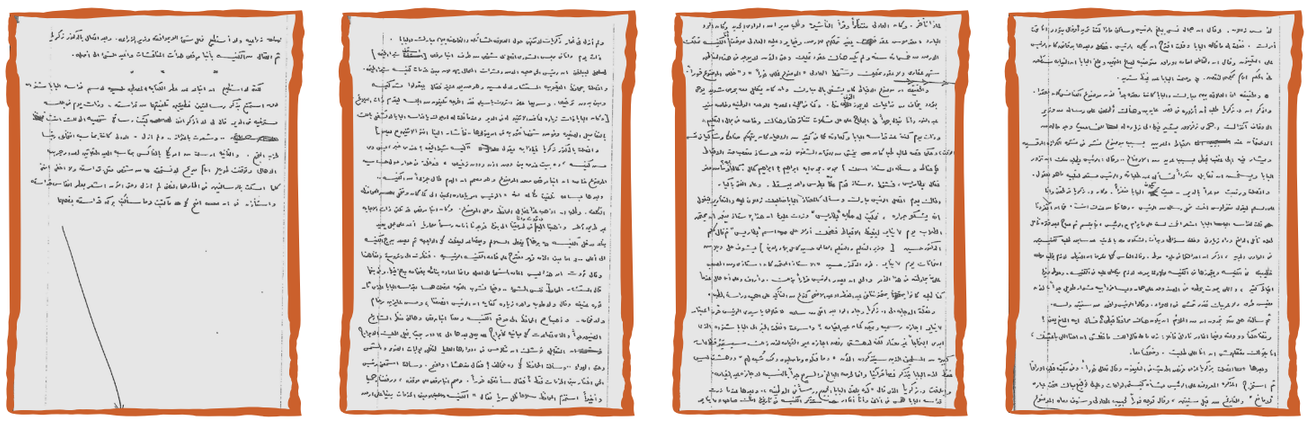

المذكرات الأخيرة لرفعت السعيد

عندما قال لى أحدهم «تصور يا دكتور أحمد نظيف مرشحينه رئيس وزراء» قلت: «مش معقول»

3

حكاية الرجل الغامض الذى أخبرنى بفشل سيناريو التوريث

هذه الحكاية احتفظت بها ولم أشر إليها من قبل، لأنها واقعة ليست فقط مثيرة للدهشة، وإنما هى شديدة الغرابة فى ترتيباتها.. فتناسيتها حتى نسيتها.

البداية فى نادى الجزيرة، وأنا رغم عضويتى القديمة جدًا فى النادى، إلا أننى لا أستمتع به إلا نادرًا، وبعد أن هبط فوق صدرى كابوس الحراسة الأمنية، وإذ أصبح الذهاب للحلاق مثلاً مشكلة، فكيف اصطحب معى حارسًا مسلحًا إلى صالون الحلاق دون أن أستثير فضول الناس، وأنا الذى تعود بحكم الاعتياد القديم أيام العمل السرى على الانفلات دون أن يلتفت إلى أحد وكان الحل أن أحلق عند «صبحى» حلاق النادى.

وذات يوم خرجت من الصالون ووضعت حقيبة أوراق بها بعض تقارير مجلس الشورى على إحدى الترابيزات ومشيت عدة دورات حول الملعب وعدت لأجد شخصًا أنيقًا أربعينى العمر جالسًا بالقرب من أشيائى، ابتسم وابتسمت، وبسبب ظهورى لعدة مرات فى التليفزيون اعتدت أن يتعرف علىَّ البعض ويقتحموننى بأسئلة عن أخبار الدنيا، ورأيى فى الموضوع الفلانى واعتدت الإجابة باقتضاب شديد.

لكن هذا المبتسم سأل بعد التحية سؤالًا غريبًا جدًا: حضرتك مش شايف أنها مسألة غريبة أن مذكراتك توزع أكثر من توزيع مذكرات د. بطرس غالى؟

سألت نفسى: هل هذا استفسار أم جر شكل، وأجبت ببرود ولم يدهش المبتسم: والله أنا معرفش مذكراتى وزعت كام ولا أعرف مذكرات د. بطرس غالى وزعت كام، لكن أنا متأكد أن د. بطرس أهم منى ألف مرة.

فأجاب إجابة أثارت دهشتى، وقال على أى حال انتوا أصحاب من أيام مجلة الطليعة، فمجلة السياسة الدولية، كانت معاكم فى الدور الساس فى الأهرام أيام ما كان د. بطرس رئيسًا للتحرير، وتحولت الدهشة إلى فضول، لكننى آثرت الانسحاب حتى لا تفتح أبواب حديث أضيع معها وقتًا بلا فائدة مع شخص لا أعرفه.

وتمضى أسابيع حلقت فى النادى، وفيما أفلت من بين يدى «صبحى الحلاق» وجدته واقفًا والابتسامة الودودة تفتح أبواب حديث لم أكن أريد أن يفتح، لكنه كان يمتلك من القدرة على التودد بشياكة، وتبادلنا التحية وسار إلى جوارى، وبلباقة دعانى إلى كابتشينو فى الصالون، فالجو حار والصالون مكيف.

وفيما ارتشف الكابتشينو قذف برفق معلومة غريبة: تصور يا دكتور أن أحمد نظيف مرشحينه رئيس وزراء، وأدهشتنى هذه القذيفة، ووجدتنى أجيب: مش معقول.

فقال: أنا كمان رأيى كده، لكن هو فعلاً مرشح رئيس وزراء.

وكررت مؤكدًا: مش معقول.

استأذنت منصرفًا عن هذا الذى اعتقدت أنه «لاسع».

حلقت عدة مرات ولم يظهرالمتبسم ونسيته تمامًا، حتى فوجئت بعدها بحوالى ثلاثة أشهر بأحمد نظيف رئيسًا للوزراء، تذكرت الرجل، تحسست شعرى كان قصيرًا ولست بحاجة للحلاقة، ومع ذلك ذهبت فى ذات اليوم إلى النادى ولم أدهش إذ وجدته، لكن الابتسامة تغيرت، ونبرة صوته أيضًا.

قال باعتداد: علشان تبقى تصدقنى.

ابتلعت تعاليه صامتًا، وجلسنا فى الصالون، شربنا كابتشينو، تحدثنا فى أمور سياسية شتى، واسع الاطلاع، دقيق العبارات، يعرف كثيرًا من تفاصيل تصعب ملاحظتها، التقينا عدة مرات، كيف يعرف مواعيد حلاقتى؟ لم أعرف، هل هو صبحى الذى تتصل به سكرتيرتى لتسأله هل عنده زحمة أم لا؟.. أم كان الأمر مرتبًا بطريقة أخرى؟

ثم أكاد أكتشف أن كل ما فات كان إعدادًا لحوار آخر فى إحدى الجلسات.

سألنى بشكل مباشر: كيف ترى مستقبل موقع الرئاسة؟

قلت إما أن يجدد مبارك لنفسه أو أن يأتى بجمال.

فسأل بجفاف: ألا ترى سيناريو آخر؟

وانتظر إجابتى التى جاءت: ربما.. وفقط.

فأكد هو جازمًا: هناك سيناريو ثالث، وسيأتى بشكل أو بآخر.. فماذا سيكون رأيكم؟

لاحظت أن «رأيك» تحولت إلى «رأيكم»، وقلت: يتوقف الأمر على كيف؟ ومن؟ ولماذا؟

فسأل: أفهم كيف ومن ولكن لم أفهم.. لماذا؟

فقلت: لأن التوريث قد يرفض لسبب أو لآخر.

فقال: أنا متفق معك.. فكروا فى الأمر فهو آت لسبب أو لآخر.

وبعدها اختفى الرجل ذو الابتسامة الودودة، ثم مرت أشهر وكان ٢٥ يناير، وعندما دعيت إلى مقابلة مع بعض أعضاء المجلس العسكرى فى أعقاب تنحى مبارك وسفره إلى شرم الشيخ تخيلت ابتسامة هذا الرجل الغامض وسألت نفسى هل سأجده هناك؟ ولم أجده. ولم أره حتى الآن.

4

جلسة الشورى الأخيرة.. تكلمتم وحدكم ثلاثين عامًا.. والآن أتكلم أنا ثلاث دقائق!

قلت أمام الجميع: يجب على «مبارك» أن يتقدم باعتذار واضح ومحدد للشعب

لم يعلن أحد عن أنها الأخيرة، لكن أى قارئ جاد للأحداث كان يتوقع ذلك بنسبة كبيرة. فقد كان الطريق إلى المجلس مشحونًا بسيارات محترقة وعربات أمن مركزى مدمرة تسد الطريق، إنها رائحة لا تخطئها الأنف التى تمتلك بعضًا من الحساسية. القاعة تخيّم عليها الكآبة رغم تظاهر البعض بالحيوية، وقيادات الوطنى تراكمت فى غرفة زعيم الأغلبية؛ لتدخل القاعة معًا وهى تتضاحك، وكأن الجلسة واحدة من الجلسات العادية.

السيد صفوت الشريف أكثر تجهمًا عن ذى قبل؛ ربما لأنه يعرف أكثر من غيره. اللواء رفعت مطاوع نائب الأمين العام والصديق الحميم للكثيرين يغمرهم دومًا بابتسامة مشرقة، ثلاجة مليئة دومًا بالزبادى والرز بلبن يتناولها كل من يشاء كما يشاء، كان هذا اليوم بلا ابتسامة، فهو ليس ساذجًا كالكثيرين، حتى الساعى نسى أو تناسى تعبئة الثلاجة.. والغرفة باختصار صامتة وكأنها فى حالة وداع. المتجهم صفوت الشريف افتتح الجلسة لمناقشة «الوضع السياسى الراهن»، أنا كنت مستعدًا، كتبت كلمتى على غير المعتاد، وطبعت منها عشرين نسخة وزعتها على الصحفيين المتراكمين فى شرف الصحافة، وكأننى كنت أدرك أن مناخ الجلسة لن يسمح لى بإكمال ما أعددت. تحدث زعيم الأغلبية.. ولا جديد، الولاء للرئيس، الحزم مطلوب وبحث المشكلات سريعًا.. وبعد أن ساد الملل من كلمات متشابهة حتى فى طريقة الأداء، ومن تكرار ذات الجمل التى ورثها الناصريون من قيادات منظمة الشباب، ثم ظلوا يرددونها حتى أيام مبارك الأخيرة، مثل «إرادة الجماهير الشعبية تفرض علينا حماية مكتسباتها»، ومثل «أقول بكل الصدق إن هؤلاء ليسوا معبرين عن إرادة الجماهير»... إلخ، وإذ تعلو سحابات الملل المصحوبة بخوف الكثيرين من مجرد أن يفتحوا فمهم فقد يكون، أو قد لا يكون الصمت من ذهب. ولم يعد أمام رئيس الجلسة المتجهم إلا أن يلجأ إلى ممثلى الأحزاب الأخرى من أمثال الجيل والتكافل والأمة والأحرار... إلخ، وكانت كلماتهم ذات الصوت العالى تقول مثلما سبق وإن كانت بعبارات مختلفة وأحيانًا فيها هجوم على «شباب الميدان» واتهامات لهم.. وكان لا بد للدور أن يأتى نحوى رغم أننى طلبت الكلمة قبل الجميع. ولعل الأستاذ صفوت أراد بخبرته أن يربكنى بعد أن نقل إليه الناقلون عبر ورقة تسللت إليه خلال الجلسة بأننى وزعت على الصحفيين نص كلمة من عشرين صفحة من القطع الصغير.. فقال دون أن ينظر إلى القاعة مناديًا اسمى مشفوعًا بوعيد «الكلمة من الآن ثلاث دقائق فقط». ووجدت نفسى أقول بصوت مرتفع ولكن هادئ «تكلمتم وحدكم ثلاثين عامًا.. الآن أتكلم أنا ثلاث دقائق». ثم قلت جملتين حملتا كل ما أردت: «من الضرورى أن يقدم الأمين العام للحزب الوطنى نيابة عن الحزب اعتذارًا لجماهير الشعب على ما كان فى الماضى، وأن يتقدم ببرنامج جديد يحقق العدل الاجتماعى، ويقضى على الفساد، ويستجيب لمطالب الميدان». ثم جملة أخرى أن نص الدستور يقول «يتولى رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية ويمارسها»، وبهذا يكون الرئيس مسئولاً عما تولاه وعما مارسه عبر السلطة التنفيذية التى... وعددت عشرات من الخطايا، وعليه أن يتقدم للشعب باعتذار واضح محدد، وهنا أعلن الرئيس عن أن الثلاث دقائق انتهت ونادى على متحدث آخر. وحملت أوراقى صامتًا وأنا أعتقد تقريبًا أننى لن أعود إلى هذه القاعة.

المثير للدهشة أن عشرات الأعضاء والصحفيين والعاملين والسعاة قد هنأونى، ومن بينهم أعضاء تكلموا فى ذات الجلسة نفاقًا، أما اللواء رفعت فلم يقل، وإن وقف وقبلنى.

على هامش المذكرات

كتاب مهم لم ينشر بعد للسعيد

قبل وفاته كان رفعت السعيد قد انتهى من كتابه «صفعات من صفحات كتاب مرسى»، مكون من ٣٨٥ صفحة من القطع المتوسط، وكان يعتبره وثيقة بالغة الأهمية تقوم بتشريح وشرح ما ارتكبته الجماعة الإرهابية خلال حكمها.

فى البداية اعترضت زوجته السيدة «ليلى» على كلمة صفعات فى العنوان، قالت لرفعت: الناس فى السجن ولا يستطيعون الرد عليك، فيكفى أن تورد لهم ما قلته فى وجودهم وهم حاكمون، ففكر فى تغيير عنوان الكتاب.

وأيًا كان العنوان الذى استقر عليه رفعت السعيد، فإن الكتاب لم يصدر حتى الآن، ولا بد أنه لدى ورثته، وأعتقد أنه من المهم أن تكون هذه الوثيقة بين أيدينا، ليس لأهمية ما فيها، ولكن لأهمية من كتبها، ففى مذكراته يقول: وقد يأتى زمان يهتم فيه ناشر بنشر هذه الوثيقة، فهل يفعلها أحد.. أم أهمس فى أذنىَ الدكتور أحمد بهى الدين، رئيس الهيئة العامة للكتاب، أن يكون صاحب هذه المبادرة؟

جبهة المقاومة

كيف تكافح نساء إيران من أجل الحرية؟

قررت «زهراء» بعد هذه المرحلة أن تنتمى للحركات النسائية فى إيران، وأصبحت من أكثر المدافعات عن حقوق المرأة، ووظفت تخصصها فى علم الاجتماع لدراسة أشكال التعامل مع النساء داخل المجتمع، وبعد أن كانت بعيدة كل البعد عن كل ما هو سياسى، شاركت فى مختلف الأنشطة المعارضة للنظام، مثل الاحتجاجات التى اجتاحت إيران بعد مقتل «مهسا أمينى» عام ٢٠٢٢، على يد شرطة الأخلاق؛ نتيجة لعدم ارتدائها الحجاب الشرعى، كما نص عليه القانون الإيرانى. وصولًا إلى دعمها الكامل للمرشح الرئاسى «مسعود بزشكيان» ٢٠٢٤، الذى أصبح رئيسًا للجمهورية الآن، بعد أن قرر مغازلة ناخبيه من النساء واللائى يشكلن ما يقارب الـ٥٠٪ من الكتلة الانتخابية فى إيران، وصرح بشكل مباشر بأنه ضد فرض الحجاب الإجبارى على النساء، ورفضه قانون العفة، الذى لم يكن قد تمت الموافقة عليه من قبل مجلس «صيانة الدستور» آنذاك، بل إنه أعلن مرارًا عن رفضه لممارسات شرطة الأخلاق ضد النساء غير الملتزمات بالحجاب. لكن ونتيجة لعديد من الضغوطات الداخلية على الرئيس المعتدل الجديد، ذهبت وعوده أدراج الرياح، وتم الموافقة فى سبتمبر الماضى على «قانون العفة» بشكل نهائى، الذى يُغلظ العقوبة على النساء غير الملتزمات بارتداء الحجاب، قد تصل إلى المنع من السفر أو السجن فى بعض الأحيان، والغرامات التى قد تصل إلى ٥٠٠ مليون ريال إيرانى، واتسع نفوذ شرطة الأخلاق، وأصيبت «زهراء» بإحباط جديد، يُضاف إلى سجل إحباطات طويل تعانى منه المرأة الإيرانية.

1 من الشاه إلى آيات الله

تجسد النساء أو بالأحرى أجسادهن، منطلقًا لتشريعات الدولة فى إيران، سواء فى العهد الملكى أو حكم رجالات الدين بعد ذلك. فرغم محاولات نظام الشاه «الدولة البهلوية قبل الثورة» أن يبدو أكثر ميلًا للحداثة، ومحاولاته إنشاء محاكم للأسرة التى اعتمدت على قوانين سُنت لصالح المرأة من وجهة نظره، مثل قانون «حماية الأسرة»، الذى نالت النساء من خلاله الكثير من حقوقهن على المستوى النظرى، خاصة فيما يتعلق برفع سن الزواج من ١٣ إلى ١٨ سنة، ومنع تعدد الزوجات إلا بموافقة الزوجة كتابيًا، وأحقية المرأة فى شغل مناصب القضاء، ولكن جاء التطبيق سطحيًا للغاية على جميع قطاعات المجتمع . ففى المقابل مارس نظام الشاه قمعًا على المرأة بشكل واضح، فقد أمر رجال الشرطة، أن يُنزع الحجاب بالإجبار من على رءوس النساء فى الطرقات، ومنع ظهور أى امرأة محجبة فى الأماكن العامة والدوائر الحكومية، وأجبرهن على الظهور بالملابس ذات السمت الغربى، وتعاقب قانونًا بالحبس أو الغرامة كل من تخالف توجهات الدولة.

تلك التوجهات كانت سببًا فى قيام الثورة بطابعها الإسلامى، والتى شارك فيها النساء من الطبقات الأكثر بعدًا عن المدن التى يُطبق فيه قانون الشاه، واشتركت كذلك الحركات النسوية التى تأسست فى العهد الملكى، فى الثورة ضد النظام. واستطاع رجال الدين المزج فى شعارات الثورة بين القضايا الوطنية وفساد الشاه ونظامه والأفكار الدينية، خاصة المتعلقة بقضية الحجاب، وغيرها من قضايا المرأة.

بمجرد وصول رجال الدين إلى الحكم، قرر الخمينى ١٩٨٠ إلغاء قانون حماية الأسرة، وتخفيض سن الزواج إلى ٩ سنوات، والأهم فرض الحجاب الإجبارى على النساء. فقامت الدنيا ولم تقعد، وبدأت مظاهرات احتجاجية نسائية الطابع باجتياح إيران، وبعد العديد من المصادمات بين آيات الله والمتظاهرات، تأجل إلغاء القانون لمدة عام واحد فقط ١٩٨١، وظهر ما يُعرف بشرطة الأخلاق، التى تكونت فى البداية من الجماعات الدينية، التى شاركت فى الثورة، وشكلت ضغطًا هائلًا على النظام والمجتمع فيما بعد، وأصبحت المرأة هى المجال الأهم فى إحكام سيطرة رجال الدين على المجتمع، ومحاولة عزل النساء عن المجال العام، وحصرهن داخل المنزل، وظهر قانون يُحرم الإجهاض، وقد يصل إلى الإعدام فى حق كل من يسهم فيه. وتطبيق حد الرجم على النساء فى حال ثبوت قضية الزنا، ورفض مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة، وبدأ فصل جديد من الملحمة النسائية أمام دولة آيات الله.

2 الحركات النسائية بعد الثورة

ظهر العديد من الحركات النسائية بعد الثورة، حاولت المرأة من خلالها أن تحصل على جانب من حريتها فى ظل رجال الدين، والغريب فى الأمر أن المعارضة لقمع المرأة جاءت من التيار الدينى ذاته، خاصة التيار الأكثر اعتدالًا داخل الحوزة الدينية، فمثلًا تأسست حركة بقيادة «السيدة أعظم طالقانى» ابنة «آية الله محمود طالقانى» المتوفى فى بداية الثورة، والمعارض للتوجهات المتشددة للخمينى، رغم أن «طالقانى» كان الخطيب لأول صلاة جمعة تُقام بعد الثورة.أسست ابنة طالقانى مؤسسة «النساء المسلمات»، التى عارضت من خلالها فرض الحجاب الإجبارى على النساء مع عدم الدعوة إلى خلعه، لكن حاولت تدعيم مبدأ الحرية فى اختيار الحجاب من عدمه. وساعدتها فى ذلك الناشطة «زهرا راهنورد» زوجة «مير حسين موسوى» مؤسس الحركة الخضراء التى ظهرت فى إيران بعد انتخابات «أحمدى نجاد» ٢٠٠٩. ورغم أن تلك المؤسسة تم إغلاقها أكثر من مرة فى عهد «نجاد»، إلا أنها عادت إلى العمل بعد ذلك بقيود شديدة من قبل الدولة.

وفى المقابل ظهر التيار النسائى الأميل للأفكار الليبرالية، متمثلة فى العديد من الناشطات المساهمات فى إصدار مجلة «زنان» «النساء»، وهى أكثر ارتباطًا بالحركات النسوية العالمية من حيث الفكر والمبادئ، فتم توقيفها ومنع ظهورها ورفض رجال الدين فى قم توجهات المجلة، بعد تناولها قضية الحق فى الإجهاض، ورفض فكرة الحجاب الإجبارى. وظهر بالتبعية العديد من الحركات النسائية التى عارضت توجهات الدولة منذ ذلك الحين، لكن ظلت دائمًا تعانى من قمع الدولة، أو رجال الحوزة الدينية، وتحول الأمر تدريجيًا إلى ظهور جيل جديد من الفتيات والنساء، اللائى قررن أن يتجاوزن سلطة الدولة، ويبتعدن عن أى سياق رسمى، يعترف بشرعية وجودهن، فاتجهن إلى الصدام المباشر مع النظام، فى مشاهد تمردية لها العديد من الدلالات.

3 «زن، زندگى، آزادى»

عام ٢٠١٧، قررت فتاة تُدعى «فيدا موحد» أن تقف على صندوق كهرباء فى ميدان «انقلاب» «الثورة» أكبر الميادين فى طهران، لتخلع حجابها الأبيض اللون، ولوحت به أمام الجميع فى وجه الدولة والمجتمع، فتحولت إلى أيقونة للثورة النسائية آنذاك، وتأسست حركة شعبية تحت مسمى «فتيات شارع انقلاب»، رغم الحكم بالسجن والغرامة المغلظة على «فيدا»، إلا أن العديد من الفتيات قمن بنفس الفعل، فى العديد من ميادين إيران، لكن قرر النظام أن يتعامل بمنتهى العنف الأمنى مع الحركة الوليدة. الغريب أن تلك الحادثة وما أعقبها تمت فى عهد الرئيس المعتدل الإصلاحى «حسن روحانى»، الذى لم يستطيع أن يُحرك ساكنًا أمام سطوة آيات الله فى ذلك التوقيت، مما قد يذكرنا بمشهد «مسعود بزشكيان» وقانون الحجاب الإجبارى.

امتدت فكرة «فتيات شارع انقلاب» لتتطور إلى حركة أخرى ظهرت على مواقع التواصل الاجتماعى «التى يحاول النظام السيطرة عليها قانونًا»، وانعكست داخل الشارع، بقيادة ناشطة نسوية تُدعى «معصومة على نجاد»، التى أسست حركة «الأربعاء الأبيض»، ودعت خلالها لأن ترتدى النساء كل يوم أربعاء، حجابًا باللون الأبيض فقط، إعلانًا عن رفض الحجاب الإجبارى، مع عدم خلع الحجاب حتى لا يتعرضن لقمع أو مضايقات أمنية مثلما حدث مع «فيدا موحد»، ونجحت تلك الحركة نسبيًا فى إيران، ورغم أن «معصومة» تعيش فى الولايات المتحدة الأمريكية، لكن كان لها تأثير على الداخل بشكل ملحوظ بالتنسيق مع الحركات النسائية فى الداخل، ما أدى إلى ممارسة النظام آليات قمعية مختلفة، فقد سعى بشكل قوى إلى السيطرة على شبكات التواصل الاجتماعى، وتم سن القوانين التى تمنح الدولة شرعية حجب الإنترنت، ومتابعة حسابات النشاطات فى الداخل وعلاقتهن بمثيلاتهن فى الخارج، وإصدار العقوبات القانونية لكل من يثبت تورطه فى أى حركة ضد توجهات الدولة، وتحول الأمر تدريجيًا إلى مزيد من محاولات السيطرة على الحركات النسائية، أو أى مطالبات بالحرية.

وفى عام ٢٠٢٢، فى عهد الرئيس السابق «إبراهيم رئيسى» ظهرت الحركة النسائية الأهم خلال السنوات السابقة، وهى «المرأة، الحياة، الحرية» «زن، زندگى، آزادى»، كردة فعل على مقتل «مهسا أمينى»، وهى الحركة الأكثر تأثيرًا وانتشارًا، فرغم إخماد الاحتجاجات آنذاك، بعد مقتل ما يقارب الـ٥٠٠ شخص، إلا أن الحركة امتدت بعد ذلك على المستوى المحلى والدولى، وتحولت إلى حركة شبه عالمية للتضامن مع حقوق المرأة فى جميع دول العالم، خاصة دول الشرق، وتضامنت الحركة مع القضايا النسوية فى الإقليم، مثل قضايا المرأة الفسطينية أمام الاحتلال الصهيونى على سبيل المثال.

ومن ضمن قيادات الحركة «نرجس محمدى» التى نالت جائزة نوبل للسلام عام ٢٠٢٣، لدعمها حركات التحرر النسوى فى إيران، ورغم أن نرجس قابعة فى السجون الإيرانية بتهم مثل تهديد السلم الاجتماعى، والدعوة إلى الفتنة، إلا أنها تحولت إلى رمز نسائى، داخل إيران وخارجها، وأصبح للحركة حضور قوى فى الداخل الإيرانى، وظهر العديد من الدعوات لخلع الحجاب والصدام المباشر مع شرطة الأخلاق.

الأمر لم يتوقف، الآن، فقط على مهاجمة النساء فى الشوارع أو الميادين العامة، ولكن كما أخبرتنى الصديقة الإيرانية «زهراء» أن المحلات والمطاعم الآن، تعلق لافتة أنها لن تقدم خدماتها لغير الملتزمات بالحجاب الشرعى، لأن عناصر الشرطة والباسيج لهم السلطة القانونية لمداهمة وغلق أى محل أو مطعم يقدم خدماته لنساء غير مرتديات الحجاب الشرعى. كما يحرمن من استخدام المواصلات العامة، أو دخول الهيئات الحكومية، أو حتى ممارسة حقهن الانتخابى حال أى استحقاق انتخابى تشريعى أو رئاسى. أى حصار كامل لأى صوت نسائى يعلو على صوت آيات الله، على حد تعبيرها.

4 جواهر الله وثورة الحرية

تبنت الحركات النسائية فى الخارج الحركات النسائية فى الداخل الإيرانى، فبعد محاولات القمع التى تمت ممارستها على الإيرانيات، انتقلت القضية برمتها إلى النشاطات النسوية والجمعيات الحقوقية فى الدول الغربية، وبدأ فصل جديد من مناصرة النساء فى إيران، وصدرت مجموعة كبيرة من الكتب والأبحاث، التى كان لها صدى قوى على الحركة النسائية الإيرانية محليًا ودوليًا. يُعد كتاب «جواهر الله.. الحكايات المسكوت عنها للنساء فى إيران» Jewels of Allah : The Untold Story of Women in Iran، للكاتبة الإيرانية «نينا أنصارى»، الإيرانية الأمريكية، والناشطة المدافعة عن حقوق المرأة، والأستاذة فى جامعة كمبردج، من أهم الكتب التى تشير إلى طبيعة تعامل المجتمع والنظام للنساء فى إيران، فحاولت من خلال الكتاب أن تقدم تحليلًا اجتماعيًا وسياسيًا لواقع المرأة فى الداخل. تم ترجمة الكتاب إلى الفارسية، وأصبح له حضور قوى بين المنتميات للحركة «المرأة والحياة والحرية»، وبطبيعة الحال تم منعه من التداول داخل إيران، ولكن له وجود كبير على شبكات التواصل الاجتماعى، والجدير بالذكر أن «نينا أنصارى» هى ابنة « هوشنج أنصارى» آخر وزير اقتصاد قبل الثورة الإسلامية.

ومن الكتب المهمة التى تؤرخ لمرحلة احتجاجات «مهسا أمينى» كتاب «ثورة المرأة والحياة والحرية فى إيران» للكاتب الإيرانى بهرام رحمانى، وهو صحفى وناشط له توجهات يسارية مقيم الآن فى السويد، يرصد من خلال كتابه مشاهدات المعاصرين لفترة الاحتجاجات، وأهم الأسماء التى تم احتجازها، وتطور الحركة النسائية فى إيران، و أزمات القمع المرتبطة بالحجاب الإجبارى. ويرصد فكرة غاية فى الأهمية مرتبطة بأن النظام الإيرانى ليس له وجه إصلاحى، كما يحاول تقديمه فى أشخاص رؤساء الجمهورية، أمثال «محمد خاتمى» أو «حسن روحانى»، وصولًا إلى «مسعود بزشكيان»، فكل الأوجه التى تبدو معتدلة أو إصلاحية تنتمى فى عمقها إلى التيار المتشدد أو الأصولى على أفضل تقدير، فأغلب الحركات الاحتجاجية فى إيران تم قمعها أمنيًا وعسكريًا فى عهد رؤساء لهم سمت إصلاحى. المرأة فى إيران وقضية الحجاب تحديدًا، هما المرصد الحقيقى لتطور الحياة السياسية أو الاجتماعية، فرغم محاولات الرئيس الحالى أن يقدم بعض العناصر النسائية داخل تشكيل حكومته الجديدة، لكنه فى العمق لا يستطيع مواجهة التيارات المتشددة والمسيطرة على مفاصل الدولة والمجتمع. فما زالت « زهراء» والكثيرات أمثالها فى حالة غليان اجتماعى، قد ينفجر فى لحظة تاريخية، تُعيد صياغة الواقع فى إيران.

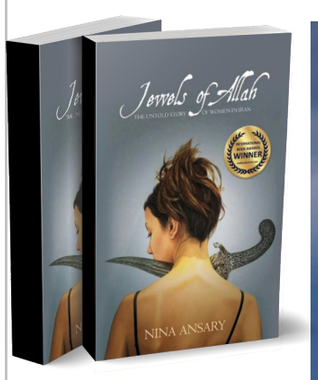

تجسد النساء أو بالأحرى أجسادهن منطلقًا لتشريعات الدولة فى إيران

الرئيس الإيرانى لا يستطيع مواجهة التيارات المتشددة والمسيطرة على مفاصل الدولة والمجتمع

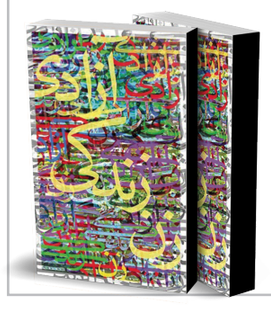

القانون يُغلظ العقوبة على النساء غير الملتزمات بارتداء الحجاب

د. أحمد لاشين

„لم يوافقوا على تعيينى كأستاذة جامعية، رغم تفوقى، وتميزى الدراسى، لأننى لم أمارس يومًا العمل العام تحت سلطة قوات الباسيج (التعبئة)، كما أن لديهم علامات استفهام حول ولائى لنظام ولاية الفقيه، لأننى كتبت أكثر من مرة على صفحتى الشخصية أننى ضد فرض الحجاب بالقوة على النساء فى إيران، بل إن أحد أعضاء اللجنة المعممين، قالها لى صراحة: كونك امرأة لا يضمن لكِ العديد من الفرص المناسبة داخل الدولة، إلا إذا كنت منتمية لإحدى المؤسسات التابعة للحرس الثورى، كما أن موقفك من الحجاب الشرعى لا يبشر بخير». هكذا أخبرتنى «زهراء» إحدى الصديقات من إيران، وهى فى غاية التأثر والإحباط، فبعد سنوات من الدراسة والتفوق، وتوقعها أن يتم تعيينها فى إحدى الجامعات الإيرانية، تم رفضها من قِبل لجنة الاختيار والتحكيم، بناء على الهوى والميول والانتماءات الفكرية والسياسية.كانت صدمتها الحقيقية فى أن معيار الكفاءة ليس هو الحكم النهائى فى شغل الوظائف داخل الدولة، ولكن الولاء الكامل للنظام، والمشاركة فى أحد الأنشطة التابعة لقوات الحرس الثورى أو الباسيج المسيطرة على مفاصل المجتمع ومختلف أنشطته التعليمية والثقافية، وعدم مخالفة النظام فى أى توجه أو رأى حتى ولو بشكل سلمى، هو الشرط الوحيد لضمان المستقبل للمرأة فى إيران.

المتحول الكبير 2

العُقد الكبرى

لماذا كان محمد جلال كشك يكره هيكل؟

شعبان يوسف

ظل الكاتب الصحفى الكبير محمد حسنين هيكل محل ترصد وهجوم وغيرة، وصلت إلى حد تنافس شرس بينه وبين كثير من الكتّاب والصحفيين الذين عاصروه، وكان بعضهم يمارس مهنة الصحافة من قبله، ومنهم من التحق بها من بعده، ومنهم من عمل محررًا ورئيسًا لتحرير صحفهم، مثل الأخوان مصطفى وعلى أمين، ومنهم من كان زميلًا له، ثم تجاوزه هيكل فى سمات كثيرة، مثل الكاتب الصحفى موسى صبرى، الذى أمطر حسنين هيكل بكم كبير من الصفات الخبيثة فى كتابه «خمسون عامًا فى قطار الصحافة»، وشاع أن بطل روايته «دموع صاحبة الجلالة» محفوظ عجب، كان يرمز به إلى هيكل، وهو الكاتب الصحفى الوحيد الذى كان مجالًا خصبًا لكتابة الروايات، وقد شاع كثيرًا أن يوسف عبدالحميد السويفى فى رواية «الرجل الذى فقد ظله» لفتحى غانم، هو هيكل نفسه، وكذلك كان هيكل مجالًا لإحدى روايات إحسان عبدالقدوس، كل هؤلاء وغيرهم كانت حياة هيكل وصعوده مثيرة وملهمة فى كل تفاصيلها، منهم من كان ينافسه لكى يكون الشخص الأقرب إلى السلطة، مثل مصطفى أمين، وموسى صبرى، ومنهم من كانت حاسته الأدبية هى العنصر الوحيد الذى دفع فتحى غانم لكى يكتب عنه فى روايته الشهيرة، وكان فتحى مشغولًا طوال حياته فيما كتبه من روايات وأعمال أدبية بما يحدث فى الصحافة، وكثرت الاستنتاجات والتخمينات والتكهنات فى شخصيات كثيرة فى رواياته، أما إحسان عبدالقدوس فكان استغراقه الكبير فى الصحافة، وتأمله العميق فى الأدب، الدافع الرئيسى لكتاباته عن الحياة الصحفية، وكثيرًا ما كان يتساءل: هل أنا أديب، أم صحفى؟، كان ذلك السؤال يطارده، خاصة فى مرحلته الحياتية والصحفية والأدبية الأولى، التى كان يسجل فيها رحلاته الصحفية، فى أشكال سردية، حتى تحرر من تلك المزاوجة فى مراحل تطوره التالية.

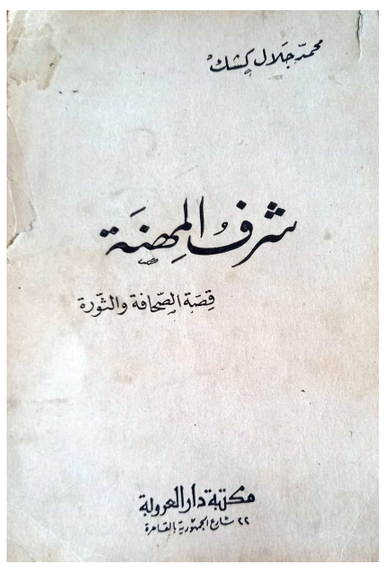

وكل من عمل بالصحافة منذ عقد الأربعينيات، ومر بالأحداث التى مرّت بمصر، ومنذ وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، ونمو حركات التحرر فى مصر والعالم العربى، والصراعات الحزبية الشرسة التى كانت على الساحة فى مصر، ثم أحداث الإسماعيلية فى ٢٥ يناير، والتى كانت مواجهة بين المحتل الإنجليزى، وقوات الشرطة المصرية، ثم حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢، وإقالة حكومة حزب الوفد، لتأتى عدة حكومات أخرى، وتفشل، وتقوم ثورة ٢٣ يوليو لتكتب صفحة جديدة ومختلفة، يتفق البعض معها أو يختلف، لكن أحدًا لا يستطيع أن ينكر ذلك التأثير الذى أحدثته وتركته فى البلاد، التغيير الجوهرى فى طريقة ونظام الحكم فى البلاد، ومن ثم كانت الصحافة مجالًا مهمًا وعميقًا فى الارتباط بالسلطات، قديمها وجديدها، ولأن محمد حسنين هيكل كان يتمتع بذكاء كبير، استطاع أن يكون قريبًا دائمًا من مركز الحدث، وكذلك من صانعى الحدث، والأكثر قدرة على التفاعل مع الحدث وصناعه، والتعبير عنه بأفضل الطرق، وربما أسرعها، ولذلك كان دائمًا محل اهتمام من صانعى الحدث، وهذا ما جلب عليه الأحقاد، وكافة العداوات التى واجهها هيكل كانت نابعة من تلك المساحة.

ورغم كتابات فتحى غانم، وموسى صبرى، ومصطفى أمين، وإحسان عبدالقدوس، وغيرهم فى مواجهة هيكل، لم أقرأ بغضًا وعداوة وتربصًا وكرهًا مثلما قرأت عند الكاتب الصحفى محمد جلال كشك، وهو عاش فى العمل الصحفى والسياسى منذ أواخر عقد الأربعينيات، عندما كان فى محافظته المنيا، وكان عضوًا فى الحزب الشيوعى «الراية»، ثم كتب وأصدر كتابه الأول «مصريون... لا طوائف» عام ١٩٥٠، وكان الكتاب، كما كتبنا سلفًا فى الحلقة السابقة، ينتصر للفكر الطليعى والإنسانى، الذى يرفض التعصب والتطرف، والتفرقة بين الأديان، ويعتمد المواطنة كأساس للحياة بين الناس، وهذا أمر سنتناوله لاحقًا، ثم جاء بعده كتاب آخر أيضًا، يسير على الطريق الطليعى نفسه «الجبهة الشعبية» ١٩٥١، وهكذا تلاحقت الكتب التى تنحاز للحياة الأكثر اعتدالًا وإنسانية، وفى تلك الأثناء، انفصل، أو تخلى، أو أزيح عن الحزب الشيوعى، وانضوى تحت راية ثورة يوليو، والكتابة عنها كأنه واحد من داعميها الكبار الذين يمدحونها ليلًا ونهارًا، وتجلى ذلك بشكل قوى فى كتابه «روسى وأمريكى فى اليمن»، والذى كتبه عن رحلته فى بلاد اليمن السعيد، وعمل فى تلك الفترة فى مجلة «روزاليوسف» مع الأستاذ إحسان عبدالقدوس، وفى صحبة وزمالة كل كتّاب المجلة، وكان يكتب فى الشئون العربية، ولذلك توطدت علاقته بالأنظمة والصحافة العربيتين، وكانت ذروة مديحه لصحافة يوليو، المسرحية التى كتبها فى عام ١٩٦١، ونشرت فى مستهل عام ١٩٦٠، وتضمنت دراسة مهمة للكاتب الكبير يحيى حقى.

فى تلك الفترة، بدأت رياح الانقلاب الثالث لمحمد جلال كشك، امتزجت رؤيته السياسية والفكرية بأبعاد مناقضة للمرحلة التى بدأ بها، وذلك يعنى أن أزمة كان يمرّ بها، جعلته يتخلى عن مبادئه الأولى دون تفسير ذلك، وانضوى تحت لواء القومية العربية الإسلامية التى كان يدعو لها المحقق محمود محمد شاكر، وإلى جانب أنه كان يكتب فى مجلة روزاليوسف، راح يكتب فى مجلتى «الرسالة، والثقافة»، ومن مجلة الرسالة انطلقت الحملة الشعواء ضد الدكتور لويس عوض، وغالى شكرى- لم يكن حصل على الدكتوراه فى ذلك الوقت- وعبدالرحمن الشرقاوى، وغيرهم من الكتّاب الطليعيين، وكان هو التلميذ الأول للأستاذ محمود شاكر فى كل أفكاره وتوجهاته التى تضمنها كتابه المثير «أباطيل وأسمار»، وكان لويس عوض وجبة دسمة لهما، كما أنه- أى جلال كشك- تخلى تمامًا عن كل أفكاره الأولى، وكانت الحملة التى شنوها على لويس عوض، منظمة، حيث تناول محمود محمد شاكر كتاب «على هامش الغفران» للويس عوض، وتناول جلال كشك مسرحيته «الراهب»، كما تناول كتابه «المؤثرات الأجنبية فى الأدب العربى»، وكأن هناك مؤامرة فعلية على لويس عوض، والتحريض عليه، وقتله فكريًا وسياسيًا وأدبيًا، وهو يقحم حكاية الطائفية التى يضمرها هو، ثم يلصق بها الآخرين، مما سنعود إليه فيما بعد.

ظل جلال كشك يكتب كثيرًا، ورغم كل ذلك لم يحظ بأى منصب صحفى مرموق، كما أن تقلبه الدائم لم يكتب له شيوعًا وانتشارًا مثل مجايليه من الكتّاب المعاصرين له فى تلك المرحلة، منهم الدكتور مصطفى محمود، وأنيس منصور، وخالد محمد خالد، وأحمد بهاء الدين، وأحمد رجب، ومحمد عفيفى، ومحمود السعدنى، وفتحى غانم، وغيرهم من الكتاب والصحفيين، كل هؤلاء كانت كتاباتهم تتطور وفق خطوط مستقيمة وواضحة المعالم، وكانوا مخلصين لكثير من أفكارهم، ولم ينقلبوا عليها مائة وثمانين درجة، لذلك لم يستطع أن يصنع له قارئًا أو جمهورًا واسعًا من القراء الذين كانوا يتابعون الكتّاب الآخرين، وكان محمد حسنين هيكل على وجه الخصوص يصعد بدرجات سريعة، وتعتمده الدولة كمتحدث صحفى وإعلامى على درجة كبيرة من الثقة والإخلاص لها، والموهبة، والمعرفة، والأكثر تأثيرًا لقربه من صانعى الأحداث، وهذا كان يوفر له كثيرًا من المعلومات والأخبار والوثائق التى حرمت منها صحف ومجلات ووكالات أنباء أخرى، وهذا ما قلّب عليه كثيرون، وكان محمد جلال كشك أكثرهم عنفًا وبغضًا، ولكنه لم يستطع التصريح بذلك، إلا بعد خروجه من مصر عام ١٩٦٨، ليعمل فى مجلة الحوادث مع سليم اللوزى، الصحفى الأول فى لبنان، ومن ثم يدخل كشك فى دولاب الانقلاب الرابع الذى أوصله ليكون أحد العناصر التى تمد المتطرفين بكثير من الأفكار المتطرفة.

وعندما دبّ الخلاف بين محمد حسنين هيكل من ناحية، وسياسة الرئيس محمد أنور السادات من ناحية أخرى، راح كثيرون ينفخون فى نار ذلك الخلاف، وعلى رأسهم محمد جلال كشك، الذى كان يريد أن يجد له مساحة فى المرحلة الجديدة، التى راح السادات يعمل على تقريب كثير من خصوم المرحلة الناصرية، أو على الأقل الذين كانوا بلا حيثيات فى تلك المرحلة، وكانت معظم كتابات جلال كشك فى تلك المرحلة الأولى للسادات، أى قبل انتصار السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣، ذلك الانتصار الذى كتب ميلادًا جديدًا لمصر، وكتب كذلك ميلادًا سعيدًا للرئيس محمد أنور السادات، ولم يكن كشك قد بدأ هجومه الشرس على هيكل، ولكن بدأ هجومًا خفيفًا يتلمس فيه رد الفعل، وكانت أولى لقطاته، أنه ركز على حوار أجراه سليم اللوزى فى أكتوبر ١٩٧٢ مع الرئيس السادات، وأوضح السادات فيه أن جريدة الأهرام لا تعبر فى كل ما تنشره عن وجهة نظر رسمية، وهنا يلتقط الأستاذ كشك الخيط ليقول: «.. وهذه الحقيقة آن الأوان أن تعيها القوى العربية الرسمية، وغير الرسمية، فمن الضرورى، ومن أجل أن تقوم علاقات صحيحة بين مصر والعالم العربى، من الضرورى أن تؤخذ الأهرام بحجمها الحقيقى..»، بالطبع يريد الأستاذ كشك أن ينبه المسئولين فى الداخل والخارج على أن جريدة الأهرام لم تعد جريدة السلطة، ولم يعد هيكل هو المتحدث الرسمى لتلك السلطة، رغم أنه يستدرك قائلًا: «فالأستاذ هيكل، صحفى، وصحفى ممتاز، ومعلق سياسى تثير مقالاته اهتمامًا واسعًا لسعة اتصالاته ورشاقة أسلوبه... ولكنه لا يمثل وجهة النظر المصرية، وبالتالى لا يجوز أن تحمل مصر نتائج اجتهاداته، ولا أن يعمد البعض عن قصد، أو عن سوء فهم إلى الرد على مصر، الدولة والشعب كلما أساء اجتهاد من اجتهادات الصحفى هيكل، ولقد مرت فترة كان كل مقال للأستاذ هيكل يمر بأزمة عربية..»، وهنا يصول جلال كشك ويجول فى أرشيف هيكل منذ بداية عقد الستينيات، ويُحمله كثيرًا من كل الكوارث التى حدثت لمصر، للدرجة التى يقول بأن أى متاعب كانت تنال المصريين فى البلدان العربية كانت نتيجة لمقال من مقالات هيكل، فالاتحاد الثلاثى انفرط من خلال مقالة لهيكل، والتى كان عنوانها «إنى أتهم»، «.. وعبدالسلام عارف مات مقهورًا من إشارات الأستاذ هيكل الدائمة إلى مذبحة قصر النهاية»، وبعد أن يعدد جلال كشك كثيرًا من الكوارث المزعومة بين مصر والبلدان العربية، يقول: «.. وعشرات الأمثلة التى يمكن ذكرها، لولا أن فى إعادتها تحريك لحساسيات ليس من مصلحة العمل العربى أن تستمر»، ولا يترك كشك المجال مفتوحًا على مصراعيه، حتى تكون الرسالة واضحة، ويوجه خطابه للرئيس السادات قائلًا: «وفى عهد السادات، عهد الوضوح، والأحجام الحقيقية، لم يعد الإخلاص للعمل العربى أن يحمّل الناس فى الخارج، مصر الدولة والشعب، مسئولية كل ما يكتب فى الأهرام..»، ليس هذا ما يريده فقط محمد جلال كشك، أن يعمل على تقزيم جريدة الأهرام، وبالتالى تقزيم الأستاذ هيكل، وتحجيم سلطاته، بل إخراجه تمامًا من محيط السلطة، وذلك بين الخبث والوضوح، والغمز واللمز مثلما يقول: «فمن حق الأهرام أن تجتهد وأن تخطئ، ومن حق أى صحيفة عربية أن ترد عليها وتناقشها، دون أن تتأثر علاقات الدول العربية»، وهو هنا يقدم أفكاره للسلطة الجديدة، ويحذرها بقوة، وفى معظم مقالاته التى كتبها ونشرها فى مجلة الحوادث، ونشرها فيما بعد فى كتاب «كلام لمصر» عام ١٩٧٤، يوجه رسائل شديدة الوضوح بضرورة الإطاحة بهيكل، وتقليص نفوذه، ولا يخفى غيرته الشديدة، وبالتالى يقدم نفسه لكى يشغل مكانه، أو يشغل مكانًا يتمناه كرئيس لتحرير صحيفة من الصحف المصرية، ولا ينسى أن يورد واقعة شهيرة عندما أجرى هيكل حوارًا صحفيًا مع الرئيس الراحل معمر القذافى، وأن القذافى ذهب بنفسه إلى جريدة الأهرام، وظل الحوار بين هيكل والقذافى منذ العاشرة صباحًا، حتى الثامنة مساءً، وهذه واقعة أغاظت صحفيين كثيرين، ومن الواضح أن القذافى قال ما يفيد بأنه يكن تقديرًا كبيرًا لهيكل، وما قدومه بنفسه إليه فى جريدة الأهرام، إلا نوعًا من التقدير الخاص، وهنا يطلق جلال كشك عدة صافرات إنذار للسادات والسلطة المصرية، أن يغلّوا يد هيكل عن العلاقة بين مصر وليبيا، لأن حسنين هيكل أفسد كل العلاقات المصرية العربية، وبالتالى سيفسد العلاقة بين مصر وليبيا، خاصة أن بوادر تلك الأزمة بدأت عندما رصد القذافى مبلغًا وصل إلى ملايين الجنيهات لإنشاء صحيفة فى بيروت، وهذا يدل على أن القذافى نفسه لم يعد واثقًا بأن ينشئ تلك الصحيفة فى مصر، وهنا سال لعاب كثيرين على الأموال الليبية.

وفى سياق الخطوات الأولى للهجوم على هيكل، التى تطرق فيها إلى تفاصيل كثيرة، يعقد مقارنة بين هيكل وإحسان عبدالقدوس، وهى تعليقات يراها المعلقون- كما يقول- مختلفة تمامًا، لماذا؟، يقول كشك فى مقال له بتاريخ ١٧ أغسطس ١٩٧٣ بمجلة الحوادث: «الفرق بين إحسان وهيكل هو أن الأول ولد صحفيًا ورفض كل إغراء بأن يتخطى دوره كصحفى، والثانى وضع الصحافة فى خدمة السلطة، واستعان بالسلطة والاتصالات والنفوذ والإرهاب فى العمل الصحفى، إحسان كان على صلة بالضباط الأحرار قبل الثورة بفترة كافية عمل فيها عدد من قياداتهم فى مؤسسة روزاليوسف- لم يذكر بالطبع أسماء أى ضابط- وائتمنه هؤلاء على نشر سلسلة مقالات الأسلحة الفاسدة التى كانت أهم عمل إعلامى مُهد للثورة، وأسقط هيبة النظام...، أما هيكل فقد ربط مصيره بدار أخبار اليوم، وكانت على صلة وثيقة بالقصر الملكى، وبينما كان إحسان يكتب عن السلاح الفاسد، كان هيكل أول صحفى يسمح له بدخول القصر وحضور حفلات السراى، ليكتب عنها سلسلة مقالات «تعال معى»، يشيد فيها بمآثر فاروق، وبينما كان الضباط الأحرار يعملون فى روزاليوسف- لم يذكر أيضًا نماذج- كان هيكل وثيق الصلة بآخر حكومات السراى، إلى حد ترشيح محمد نجيب وزيرًا للحربية فى حكومة نجيب الهلالى...».

هذه كانت المرحلة الأولى التى قرر جلال كشك أن يطارد فيها هيكل، ويهاجمه، ويفتح ملفات عفا عليها الزمن، ملفات لم يقترب منها إلا فى تلك الفترة التى شعر بأن الساحة سوف تخلو، وتنتظر مَن يحل محل هيكل، لذلك راح يقلّب الأوراق كلها، لإزاحة ذلك الخصم القوى بالنسبة له ولكثيرين، وقبل أن يكتب لإفساد الرواية الهيكلية عن تاريخ الفترة الناصرية، فى كتابه «كلمتى للمغفلين»، و«ثورة يوليو الأمريكية»، وللأسف يزعم كشك كثيرًا من الوقائع التى لا يأتى بأدلة على حدوثها، فضلًا عن أنه ينفى صحة أحداث، هو ذاته أكد عليها فى مطلع التحاقه بالعمل العام السياسى والصحفى فيما بعد، فهو أراد فى كتاباته التى كتبها لمهاجمة هيكل وجمال عبدالناصر، أن ينفى أى إنجاز لعبدالناصر، وسخر من هيكل عندما ذكر بأن انتصار المصريين عام ١٩٥٦ كان انتصارًا، وللأسف هو نفسه روى فى كتابه «روسى وأمريكى فى اليمن»، بأن المصريين حققوا انتصارًا تاريخيًا فى تلك الحرب، بل إن الفصل الأخير فى مسرحيته «شرف المهنة» كله جاء تمجيدًا فى انتصار المصريين عام ١٩٥٦، ولكنه لا يذكر الحقيقة إلا من وجه واحد فقط، وهذا ما سوف نسرده فى الحلقة المقبلة إن شاء الله.

محمد حسنين هيكل

مصطفى وعلى أمين

> السادات كان يعمل على تقريب كثير من خصوم المرحلة الناصرية أو على الأقل الذين كانوا بلا حيثيات فى تلك المرحلة

الأسطى

صلاح السعدنى.. سَحبة قوس فى أوتار كمان

„تنفرط الأيام عود كهرمان.. يتفرفط النور والحنان والأمان„... بهذه الكلمات رسم ملك العامية سيد حجاب شخصية بطل خان دويدار وفنان الأرابيسك، „الأسطى حسن النعمانى„ ليغلف بها تتر عمل من أعظم المسلسلات فى تاريخ الدراما المصرية، „أرابيسك„، قبل أن يأتى „حسن أبوكيفه„ ممسكًا الأزميل والحفار، متشبثًا بالأبنوس والعاج، يغمر بموهبته وجدعنته وشهامته كل من حوله فى الخان، فهو الصديق والأخ، وهو أيضًا الفتوة ابن البلد.

صال وجال فى „ليالى الحلمية„، وتحولت حكاية العمدة سليمان غانم ووصيفة المرزوقى إلى سهرة منفصلة وحدوتة ينتظرها الملايين، على مدار خمسة أجزاء من سلسلة مسلسل „ليالى الحلمية„، بعدما نجح بخفة دمه فى تحويل دورة العُمدة إلى أيقونة للمسلسل الخالد.

هو المتلون وصاحب الألف وجه، يُغير جلده وفق احتياج الإبداع، يتحول من الأسطى والصنايعى والعُمدة والمراكبى إلى الدكتور عزيز محفوظ عالم الطاقة النووية وأنبل الأصدقاء فى رائعة مسلسل الأصدقاء..

إنه الأسطى „صلاح السعدنى„. شهم وجدع، أصيل ورجولة، موهوب ومحترف، صفات قلما تجتمع فى هيئة شخص واحد، ولكنه كسر القاعدة وحطم المستحيل، حين نجح صلاح السعدنى فى أن يجمع كل تلك الصفات فى شخصه، حتى أصبحت صفته فى رواية كل من يتحدث عنه: „صلاح ابن البلد„.

„ظهرك فى حزنك وضحكتك فى فرحك„، هكذا وصفوا صلاح السعدنى فى حديثهم عنه، العُمدة صاحب العشرات من الأعمال الدرامية والسينمائية والمسرحية، التى شكلت تاريخًا ثريًا ومُشرفًا، هى نتاج ما قدمه طوال مشوار فنى عامر بالأدوار المعتبرة، التى كانت وما زالت بصمة وضلعًا رئيسيًا فى تراث الفنى المصرى والعربى.

يوم الثالث والعشرين من أكتوبر فى كل عام تحتفل الشاشة وتبتهج خشبة المسرح بذكرى ميلاد رجل وأستاذ وأسطى مشخصاتى، يُصنف من بين أعظم الفنانين فى تاريخ مصر الحديث، و„حرف„ وهى تحتفى بذكرى ميلاد „السعدنى„، بحثت عمن يحكى ويروى سيرة فنان الشعب، فلم تجد أفضل وأخلص ممن رافقوه مشوار النجاح، وشاركوه احتلال قلوب المشاهدين، الذين ارتبطوا به وارتبط بهم كأنه أحد أفراد أسرتهم.

أبطال وشركاء نجاح صلاح السعدنى يتحدثون فى احتفالية „حرف„ عن صلاح الإنسان والفنان، الصديق والأب، المبُدع والعبقرى.

محمد نصر

الأسطى

«سليمان ووصيفة» فى «ليالى الحلمية» ثنائى لا يُنسى فى تاريخ الدراما

«لا تطفئ الشمس»

ليالى الحلمية

إنعام سالوسة:

مُثقف وأصيل.. ودائم النصح لزملائه برقى وشياكة

«سليمان ووصيفة» قصة حب شهدها ملايين المشاهدين فى مصر والعالم العربى، أثناء عرض مسلسل «ليالى الحلمية»، على مدار 5 أجزاء، بطلتها الفنانة القديرة إنعام سالوسة، زوجة «العمدة سليمان غانم»، الدور الأشهر للنجم الراحل صلاح السعدنى. علاقة حب لم تخل من المفارقات والاشتباك، لكنها كانت كفيلة بترك بصمة لا تُنسى فى تاريخ الدراما المصرية، إذ كان ينتظر المشاهد معاركهما الثنائية، ويتجاوب معها بتفاعل كبير.

عن «وصيفة» و«سليمان»، كسرت الفنانة القديرة إنعام سالوسة عُزلتها الإعلامية، وتحدثت إلى «حرف»، عن الحبيب والزوج «سليمان غانم».

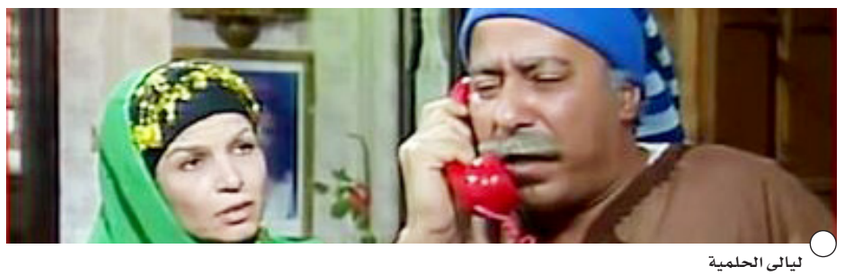

ليالى الحلمية

■ «وصيفة وسليمان» ثُنائى شهير تابعه المشاهد بشغف خلال أحداث «ليالى الحلمية».. ما الذى تتذكرينه عن هذا الدور؟

– بالتأكيد «سليمان غانم» و«وصيفة المرزوقى» ثُنائى لا ينسى فى تاريخ الفن والدراما، وهو الثنائى الذى جمعنى بالفنان الكبير صلاح السعدنى، لمدة ٥ أجزاء من سلسلة «ليالى الحلمية»، وترك بصمة كبيرة لدى المشاهد.

وأعتقد أن هذه البصمة جاءت بسبب طبيعة شخصية «وصيفة»، زوجة «العمدة سليمان غانم»، وكيف تحملت شطحاته ونزواته وتصرفاته، عبر ٥ أجزاء من المسلسل الشهير، شهدت العديد من المواقف التى لا تُنسى فى الكواليس، عنوانها الرئيسى «الجدعنة» والشخصية القيادية من قبل «السعدنى».

■ من وجهة نظرك.. ما الذى ميز «السعدنى» عن غيره من نجوم جيله؟

– الثقافة وكثرة القراءة ميزت صلاح السعدنى، ليس عن نجوم جيله فحسب، ولكن عن الأجيال الحالية أيضًا، بعد أن أصبح من النادر فى وقتنا الحالى أن تجد فنانًا يقرأ وحريصًا على التعلم طوال الوقت، حتى أثناء عمله، فقد كان يدرس العمل جيدًا بتفاصيله كافة، من أجل تقديمه للمشاهد بالصورة التى تليق.

■ ما أشهر الذكريات التى جمعتك بـ«السعدنى»؟

– «العُمدة» كان دائم النصح والإرشاد والتوجيه دون كلل أو ملل، وتوجيهه هذا كان يتم برُقى وشياكة، لذلك أدين له بفضل كبير فى مسيرتى، وفى العديد من الخطوات التى ساعدنى وأخذ بيدى إليها.

■ هل «ليالى الحليمة» العمل الوحيد الذى التقيتِ فيه مع «العمدة»؟

– جمعنى بـ«السعدنى» مسلسل «لا تطفئ الشمس» عام ١٩٦٥، من روائع المؤلف والكاتب الكبير إحسان عبدالقدوس، والمخرج نور الدمرداش، وبمشاركة الفنان الكبير كرم مطاوع، وكوكبة من النجوم الآخرين. ومَثل هذا المسلسل بداية معرفتى بالأستاذ الكبير صلاح السعدنى، الذى ظل على مبادئه وأصله الطيب وطباعه، ولم يتغير يومًا.

آثار الحكيم:

شخصية يندر تكرارها على المستويين الفنى والإنسانى

«زُهرة سليمان غانم» أحد أشهر أدوار الفنانة الكبيرة آثار الحكيم، والذى قدمت فيه شخصية ابنة «العمدة سليمان غانم»، وهو الدور الذى حفره صلاح السعدنى بحروف من نور فى تاريخه الفنى، واكتسب منه لقبه الشهير «العمدة».

كما شاركته الفنانة القديرة فى مسلسل «أبنائى الأعزاء شكرًا»، بطولة الفنان عبدالمنعم مدبولى، والذى لعبت فيه دور شقيقته الصغرى، ما جعلها تقترب كثيرًا من «العمدة»، بطريقة تُمكنها من رسم صورة كاملة عنه، من خلال حوارها التالى مع «حرف».

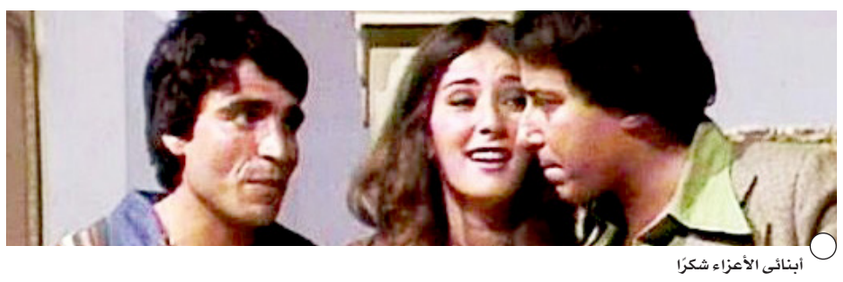

أبنائى الأعزاء شكرًا

■ «زُهرة» ابنة «العمدة سليمان غانم» فى «ليالى الحلمية»، دور منح آثار الحكيم فرصة التعامل مع صلاح السعدنى كأب قبل أن يكون فنان.. هل يمكنك أن تحدثينا عن هذا الدور؟

– الفنان الراحل صلاح السعدنى مثلما كان فنانًا شاملًا يُجيد الأدوار كافة، نجح أيضًا فى امتلاك العديد من الصفات، حتى إنه قلما تجتمع جميع الصفات الحسنة فى شخص واحد مثلما اجتمعت فيه.

من وجهة نظرى، العمدة صلاح السعدنى شخصية نادرة التكرار فى حياتنا، سواء على المستوى الفنى أو الإنسانى، زميل عمل تجده، صديقًا شهمًا وجدع تجده أيضًا. امتلك من الود والمحبة والنقاء والوضوح ما منحه محبة كل من تعامل معه عن قُرب، ولديه أيضًا من الصراحة والأمانة فى التعامل، سواء خلال كواليس العمل أو فى التعامل الشخصى، الكثير والكثير.

■ الابنة فى «ليالى الحلمية» سبقها دور الشقيقة فى «أبنائى الأعزاء شكرًا».. كيف رصدتِ تحول «السعدنى» فى الشخصيتين؟

– بل والزوجة أيضًا فى الفيلم السينمائى «كراكيب»، وكان عملًا جيدًا جدًا، وتضمن رسالة هامة، والأهم أن «السعدنى» فى كل تلك الأدوار لم يتغير، وظل الصديق الشهم، مع تعدد أدوارنا معًا، منذ دور «عفاف»، الشقيقة الصغرى وابنة الفنان الكبير عبدالمنعم مدبولى، فى مسلسل «أبنائى الأعزاء شكرًا»، والذى عُرض فى عام ١٩٧٩، ثم رائعة «ليالى الحلمية»، فى العام ١٩٨٧، والذى استمر العمل بيننا على مدار ٣ من مواسمه، وصولًا إلى فيلم «كراكيب»، كما ذكرت، فى عام ١٩٨٩.

■ فى ذكرى ميلاد «السعدنى».. ما الرسالة التى تُحبين أن توجهيها له؟

– بالتأكيد غياب «العمدة» ترك فراغًا كبيرًا فى الفن والدراما المصرية، نظرًا لقيمته الفنية والإنسانية الكبيرة، وموهبته الفريدة، وشخصيته وأخلاقه العالية، وصفاته التى لم يختلف عليها أحد ممن تعامل مع فنان بقيمة صلاح السعدنى، سواء عن قُرب أو حتى عبر الشاشة.

شهم وجدع ويمتاز بالصراحة والأمانة داخل وخارج الكواليس

أبنائى الأعزاء شكرًا

ليالى الحلمية

سهير المرشدى:

لم يفرط فى مبادئه يومًا

«عدولة دى آخر حتة فى الصنف اللى خلص وماعادش منه.. زيها زى حاجات كتير بنتلفت حوالينا دلوقتى مانلاقيهاش.. زى الحاجات الأصيلة اللى لهفتها العشرين سنة اللى فاتوا.. زى الأرابيسك يا حسنى»، كلمات جاءت على لسان «حسن أرابيسك»، فى وصفه «الست عدولة»، التى قدمت دورها الفنانة القديرة سهير المرشدى، خلال أحداث رائعة «أرابيسك»، والتى تحدثنا عن عملهما معًا، ورأيها فى شخصية «السعدنى»، أمام وخلف الكاميرا، فى الحوار التالى.

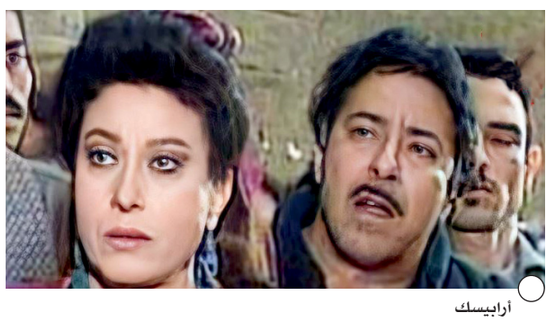

أرابيسك

■ العُمدة صلاح السعدنى كان صديقًا مُقربًا للغاية منك ومن أسرتك.. متى بدأت تلك الصداقة؟

– صلاح السعدنى أخى وليس مجرد فنان زميل، بدأت علاقتنا وصداقتنا منذ أن كنت طالبة فى معهد التمثيل، حينها قدمنا معًا مسرحية «معروف الإسكافى»، من بطولة الفنان عبدالمنعم إبراهيم، وجمال إسماعيل، وعدد من نجوم الفن، وهى عمل غنائى استعراضى رائع.

كانت هذه المسرحية بداية التعارف بيننا، ثم تحولت العلاقة إلى صداقة أسرية امتدت حتى وفاته ووفاة زوجى الفنان كرم مطاوع، بعد أن قادت الصدفة أن نتجاور فى منطقة سكنية واحدة بحى المهندسين، حيث تكونت علاقة صداقة أيضًا بين أبنائنا فيما بعد.

■ لو تحدثنا عن الجانب الإنسانى فى صلاح السعدنى.. كيف يمكن وصفه؟

– «صلاح» كان شخصًا صادقًا جدًا، وفيه كل الشهامة التى تتوقعها من المواطن المصرى الأصيل، أمين صادق محب للناس، كان يعرف جيدًا حدود العلاقات، سواء كانت صداقة أو زمالة أو حتى أخوة.

كان ذلك شيئًا مريحًا جدًا فى التعامل معه، لأنك كنت دائمًا تدرك وتعلم جيدًا موقفك معه ومساحتك، فقد كان يفرق جيدًا بين أنماط العلاقات، دون أن يخلط الأمور، عاش وفقًا للقيم والمبادئ، ولم يفرط فيها يومًا.

■ وماذا عن الجانب الفنى لدى صلاح السعدنى؟

– المبادئ عند صلاح السعدنى لا تعرف التجزئة، بمعنى أنه مثلما كان فنانًا متميزًا ومثقفًا، كان شخصًا يمتلك نفس المميزات، وكان لا يتصور أبدًا أن يكون هُناك فنان جيد وموهوب وفى نفس اللحظة كاذب أو غشاش، وهو ما ظهر جليًا على الشاشة فى أعماله كافة. كما كان لديه انتماء إنسانى ووطنى دائمًا ما يظهر فى أعماله وسلوكياته.

شاركته فى رائعة «ليالى الحلمية» بدور «سماسم»، ثم «عدولة» فى رائعة «أرابيسك»، هو شريكى فى العديد من الروائع، وكانت كواليس العمل معه مريحة من الناحيتين النفسية والفنية، لما لديه من شخصية قيادية جعلته استحق لقب «العُمدة» عن استحقاق، علاوة على روح الفكاهة والدعابة خلال التصوير، دون توتر أثناء العمل، لذا فإن ذكرياتى مع «السعدنى» لا يمكن نسيانها.

آمن بأن الفنان الجيد لا ينبغى أن يكون كاذبًا أو غشاشًا فى الواقع

أرابيسك - ليالى الحلمية - معروف الإسكافى

عايدة فهمى:

أستاذ بمعنى الكلمة.. وطليقته فى «أرابيسك» دور عُمرى

«محظوظة بالوقوف أمام العُمدة فى بداية مشوارى».. بهذه الكلمات عبرت الفنانة القديرة عايدة فهمى عن اعتزازها بالعمل مع الفنان صلاح السعدنى، خلال أحداث مسلسل «أرابيسك».

وأكدت الفنانة القديرة حُبها الكبير لشخصية «سميحة»، طليقة «حسن أرابيسك» فى المسلسل الشهير، واصفة إياه بأنه «دور العُمر» بالنسبة لها، خاصة مع موهبة وشخصية «السعدنى» التى ظهرت فى العمل، علاوة على إخلاصه ودعمه لها بلا حدود.

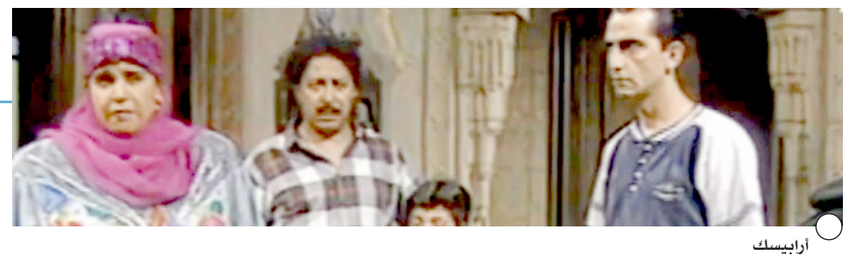
أرابيسك

أرابيسك

حرص على حضور تصوير أول مشاهدى ليحفزنى ويدعمنى

■ **«سميحة» طليقة «حسن أرابيسك»، التى تركته للزواج من غيره.. كيف كان تعامل «الأسطى حسن» مع عدوته؟**

– صلاح السعدنى كان أستاذًا بكل ما تعنيه الكلمة، كنت أقف أمامه فى مشهد، وأشعر من نظرته بأنه بالفعل الشخصية الحقيقية وليس مجرد فنان يؤدى دورًا وشخصية درامية.

كان ينقل مشاعر الكره والبغض لشخصية «سميحة» طليقته، التى كنت أؤديها بكل تلقائية وسهولة، خاصة أنها تلك الزوجة التى هربت وخطفت ابنه الوحيد.

كنت أشعر من كلماته ونظرات عينيه بكم من الغل لا مثيل له، ما كان يمنحنى ثقة لا نهاية لها، وفى نفس الوقت خوف من التعامل مع شخصية بمثل هذا الإتقان الفنى والبراعة والموهبة.

■ **دور «سميحة» كان باكورة أدوارك وأمام نجم كبير بحجم صلاح السعدنى.. كيف نجح «العُمدة» فى تقليل الفجوة وتلك المساحة من الانبهار لوجه جديد؟**

– كان دائمًا ما يوجه لى النصائح والإرشاد خلال التصوير، وأذكر خلال تصوير أحد مشاهدى مع أمى وأبى فى المسلسل، ومعنا الولد الصغير، ولكن بدون «الأستاذ صلاح»، وبعدما انتهينا من تصوير المشهد، فوجئت به حاضرًا يتابع المشهد، ثم جاء لى وقال: «برافو عليكِ، أنا حاسس بالشخصية زى ما تخيلتها هى بالضبط، البنت المتطلعة اللى عايزة الفلوس وخلاص»، قاصدًا بحديثه شخصية «سميحة».

حينها لم أتمالك نفسى من الفرحة وسألته: «بجد يا أستاذ، حضرتك اتفرجت على المشهد؟»، فرد علىّ: «أيوه، أنا جاى النهارده مخصوص عشان أشوفك. أنا كنت خايف على الشخصية دى، وعندى تخيل معين ليها. وكنت عايز أتأكد إن اللى هتأدى الدور هتطلعه بالشكل اللى فى خيالى، وأنا مبسوط جدًا لأنك أديتها زى ما كنت متخيل».

هذه الكلمات منحتنى جرعة ثقة وشجاعة إنى أقف أمامه بعد ذلك فى مشهد دون خوف. كان دائمًا ما يعطينى ملاحظات حول الشخصية، من الملابس إلى طريقة الكلام. كان يقول لى: «جربى تقولى كلمة خليجى هنا، هتبقى لطيفة».

ودائمًا ما كنت أسمع نصائحه وأطبقها بحذافيرها، لأننى كنت واثقة فيه جدًا، وممتنة لكل ملحوظة يقدمها لى. كان عملاقًا، وكل كلمة منه تجعلنى أشعر بالفخر، هو بالفعل أستاذ بكل ما تحمله الكلمة من معنى، ومحظوظة بالعمل معه.

■ **تلك العداوة على الشاشة المقترنة بالمودة فى الكواليس.. كيف جعلتك تلمسين الجانب الإنسانى فى شخصيته؟**

– «السعدنى» كان رمزًا للبساطة والأخلاق والجدعنة والتعاون مع الجميع، لم يحمل كُرهًا لأحد، وهذا سر بقائه بيننا حتى الآن بروحه الجميلة الطيبة. كان لى الشرف أنى عملت معه وزاملته فى رائعة «أرابيسك»، التى ستعيش لسنوات طويلة، وأعتبر دورى أمامه «دور عُمرى».

محمد فاضل:

عزيز النفس يعرف حدوده ويحفظ النص من أول مرة

الأصدقاء مهما بلغت الحيادية فى الرأى ووجهات بالنظر بالتأكيد ستكون شهادتهم مجروحة، لذلك ونحن بصدد الاحتفاء بذكرى ميلاد صلاح السعدنى، ذهبت «حرف» للمخرج الكبير محمد فاضل، ليكشف كواليس فى حياة «العُمدة» الفنية والإنسانية أمام الكاميرا، ويتحدث برؤيته الفنية والإخراجية عنه، فكانت رواية لم تبتعد كثيرًا عما قاله أصدقاء ورفقاء مشوار «السعدني»، خاصة ما يتعلق بـ«الجدعنة» والموهبة والاحترام.

صلاح السعدنى وعبدالمنعم مدبولى ونخبة من الفنانين الكبار

محمد فاضل

امتلك رؤية ثقافية وسياسية تفوق موهبته الفنية

أبنائى الأعزاء شكرًا

النوة

صيام صيام

■ **علاقة عمُرها سنوات طويلة مع الفنان صلاح السعدنى.. كيف بدأت؟**

– علاقتى بالفنان صلاح السعدنى لم تقتصر على علاقة العمل والزمالة فى الوسط الفنى، بل بدأت فى أوائل الستينيات، حين عملنا معًا فى مسرح التليفزيون، الذى كان يتكون حينها من ١٠ فرق مسرحية تجمع خريجى معهد التمثيل وشباب الفرق الجامعية، وضم مجموعة كبيرة من النجوم حينها، على رأسهم عادل إمام وسعيد صالح، وكان «السعدنى» ثالث الأصدقاء. استمر عرض تلك المسرحيات على مسرح التليفزيون، وكُنت وقتها مساعد مخرج، وكانت علاقتى بـ«السعدنى» أعمق وأكبر بكثير من علاقة ممثل بمخرج، فقد كان شخصًا مقربًا جدًا وصديقًا.

■ **برؤية المخرج.. كيف رأيت صلاح السعدنى أمام الكاميرا؟**

– صلاح السعدنى قيمة فنية كبيرة ونادرة، كانت لديه رؤية ثقافية ونقدية تفوق الموهبة الفنية، ويتميز بدراية سياسية وأدبية تجعله يقدم دوره بإتقان شديد، ومُلم بتفاصيل كل شخصية يؤديها.

كان يدرك دور كل من يعمل، سواء أمام الكاميرات أو خلفها، لم يتدخل يومًا فى عملى كمخرج، ولم يجعلنى أشعر بأننى أمام بطل كبير يسعى للسيطرة على العمل داخل الكواليس.

تميز أيضًا بالقدرة على حفظ نص دوره جيدًا، ومن أول مرة، فقد كانت ذاكرته حديدية، ما جعله مميزًا ومتنوعًا فى أدواره كافة، ولديه القدرة على تقمص الدور الذى يؤديه، سواء مرتديًا جلابية أو بدلة. ومن حسن حظى أن الدراما جمعتنى بـ«السعدنى» فى أكثر من عمل، من بينها «أبنائى الأعزاء شكرا» و«النوة» و«صيام صيام»، وغيرها الكثير.

■ **فى لقاء سابق وصفت «السعدنى» بأنه «من أطيب نجوم جيله».. لماذا؟**

– «السعدنى» يمتلك تقاليد وطباعًا إنسانية نادرة الوجود، خاصة من حيث الطيبة و«الجدعنة»، كما أنه شخص عزيز النفس، لم يطلب المشاركة فى عمل يومًا ما، وكان يتحمل جميع الظروف والمتغيرات التى تمُر بالفنان والوسط الفنى، دون كلل أو تفريط فى كرامته.

فردوس عبدالحميد:

مثقف و«صنايعى تمثيل» ونبأ وفاته الأسوأ فى حياتى

«صفاء» فى «أبنائى الأعزاء شكرًا»، و«أنيسة» فى «ليالى الحلمية»، و«نوارة» فى «وقال البحر».. شخصيات لعبتها النجمة الكبيرة فردوس عبد الحميد، فى أعمال عديدة ومتنوعة جمعتها بالراحل صلاح السعدني، وتميزت بحالة صداقة وود جعلتها تصف لحظة وفاته بأنها «الأسوأ فى حياتها»، خلال حوارها التالى مع «حرف»، احتفاءً بميلاد «عُمدة الدراما».

النوة

متلون أمام الكاميرا ويجيد تقديم جميع الأدوار

ليالى الحلمية

النوة

أبنائى الأعزاء شكرًا

..وقال البحر

■ **أعمال متعددة اشتركتِ فيها مع «السعدنى».. هل يمكن وصف «العُمدة» بـ«الفنان المتنوع»؟**

– جمعنى بـ«السعدنى» أعمال عديدة ورائعة، لعل أبرزها مسلسلات: «ليالى الحلمية» و«النوة» و«أبنائى الأعزاء شكرًا»، و«قال البحر»، والعديد من الأعمال التى شكلت بصمة فى تاريخ الدراما المصرية والعربية.

امتلك «السعدنى» قدرة على التلون، حسب الشخصية التى يقدمها، للدرجة التى جعلت المشاهد يقتنع أنه «العمدة سليمان غانم» فى «ليالى الحلمية»، أو الابن المدلل فى «أبنائى الأعزاء شكرا»، و«الصنايعى» المتمكن فى رائعة «أرابيسك».

كان يذاكر دوره بشغف كبير، وكان أحيانًا يمنح الشخصية التى يقدمها لمسة كوميدية تضفى عليها روحًا جميلة للغاية، كما كان يدرس الشخصية بعمق شديد للغاية، ويذهب للتعايش مع شخصيات حقيقية على أرض الواقع، لكى يستطيع أن يقدم نفس الأبعاد والتفاصيل الموجودة فى الواقع، لدرجة اقتناع المشاهد بأنه يشاهد «العمدة» أو «الصنايعى» وليس الفنان صلاح السعدنى.

■ **معنى ذلك أنه كان يجُيد اختيار أدواره؟**

– صلاح السعدنى كان فنانًا مميزًا جدًا، قادرًا على تقديم جميع الأدوار، سواء كانت كوميدية أو درامية، أو حتى «الكوميدى الخفيف»، لذا كان رحيله خسارة كبيرة للفن والدراما المصرية والعربية، خاصة أنه كان مثقفًا بشكل لا محدود، يعرف جيدًا كيف يقف أمام الكاميرا، وكيف ينتقى الدور المناسب، الذى يبقى فى ذاكرة المشاهد لسنوات طويلة.

■ **وماذا عن الجانب الإنسانى فى شخصية «السعدنى»؟**

– هو شخص مميز للغاية، ليس فقط فى الناحية الفنية، ولكن أيضًا على المستوى الإنسانى، كان شخصًا رائعًا جدًا، متعدد المواهب، وثروة فنية لا يمكن تعويضها، مثقفًا متمكنًا من أدواته الفنية، بسيطًا للغاية وصديقًا رائعًا.

ما زلت أتذكر اللحظة التى علمت فيها بنبأ وفاته، واعتبرها اللحظة الأسوأ فى حياتى، وأشعر بندم على عدم التواصل معه فى أيامه الأخيرة، فقد كنت أنتوى التواصل معه بالفعل، لكن القدر لم يمنحنى الفرصة.

نادية رشاد:

«عمدة» أمام وراء الكاميرا وموهبته جبارة

«يعنى إيه خرونج يا أسطى حسن؟».. مشهد شهير خلال أحداث مسلسل «أرابيسك»، سألت فيه «الدكتورة ممتاز محل/ نادية رشاد» عن معنى كلمة «خرونج»، التى سب بها «حسن أرابيسك» زوجها «الدكتور برهان/ كرم مطاوع»، لتتوالى بعدها مشاهدها مع الفنان الكبير صلاح السعدنى، خلال أحداث المسلسل، الذى مثل علامة مضيئة فى مشوارها الفني، تتحدث عنها فى الحوار التالى.

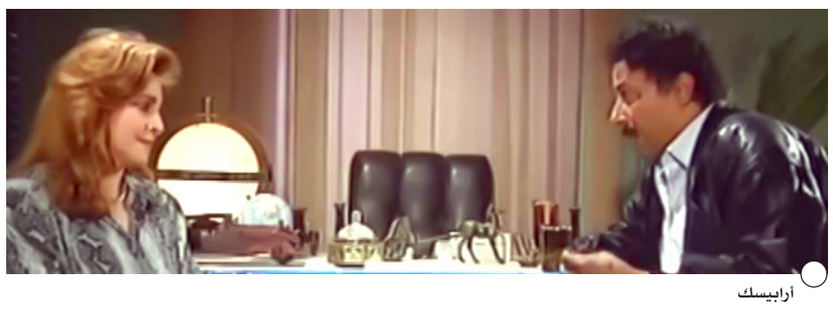
أرابيسك

■ على مسرح الجامعة بدأت علاقتك بالسعدنى.. هل تتذكرين تلك البداية؟

– بالتأكيد. بدأنا العمل سويًا فى مسرح الجامعة من خلال مسرحية «إيفانوف»، إخراج نور الدمرداش، وكنت حينها أدرس فى كلية الآداب، وكان «السعدنى» طالبًا فى كلية الزراعة. وأبهرت المسرحية حضور ومرتادى المسرح الجامعى، ومن ثم بدأت صداقتنا التى لم تنقطع أبدًا.

■ دارت الأيام والتقيتم من جديد فى خان دويدار، حيث «الدكتورة ممتاز محل» و«الأسطى حسن» فى «أرابيسك».. ما كواليس العمل مع هذا المسلسل الخالد؟

– كواليس العمل كانت مليئة بطاقة إيجابية لا مثيل لها، بفضل شخصية «السعدنى»، وقدرته على منح جميع من يعمل معه إحساس البطولة، ما ينعكس على راحته النفسية بشكل تلقائى، أمام وخلف الكاميرا.

كان «عُمدة القعدة والكواليس»، يبادر بالصلح بين المتخاصمين، ويستمع إلى الجميع، ينتظر فضفضة كل مهموم، يدعم ويساعد الشباب ويمنحهم الثقة بالنفس، ما جعله محبوبًا من الجميع، داخل وخارج الوسط الفنى.

امتلك من «الجدعنة» والكرم وطيبة القلب وحسن العشرة مع الأهل والأصدقاء ما جعله شخصية نادرة التكرار، لم يكره أحدًا يومًا، ولم يعرف الغل طريقًا إلى قلبه.، ومن خلال تجربتى فى العمل معه، أرى أنه «أسطى» فى الكواليس والموهبة، مثلما كان أسطى فى صنعته بورشة المحروسة فى خان دويدار، خلال أحداث مسلسل «أرابيسك». امتلك موهبة جبارة جعلته يتربع على عرش الدراما المصرية لسنوات طويلة، لذلك أرى أن الدراما والحياة نقصت ابتسامة و«جدعنة» برحيل صلاح السعدنى.

■ هل جمعتك أعمال أخرى مع «السعدنى» غير «أرابيسك»؟

– بالفعل، مسلسل «أرابيسك» لم يكُن التعامل الفنى الوحيد مع صلاح السعدنى على الشاشة، فقد قدمنا معًا مسلسل «آسف لا يوجد حل»، عام ١٩٨٧، بمشاركة الفنان الكبير جورج سيدهم، وكان مسلسل غاية فى الرقى والقيمة الفنية.

يهوى الصلح بين المتخاصمين فى الكواليس وتذليل العقبات

أرابيسك

آسف لا يوجد حل

لوسى:

شريك نجاحاتى.. وابن بلد وشهم يكره الغرور

«أنوار» بنت الجيران حب الطفولة والمراهقة، كانت الشخصية التى لعبتها الفنانة لوسى أمام العمدة صلاح السعدنى خلال أحداث رائعة «أرابيسك»، لكنها لم تكُن الشخصية الوحيدة حيث تحولت الحبيبة إلى زوجة فى مسلسل الباطنية، كما كان لدور حمدية بصمة مميزة فى سلسلة ليالى الحلمية، أدوار متعددة جمعت لوسى بالفنان صلاح السعدنى، تلك العلاقة الفنية التى تحولت فيما بعد إلى صداقة سردت تفاصيلها الفنانة لوسى فى حوارها مع «حرف».

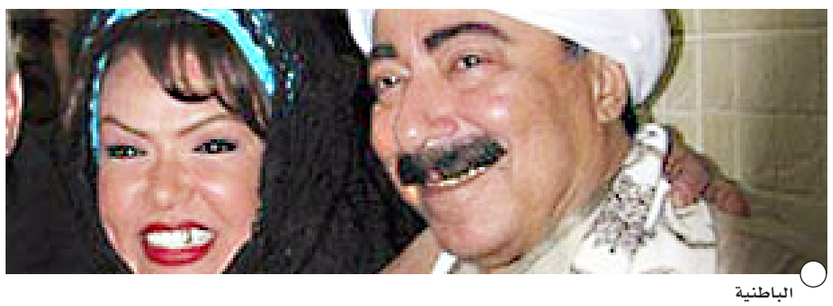
الباطنية

■ غالبية رصيدك الدرامى كان السعدنى شريكًا فيه.. كيف يمكنك وصف مشوارك معه؟

– السعدنى كان بمثابة أب وأخ وصديق فى أثناء العمل معًا، حيث قدمت معه مسلسل أرابيسك بشخصية أنوار، ومسلسل ليالى الحلمية فى شخصية حمدية، ومسلسل الباطنية وكانت بطولة مشتركة بيننا حيث ظهرت بشخصية بهيجة زوجته، مما يعنى أن أغلب أعمالى فى الدراما كانت بصحبته، وهو ما منحنى شرفًا وفخرًا كبيرًا للغاية أن أعمل مع فنان قدم للفن والدراما الكثير.

■ أدوارك معه وخاصة أنوار فى أرابيسك كانت بمثابة مرحلة بداياتك فى الدراما.. هل كان يتعامل السعدنى من منطلق النجم؟

– العمدة صلاح السعدنى كان مثالًا يحتذى به فى الجدية والصدق والتواضع سواء فى البروفات أو أمام الكاميرات، وكان دائمًا ما يوجهنى بالنصح والإرشاد أثناء التصوير، يقول لى متى أرفع صوتى ومتى أخفضه، ويحرص على قراءة السيناريو معى للوقوف على أبعاد الشخصية وطريقة تقديمها على الشاشة، وذكرياتى معه من أجمل ذكريات حياتى سواء الفنية أو الشخصية، حيث كان نموذجًا للالتزام والأخلاق والجدعنة، ولم يعرف الاستهتار أو الغرور طريقه يومًا، حيث كان أول شخص يحضر جلسات التصوير أو البروفات لدرجة التى تشعر أنه مازال وجهًا جديدًا أو ممثلًا شابًا وليس فنانًا بقيمة وقامة صلاح السعدنى التى لم يختلف عليها أحد.

■ شخصيات عديدة قدمها العُمدة.. ما الدور الأقرب للسعدنى لشخصية السعدنى فى الواقع من ضوء تعاملك معه؟

– من وجهة نظرى أن شخصية حسن أرابيسك كانت أقرب الشخصيات إلى طبيعة الفنان صلاح السعدني، من حيث الشهامة وحب الناس وروح ابن البلد الوطنى الجدع المتمسك بالمبادئ والقيم دون تفريط أو إفراط، علاوة على حبه لأصدقائه حيث ارتبط معه بعلاقة صداقة وثيقة للغاية حتى خارج التصوير والأعمال الفنية، وارتبط بصداقة مشتركة مع الكاتبة فريدة الشوباشى والمخرج الكبير صلاح أبوسيف.

وطنى وجدع ودور حسن النعمانى الأقرب لشخصيته الحقيقية

ليالى الحلمية

أرابيسك

الباطنية

لطفى لبيب:

إنسان وفنان عظيم وخيره على الجميع

«أرقى وأجدع من تعاملت معهم».. هكذا تحدث الفنان الكبير لطفى لبيب عن الفنان الراحل صلاح السعدنى والذى وصفه بصديق عمره صاحب الأفضال والعديد من المواقف التى لن ينساها له على الإطلاق من حيث الدعم والمساندة، مضيفًا، خلال حواره مع «حرف»، أن السعدنى كان دائم السؤال عليه باستمرار، حيث بدأت صداقتهما فى منتصف فترة السبعينيات.

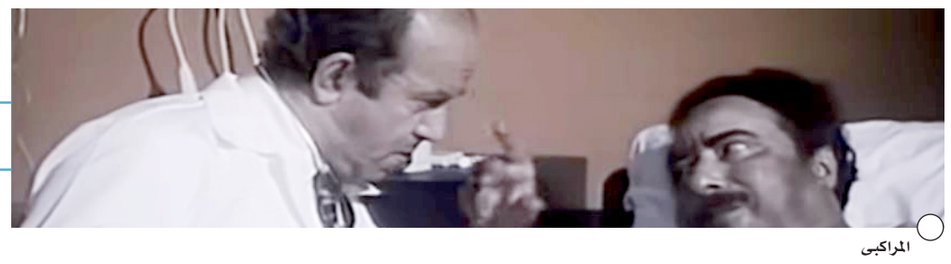
المراكبى

أرابيسك

مسرحية الملك هو الملك

■ «زقزوق صبى رمضان الخضرى وعدو حسن أرابيسك».. حدثنا عن صداقتك بالفنان الراحل صلاح السعدنى وكيف بدأت؟

– السعدنى صديق عُمرى وأكاد أجزم أننى أكثر من اقترب منه فى الوسط الفنى، وعلاقتى به لم تبدأ فى مسلسل أرابيسك فحسب، حيث شخصية زقزوق، ولكن سبق والتقينا أيضًا على خشبة المسرح فى رواية «الملك هو الملك»، والتى استمر عرضها لمدة ١٢ عامًا، وشاركنا فيها المطرب محمد منير والفنان حسين الشربينى وكوكبة من النجوم، ومن وجهة نظرى أن تألق السعدنى على خشبة المسرح يفوق ما قدمه على الشاشة فى الدراما أو السينما، حيث كان المسرح هو العائلة والتجمع الذى يحتضن الجميع.

■ السعدنى فى الكواليس كيف كان يديرها خاصة أنك خضت معه تجربة مسرحية؟

– صلاح السعدنى لديه القدرة على إضفاء حالة من المتعة والجمال على كواليس تصوير الأعمال التى يشارك فيها، وكانت لديه من الجدية والرؤية والأداء المميز الذى من شأنه رفع مستوى الفنانين المشاركين فى العمل بشكل عام دون التقليل منهم أو توجيههم بشكل به قدر من التجاوز والتعالى بل على العكس يتعامل مع الجميع من منطلق الصديق والأخ الجدع، حيث امتلك موهبة فنية عظيمة غلفها بالثقافة والاحترام والدبلوماسية فى التعامل.

■ وماذا عن السعدنى خارج العمل والتصوير؟

– العمدة صلاح السعدنى وبالرغم من موهبته الفنية إلا أنه كان لديه جانب إنسانى وأخلاقى ورقى وقلب يمتاز بالطيبة والنقاء فى التعامل لا مثيل له، يفرح لفرح الناس ويحزن لحزنهم، وتنتابه سعادة شديدة حينما يرى فنانًا يقدم أداء مميزًا دون غيرة أو حقد، ويسعى لدعم زملائه ومساعدتهم أكثر ما يسعى لنفسه، تجده بجانب الجميع فى كل الأوقات يشاركهم همومهم وأفراحهم، كان إنسانًا عظيمًا وبمثابة صديق عُمر لا أستطيع أن أنسى دعمه لى طوال حياتى.

صديق عُمرى وكواليس أعماله لا تخلو من البهجة

حصة قراءة

اعترافات داعية تطبيع مع إسرائيل

دفع لطفى الخولى ثمن مواقفه وأفكاره؛ سجينًا فى عهد عبدالناصر.. مغضوبًا عليه ومفصولًا من عمله مع السادات.. ومتهمًا بالخيانة حين عدل عن بعض آرائه وبدل انحيازاته.

ولا أنكر أن تقلباته كانت مفزعة لهؤلاء الذين لا يملكون القدرة على مراجعة أنفسهم وما يؤمنون به.

لقد امتلك لطفى الخولى القدرة على أن يتحول من رافض لـ«كامب ديفيد» إلى «داعية سلام مع إسرائيل»، ومشاركًا فى حركة تعمل على هذا الهدف، الذى يرتقى، فى العقل العربى، إلى «مرتبة الخيانة العظمى».

وكان يمكن أن يكتفى بطرح رؤاه، وتحمل العواصف المضادة، دون أن يتورط فى عمل على الأرض يمكن أن يجلب عليه حق الموت.

لكنه يقول: «أنا من مدرسة ثقافية فكرية سياسية ترى أن المفكر ليس واحدًا من مجاذيب سيدنا الحسين.. ولكنى من مدرسة (جرامشى) صاحب النظرية الخطيرة التى تسمى نظرية (المثقف العضوى)، أى المثقف الذى يحاول أن يترجم أفكاره فى حركة مع الناس، وبالتالى لا يقف على الرصيف (رصيف الأحداث).. أنا لست مثل نموذج المثقف الذى يقدم الرؤى ويعطى النصائح الرشيدة فقط، ولكنى من مدرسة ترجمة ذلك إلى فعل».

وقد أفنى لطفى الخولى سنواته الأخيرة فى محاولة وضع رؤية جديدة لحل الصراع العربى الإسرائيلى، وهى الرؤية التى جلبت عليه كل اللعنات.. غير أنه لم يتراجع عن محاولته المساعدة فى الوصول إلى سلام ينهى الصراع المسلح قبل أن نصل إلى نقطة اللا عودة.

وهى النقطة التى وصلنا إليها، تقريبًا، بعد السابع من أكتوبر 2023.

وإذا كان البعض يرى- بعد كل ما جرى على مدار العام الأخير- أن «السلام» بات من «رابع المستحيلات»، فإن حركة التاريخ تقول إنه لا سبيل فى النهاية إلا «سبيل السلام» ووقف هذا الجنون المتبادل.

ومن هنا كان ضروريًا أن نتوقف عند ما قاله واحد من كبار «المناضلين» على هذا الطريق.. وهو لطفى الخولى.. الذى أعادت الكاتبة زينب عبدالرازق اكتشافه فى كتابها المهم «لطفى الخولى.. سيجار الماركسية والتمرد»، الصادر عن مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر.

والمدهش أن الرجل يتكلم كما لو كان بيننا الآن، رغم أن حديثه يعود إلى ما يزيد على 25 سنة.

محمود الشهاوى

لطفى الخولى: هؤلاء أضاعوا السلام!

يؤمن لطفى الخولى بأنه دون تسوية سياسية سلمية سيظل شلال الدم متدفقًا.. وبأن طريق التسوية هو الوحيد القادر على حفظ دماء الإنسان سواء تحت جلد الفلسطينيين أو تحت جلد الإسرائيليين.

والتسوية لا بد لها من «حل وسط».

يفسر لطفى الخولى رؤيته ويقول: فى أى موضوع خلافى فإن أطراف الخلاف يقدمون بعض التنازلات، وهى التى تجعل هذه التسوية ممكنة وضرورية وحتمية.

ولا يخفى على أحد أنه «لا توجد تسوية سياسية فى أى قضية فى تاريخ العالم شرقًا وغربًا شمالًا وجنوبًا ليس فيها إجحاف لأطراف الصراع».

ومن المهم هنا- كما يرى- التفرقة بين الحل التاريخى للقضية الفلسطينية والتسوية السياسية السلمية.

والحل التاريخى معناه أن طرفًا يقضى على الطرف الآخر، أن ينزل طرف هزيمة ساحقة ماحقة بالطرف الآخر. وبات واضحًا، خلال تاريخ الصراع، أن إسرائيل لا تستطيع أن تنزل بنا هزيمة ساحقة، رغم ما كبدته من هزائم لنا، كذلك نحن لم نحقق انتصارًا حاسمًا.

أما التسوية فهى أمر آخر.

يرى لطفى الخولى أن من غير المعقول أن يستمر استنزاف الدم بين الطرفين، وأن يحاول كل طرف أن يصفى الآخر.. ومع ذلك لم ينجح أحدهما.

وهو يعتقد أن الطرفين لا يستطيعان أن يستمرا فى هذا الصراع، لأن نفقاته البشرية والعسكرية كبيرة.

ثم إننا لم نعد- على المدى المنظور- نستطيع أن نقول للإسرائيليين: اتركوا فلسطين وعودوا إلى بلادكم. أنتم لا تستطيعون التعايش معنا.. كما لا نستطيع تدمير إسرائيل كما يقول البعض.

زينب

وإسرائيل أيضًا لم تعد قادرة على استمرار احتلالها الأرض.

إذن فلنجرب التعايش معًا.

يقول لطفى الخولى: «على الجانبين هناك قوى أصولية يهودية، وفى الوقت نفسه توجد أصولية إسلامية، وأيضًا توجد معارضات ضد الاستمرار فى الصدام العسكرى.. لكن التيار العام يريد التسوية السياسية».

وهذه التسوية تستتبع معها أن يتحول الصراع من الصدام العسكرى إلى الصراع الثقافى والاقتصادى والتكنولوجى.. المهم أنه سيكون صراعًا سلميًا.

لكن السؤال الكبير هو: كيف؟

وفى طريق الإجابة ألقى لطفى الخولى بنفسه فى وسط النار.

كان ذلك يناير من العام ١٩٩٧ حين صدر «إعلان كوبنهاجن»، وهو إعلان عن تأسيس التحالف الدولى من أجل السلام، بمشاركة وفود من فلسطين ومصر والأردن وإسرائيل، وذلك بمبادرة من الحكومة الدنماركية، وبمباركة من عمرو موسى، وزير الخارجية آنذاك.

الهدف كان دعم عملية السلام وإقامة حوار مع العدو.

لكن بمجرد إعلان هذا التحالف انفجرت «عاصفة تخوين» فى العواصم العربية لا سيما القاهرة، وكان لطفى الخولى فى القلب منها وناله ما ناله من اتهامات ومقاطعة وتهديد، قبل أن تهدأ عاصفة الصدمة تجاه أحد المثقفين الذين أفنوا زهرة شبابهم فى تعليم الأجيال العربية صباحًا ومساءً، خاصة فى ظل مناخ انتشرت فيه المقولة الشهيرة: «عليك أن تلعن إسرائيل قبل أن تغسل يديك ووجهك».

الاتهام الأكبر الذى لاحق «جماعة كوبنهاجن» أنهم يقدمون أول اعتراف عربى شعبى بإسرائيل،

وهو الاتهام الذى يرد عليه لطفى الخولى بإيجاز قائلًا: عبدالناصر أول من اعترف بإسرائيل.

وهذا الإجمال يفصله قائلًا:

«الاعتراف العربى الإسرائيلى المتبادل والتنازل من الطرفين بدأ بعد حرب ١٩٦٧ ولكن الفكر العربى يريد محو الحقيقة.. فبعد ٦٧ قبل العرب، وقبلت مصر، قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢، الذى نص القرار على إنهاء حالة الحرب والاعتراف ضمنًا بإسرائيل دون ربط ذلك بحل قضية فلسطين، وبدأنا نتعامل مع مبعوث الأمم المتحدة لتنفيذ هذا القرار الذى قبلناه، ومعنى هذا أننا بدأنا مسيرة السلام والاعتراف الواقع بإسرائيل ٦٧ أى أن قبول القرار ٢٤٢ كان بداية التمهيد للسلام مع إسرائيل، وتم تدشين ذلك عندما وافق عبدالناصر على مبادرة روجرز، الذى هى- فى مضمونها- كما لو كانت المسودة الأولى لمعاهدة كامب ديفيد، وبالتالى يكون عبدالناصر هو أول من اعترف بإسرائيل».

غير أن لطفى الخولى ليس سياسيًا كى نحاسبه بمعايير ضروريات السياسة التى قد تتيح محظورات الثوابت، بل مثقف لديه التزامات تجاه قضايا وطنه.

ثم إنه خرج عن إجماع اليسار المصرى الذى ينتمى إليه فيما يخص التسوية مع إسرائيل.. وهو الذى قبل أن يجلس فى مكان واحد مع ضابط الموساد الإسرائيلى ديفيد كيمحى.

لكنه لا يقف عند كل ذلك.. فحركة كوبنهاجن هدفها دفع عملية التسوية السياسية الشاملة العادلة المتوازنة، التى تعانى من التعسر لأسباب عديدة فى مقدمتها مجىء نتنياهو- لاحظ معى أن الكلام يعود لعام ٩٦- إلى السلطة بتحالف الليكود المعادى للسلام، الذى يقف عند وهم بناء إسرائيل الكبرى «يقابلها عندنا جماعات تحاول بناء الوهم العربى بالدعوة إلى فلسطين الكبرى من البحر إلى النهر» وعدم الاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى.

من هنا تأتى أهمية أن يتكون، لأول مرة، تحالف قوى فلسطينية وعربية وإسرائيلية من أجل دفع عملية التسوية، تمهيدًا للسلام، فإعلان كوبنهاجن يطالب بأن يقام السلام العادل والمتوازن وقيام الدولة الفلسطينية المستقلة، فى الضفة الغربية وعاصمتها القدس الشرقية، والجلاء عن كل الجولان، والجلاء عن جنوب لبنان «تحرر الجنوب بانسحاب إسرائيل عام ٢٠٠٠ لكنه مهدد الآن بإعادة احتلال جزء منه».

يتوقف لطفى الخولى عند آراء المعارضين لإعلان كوبنهاجن، بعد تنقيتها من الشتائم والسباب يقول إنها تسير فى اتجاهين:

الاتجاه المعارض الأول وهو لا يستطيع بصراحة أن يرفض السلام مع إسرائيل، مع اعترافه بأنها دولية عنصرية ومغتصبة ومحتلة وقادمة من الخارج، وفى نفس الوقت فإن هذا الاتجاه لا يعترف بإسرائيل، ولكنه لا يرفض مبدأ السلام، وهذا كان منطلق الأمور عند

عبدالناصر وهيكل والخولى

إسرائيل مشروع استعمارى غربى قبل أن تكون مشروعًا يهوديًا غربيًا

الصدام المبدئى فى مرحلة الحرب بيننا وبين إسرائيل.. وكان هذا موقف مصر وكل العرب.. لا نريد إسرائيل ولا الاعتراف بها.. وإسرائيل أيضًا لا تريد الاعتراف بوجود الشعب الفلسطينى، وتريد أن تقفز على هذا الوضع بالاتفاق فى ذلك مع البلاد العربية وبالذات مصر.

لكن تطور الأحداث وحركتها أثبت أنّ لا إسرائيل قادرة على تجاوز الشعب الفلسطينى وإنكار حقوقه.. ولا نحن قادرون على تصفية إسرئيل بالقوة.. فحدث ما يمكن أن يسمى الانتقال إلى تسوية الصراع، أى إلى التسوية السلمية.. وفى هذه التسوية- مثل أى صراع آخر فى العالم- تحدث تنازلات متبادلة من الطرفين.. لكن الفكر العربى غير قادر على الاقتناع بالحل الوسط مع الوحيد.. وهناك اتجاهات معينة فى الفكر العربى تعترف بأن الاعتراف بالوجود لإسرائيل استسلام، وأيضًا يقولون السلام استسلام.

يقول: هذا موجود عند بعض الناس، لكنه للأسف يصطدم مع الحقيقة التى تقول بأن الحرب الحرب غير ممكنة وأحيانًا مستحيلة. وإنه ليس عندنا كعرب ولا عند إسرائيل القوة التى تنزل بنا أو ننزل بها نحن «الهزيمة الساحقة الماحقة».

أما الاتجاه الثانى فيضم بعض الأشخاص الذى لديهم تصور بأن المعجزة قادمة.. إنهم فى انتظار معجزة مثل مسرحية الكتاب الأيرلندى «صمويل بيكت».. فى انتظار الشخص الأسطورى «جودو» الذى لا يجىء أبدًا مهما طال الانتظار، وأنه لا مفر من أن يأتى «جودو» بمعجزة.. وأن يمحق إسرائيل ويصرعها وينهى الصراع.

وهؤلاء الذى يفكرون بالمنطق الغيبى.. يقولون ما دمنا لا نستطيع أن نمحو الاحتلال الإسرائيلى، ولا إسرائيل تستطيع أن تلغى الكيان الفلسطينى، فما الذى يمنع أن ننتظر عشرة أو عشرين عامًا؟ أى نثبت الوضع على ما هو عليه ونقوى أنفسنا.. ثم عندما نقوى الذات ونسلحها.. إلى آخر، نقوم بمعركة نحسم بها هذا الصراع «كان يحيى السنوار يرى فى طوفان الأقصى المعركة الحاسمة للصراع!».

وبين هذا وذاك يضع لطفى الخولى الحقيقة المطلقة «لا إدارة عسكرية للصراع».

كان يؤمن بأن أى حرب عربية إسرائيلية قادمة فيها دمار شامل للطرفين، وللإنسان والأرض والمصانع والمزارع، وبالتالى فلا أحد يرغب فى الحرب إلا إذا جاء شخص مغامر مجنون مثل نتنياهو «وصفه بأنه أخطر وأسوأ رئيس وزراء جاء فى تاريخ إسرائيل، وأنه يحرك كل القوى العنصرية فى المجتمع الإسرائيلى!

وعلامة التعجب هذه من عندى.. فكأن لطفى الخولى كان يقرأ المستقبل من ٢٧ سنة: فنتنياهو صعد إلى السلطة عام ١٩٩٧ ولم ينزل عنها إلا قليلًا.. وها هى الحرب الشاملة تقترب، ونتنياهو يفعل كل شىء لأجل اندلاعها.

وكان لطفى الخولى، ومن معه فى كوبنهاجن وبينهم إسرائيليون، يريدون قطع الطريق أمام هذا السيناريو الكارثى بالضغط من أجل الوصول إلى تسوية.

لكن الذى حدث هو العكس تمامًا.

دُمرت كل الطرق إلى السلام سنة وراء الأخرى حتى وصلنا إلى ما نحن عليه الآن بفعل انسداد الأفق أمام التسوية والحلول الوسط.

هذا التدمير قاده نتنياهو أولًا بتنصله من كل التزامات السلام ورغبته فى اختفاء الفلسطينيين، وساعدته «الأصولية الإسلامية» فى الجانب الفلسطينى فى الوصول إلى مراده، بأفعالها، من دون أن تدرى.. غالبًا.

إسرائيل لا تستطيع أن تنزل بنا هزيمة ساحقة ولم تعد قادرة على استمرار احتلالها للأرض

عبدالناصر أول من اعترف بإسرائيل ومبادرة روجرز التى قبلها هى المسودة الأولى لمعاهدة كامب ديفيد

لم نعد نستطيع أن نقول للإسرائيليين: اتركوا فلسطين وعودوا إلى بلادكم ولا نستطيع تدمير إسرائيل

Sonny Boy

آل باتشينو فى مذكراته: غسلت مراحيض المسارح من أجل التمثيل

صدرت حديثًا مذكرات النجم آل باتشينو، وسط اهتمام كبير من وسائل الإعلام الدولية، التى أفردت صفحاتها لمقتطفات كثيرة من هذه المذكرات، التى تحمل عنوان: «Sonny Boy: A Memoir» أو «مذكرات سونى بوى».

ويستعرض آل باتشينو، فى مذكراته الصادرة عن دار نشر «بنجوين»، تفاصيل رحلة صعوده، من البدايات المتواضعة إلى النجومية الطاغية. كما يسرد العديد من القصص الشخصية، وما وراء كواليس الأفلام التى قدمها خلال العقود الستة الماضية، وعلى رأسها «الأب الروحى» أو «العراب».

كانت سنوات آل باتشينو المبكرة صعبة، فبعد فترة وجيزة من انفصال والده سالفاتورى باتشينو، وهو جندى فى الحرب العالمية الثانية وموظف تأمين، عن والدته «روز»، التى كانت تعمل فى أحد المصانع، قضى أكثر الأوقات صعوبة فى حياته.

ورغم أن والدته عانت من مشاكل فى صحتها العقلية، وحاولت الانتحار عندما كان ابنها صبيًا، مثلت الدرع الحامية له، ومنعته من الخروج إلى الشوارع ليلاً، أو الوقوع فى مشاكل مع أصدقائه، لتوجه إياه طريق النجاح، وأولى خطواته الالتحاق بمدرسة نيويورك الثانوية للفنون المسرحية.

ونترككم فيما يلى مع مقتطفات من مذكرات آل باتشينو، كما وردت فى كتابه:

سونى

بدأت والدتى فى اصطحابى إلى السينما، عندما كنت فى الثالثة أو الرابعة من عمرى. كانت تعمل فى المصنع وغيره من الوظائف الشاقة أثناء النهار، وعندما تعود إلى المنزل كنت رفيقها الوحيد. بعد ذلك، كنت أستعرض الشخصيات فى ذهنى وأعيدها إلى الحياة، واحدة تلو الأخرى، فى شقتنا.

كانت السينما مكانًا حيث يمكن لأمى العزباء الاختباء فى الظلام، وعدم الاضطرار إلى مشاركة طفلها «سونى» مع أى شخص آخر. كان هذا اللقب الذى أطلقته علىّ، من الأغنية الشعبية لآل جولسون، والتى كانت تغنيها لى كثيرًا.

عندما ولدت عام ١٩٤٠، كان والدى سالفاتورى باتشينو فى الثامنة عشرة من عمره، وكانت والدتى روز جيراردى باتشينو أكبر منه ببضع سنوات. كانا والدين صغيرين.

ربما لم أكن قد بلغت الثانية من عمرى عندما انفصلا، وعشت أنا ووالدتى فى سلسلة من الغرف المفروشة فى «هارلم»، ثم انتقلنا إلى شقة والديها فى جنوب «برونكس». لم نحصل على أى دعم مالى من والدى، وفى النهاية، خصصت لنا المحكمة ٥ دولارات شهريًا، وهو ما يكفى لتغطية نفقاتنا فى منزل جدى.

كان والدا أمى يعيشان فى بيت من ٦ طوابق فى شارع «برانيت»، تحديدًا فى شقة من ٣ غرف فى الطابق العلوى، الذى يتميز بإيجار أقل. وفى بعض الأحيان كان يعيش معنا ٦ أو ٧ أشخاص فى نفس الوقت. كنت أنام بين جدى وجدتى، أو فى سرير بغرفة المعيشة.

لم أكن أعرف من قد ينتهى به الأمر إلى التخييم بجوارى.. قريب يمر فى المدينة، أو ربما شقيق أمى، عائدًا من فترة خدمته فى الحرب، هناك فى المحيط الهادئ، حيث كان يأخذ أعواد الثقاب الخشبية ويضعها فى أذنيه لإسكات الانفجارات!

القادمان من صقلية

وُلد والد أمى باسم فينسينزو جيوفانى جيراردى، وكان من بلدة صقلية قديمة، عرفت فيما بعد أن اسمها كان «كورليونى». وعندما كان فى الرابعة من عمره هاجر إلى الولايات المتحدة، ربما بطريقة غير شرعية، وهناك أصبح «جيمس جيراردى».

عندما كنت فى السادسة من عمرى، عُدت إلى المنزل من أول يوم لى فى المدرسة، فوجدت هذا الجد يحلق ذقنه فى الحمام. كان أمام المرآة، يرتدى قميصًا مع حمالات بنطاله إلى أسفل على جانبيه. كنت واقفًا فى المدخل المفتوح، وقلت: «جدى، طفل فى المدرسة ارتكب شيئًا سيئًا للغاية. لذا ذهبت وأخبرت المعلمة، فعاقبت ذلك الطفل».

قال جدى دون تردد: «إذن أنت فأر، أليس كذلك؟». كانت ملاحظة عرضية، وكأنه يقول: «هل تحب البيانو؟ لم أكن أعرف ذلك». ضربتنى كلماته مباشرة فى عقلى، ولم أشى بأى شخص فى حياتى مرة أخرى. رغم أننى الآن، بينما أكتب هذه السطور، أعتقد أننى أشى بنفسى!

كانت زوجته «جدتى كيت» ذات شعر أشقر وعيون زرقاء، مثل مای ويست، وهو أمر نادر بين الإيطاليين. كنا الإيطاليين الوحيدين فى حيّنا، وكانت معروفة بطبخها. عندما كنت أخرج من الباب، كانت توقفنى بقطعة قماش مبللة، تبدو دائمًا فى إحدى يديها، وتقول: «امسح الصلصة عن وجهك. سيعتقد الناس أنك إيطالى».

كانت أمريكا قد أمضت للتو ٤ سنوات فى محاربة إيطاليا. ورغم أن العديد من الأمريكيين الإيطاليين ذهبوا إلى الخارج للمساعدة، جرى تصنيف آخرين على أنهم أجانب أعداء، ووضعوا فى معسكرات الاعتقال.

كنت طفلًا وحيدًا، وحتى السادسة من عمرى لم يُسمح لى بالخروج من المبنى بمفردى، فقد كان الحى غير آمن إلى حد ما. كان رفاقى الوحيدون، إلى جانب أجدادى وأمى وكلب صغير يُدعى «تريكسى»، هم الشخصيات التى أتقمصها من الأفلام التى أراها فى السينما.

انتحار أمى

كانت والدتى امرأة جميلة، لكنها كانت هشة عاطفيًا. كانت تزور طبيبًا نفسيًا من حين لآخر، عندما كان جدى يملك المال لدفع تكاليف جلساتها. لم أكن أعلم أن والدتى تعانى من مشاكل، حتى حدث شىء ما.

كنت فى السادسة من عمرى، وأستعد للخروج للعب. كنت جالسًا على كرسى فى المطبخ، بينما ربطت والدتى حذائى وألبستنى سترة لتدفئتى، ولاحظت أنها كانت تبكى. تساءلت عن السبب. لم أعرف كيف أسأل، فقد كانت تقبلنى فى كل مكان. وقبل أن أغادر مباشرة احتضنتنى بقوة. كان الأمر غير معتاد، لكننى كنت حريصًا على النزول إلى الطابق السفلى ومقابلة الأطفال الآخرين، ولم أفكر فى الأمر بعد ذلك.

كنت بالخارج لمدة ساعة تقريبًا عندما رأينا ضجة فى الشارع. كان الناس يركضون نحو مسكن أجدادى. قال لى أحدهم: «أعتقد أنها والدتك». لم أصدق ذلك، لكننى بدأت فى الركض معهم.

كانت هناك سيارة إسعاف أمام المبنى، ومن الأبواب الأمامية، يخرج شخص محمول على نقالة، كانت والدتى. لقد حاولت الانتحار.

أول طريق التمثيل

فى المدرسة، كنت أؤدى مسرحيات مدرسية، وكان التمثيل مجرد وسيلة لتفريغ طاقتى، والهروب من الفصول الدراسية. لكن بطريقة ما أصبحت الرجل الذى يجب أن يكون موجودًا فى هذه العروض المدرسية.

فى الثامنة عشرة، كنت أتناول مشروبًا بحانة فى شارع صغير بمانهاتن. المكان كان فيه نافذة كبيرة تطل على استديو «هربرت بيرجهوف»، وهى مدرسة تمثيل كنت أحاول الالتحاق بها. أخبرنى أحد الأصدقاء عن المدرسة، وعن مدرس رائع هناك يُدعى تشارلى لوتون. قلت: «الممثل تشارلز لوتون؟»، قال، «لا، لا، رجل آخر اسمه تشارلى لوتون».

وبالفعل تم تقديمى إلى تشارلى لوتون، فى نفس الحانة بعد فترة. فى اللحظة التى وقعت فيها عيناى عليه، فكرت، هذا الرجل هو نوعى المفضل من الرجال. كان أكبر منى بـ١٠ سنوات. وبالفعل التحقت باستديو «هربرت بيرجهوف». لم يكن لدى مال، لذلك نظفت الممرات والغرف حيث كانت دروس الرقص، ومنحونى منحة دراسية.

بعد أن تركت الدراسة فى سن المراهقة لمساعدة والدتى «روز»، عملت فى وظائف غريبة لم تدم طويلًا، ثم أصبحت عنصرًا ثابتًا فى المشهد المسرحى بنيويورك، حيث صقلت حرفتى وموهبتى، والتقيت بنجوم المستقبل، مثل مارتن شين «زميل آل باتشينو السابق فى السكن، والذى عمل أيضًا معه فى تنظيف المراحيض بمسرح وسط المدينة».

العراب

بدأت علاقتى بالمخرج الذى غير حياتى بشكل غريب. لقد رآنى فرانسيس فورد كوبولا على مسرح «برودواى»، وأراد مقابلتى حول دور ما. لذا سافرت إلى سان فرانسيسكو، وعلى مدى الأيام الخمسة التالية، أخذنى لتناول العشاء، وتحدثنا عن مشروع فيلمه.

«فرانسيس» كان عبقريًا. كان قائدًا وفاعلًا ومغامرًا. لكننى كنت مجهولًا مغمورًا، لذا رُفض الفيلم الذى أراد «فرانسيس» تقديمه معى فى كل مكان. اعتقدت أننى لن أسمع عنه مرة أخرى. مرت شهور، ثم فى أحد الأيام، تلقيت مكالمة هاتفية. كان المتصل على الطرف الآخر من الخط فرانسيس كوبولا.

أولًا، أخبرنى بأنه سيخرج فيلم «الأب الروحى» أو «العراب». اعتقدت أنه ربما كان يتخيل. كنت قد قرأت رواية ماريو بوزو، التى حققت نجاحًا كبيرًا. كانت المشاركة فى فيلم مثل هذا مهمة جدًا لأى ممثل.

قال «فرانسيس» إنه يريدنى أن ألعب دور «مايكل كورليونى». بدأت أشك فى أنه كان يتحدث على الهاتف على الإطلاق. ربما كنت أنا من يمر بانهيار عصبى. بالنسبة لمخرج أن يعرض عليك دورًا عبر الهاتف، وليس من خلال وكيل، وهذا الدور من بين كل الأدوار. كان ذلك بمثابة فرصة مائة مليون إلى واحد. لم أفكر حتى فى الأمر باعتباره فرصة، لأننى لم أصدق ذلك. من أنا حتى يسقط هذا الدور فى حضنى؟!

عندما أغلقت الهاتف أخيرًا مع «فرانسيس»، كنت فى حالة ذهول. لم تكن شركة «باراماونت» تريدنى أن ألعب دور «مايكل كورليونى». لقد أرادوا جاك نيكلسون، أو روبرت ريدفورد أو وارن بيتى أو رايان أونيل.

فى الكتاب، وصف ماريو بوزو «مايكل» بأنه من المفترض أن يكون قصيرًا، داكن الشعر، ووسيمًا بطريقة حساسة، ولا يشكل تهديدًا واضحًا لأى شخص. لم يبدو هذا مثل الرجال الذين أرادهم الاستديو. لكن هذا لا يعنى أنه يجب أن أكون أنا.

لقد رفضت شركة «باراماونت» بالفعل جيمى كان وبوب دوفال. لقد رفضوا حتى «براندو»، كان من الواضح تمامًا أنهم لا يريدوننى أيضًا. لكن إليكم السر: أرادنى «فرانسيس»، وكنت أعلم ذلك. ولا يوجد شىء مثل عندما يريدك المخرج.

عندما عرفت أننى حصلت على الدور، اتصلت بجدتى لأخبرها: «هل تعلمين أننى سأكون فى فيلم العراب؟ سألعب دور مايكل كورليونى». قالت: «أوه، يا بنى، اسمع! ولد جدك فى كورليونى. هذا هو المكان الذى نشأ فيه».

لم أكن أعرف أين ولد جدى، فقط أعرف أنه جاء من صقلية، لكن بعد أن علمت من جدتى أنه جاء من «كورليونى»، وهى مدينة صغيرة فى صقلية، فكرت، يجب أن أحصل على مساعدة من مكان ما، لأنه كيف يمكن لمثل هذا الشىء المستحيل «حصولى على الدور» أن يحدث من الأساس؟

روبرت دى نيرو

فى حين أن هناك أشياء مشتركة بينى وبين روبرت دى نيرو، فإننا مختلفان عن بعضنا البعض بقدر ما يمكن لأى شخصين أن يكونا مختلفين. كانت هناك منافسة بيننا، لا بد من وجودها فى رأيى، خاصة عندما كانت العروض المُقدمة متشابهة، أدوار من الممكن أن تذهب إلى أى منا، ويمكن لأى منا أن يلعبها. هنا، هنا فقط، يظهر التنافس.

لقد تواصلت أنا و«بوب» من خلال الأفلام. كان الفن هو الذى يشعل حماسنا، والذى أعطانا وسيلة للتعبير. كنا مرتبطين بالفن

إليزابيث تايلور

التقيت نجمة السينما العظيمة إليزابيث تايلور أثناء تمثيلها على المسرح، وأصبحنا صديقين سريعين. كنا نقضى الوقت معًا، ونستمتع بصحبة بعضنا البعض. هى ممثلة عظيمة ذات قلب رقيق. نتحدث عن كل شىء. أسألها دائمًا عن ريتشارد بيرتون الذى تزوجته مرتين، وكان الممثل المفضل لدى، إلى جانب مارلون براندو. أحيانًا تتسامح معى وأحيانًا أخرى تتجاهلنى.

معجزة صغيرة

إنجاب طفل وأنا لدى ٨٤ عامًا بمثابة «معجزة صغيرة». تربية طفل فى هذه السن يمنحنى شعورًا لا يضاهى، فإلى جانب «جولى» البالغ ٣٤ عامًا، والتوأم «أنطون» و«أوليفيا» صاحبى الـ٢٣ ربيعًا، أصبح لدى «رومان» البالغ ١٦ شهرًا.

إنه لأمر رائع أن يكون لديك أطفال. بالنسبة لى، أحببت ذلك، لقد غيرنى إلى الأفضل. لقد غيرنى مدى الحياة. الفكرة التى تجعلك تركز على البشر الآخرين الممثلين فى أطفالك هى الحب.

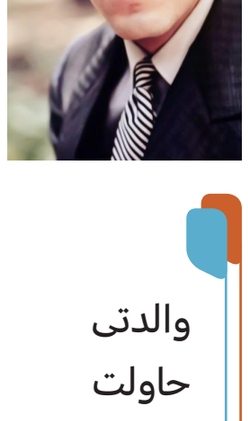

والدتى حاولت الانتحار وعَملت فى مصنع ووظائف شاقة لتربينى

ماذا يقرأ العالم الآن؟

فى إطار عملها الصحفى والثقافى، تحرص «حرف» على استكشاف ومطالعة كل ما هو جديد فى ساحة النشر الدولية والإقليمية، فى توجه تنحاز إليه لتعريف القارئ المصرى والعربى بكل ما ينتجه العالم من معارف وثقافات وكتابات، أيًا كان نوعها ومجالها، طالما يصب فى صالح الإنسانية وتثقيف العقل البشرى.

ومن خلال صفحة «ماذا يقرأ العالم؟»، تأخذ الجريدة قراءها فى رحلة خاصة لتعريفهم على المنتج الإبداعى الغربى، من خلال جولات فى أبرز المكتبات ودور النشر العالمية، لنتعرف على عدد من الأعمال الجديدة التى صدرت مؤخرًا فى مجالات الرواية والسياسة والثقافة والسينما والمغامرة.

أبرز تلك الأعمال كان مذكرات النجم آل باتشينو، التى تحمل عنوان «سونى بوى»، ويكشف فيها عن تفاصيل رحلته الطويلة من شوارع «برونكس» إلى نجوميته الطاغية، بجانب مذكرات البابا فرانسيس، التى ينوى إصدارها فى يناير المقبل، فضلًا عن إلقاء الضوء على كتاب «المسلمون لا يهمون» لأول وزيرة مسلمة فى بريطانيا، وكذلك قصة الطائفة الصوفية الألبانية التى تخطط لتأسيس دولة إسلامية على غرار الفاتيكان.

هالة أمين

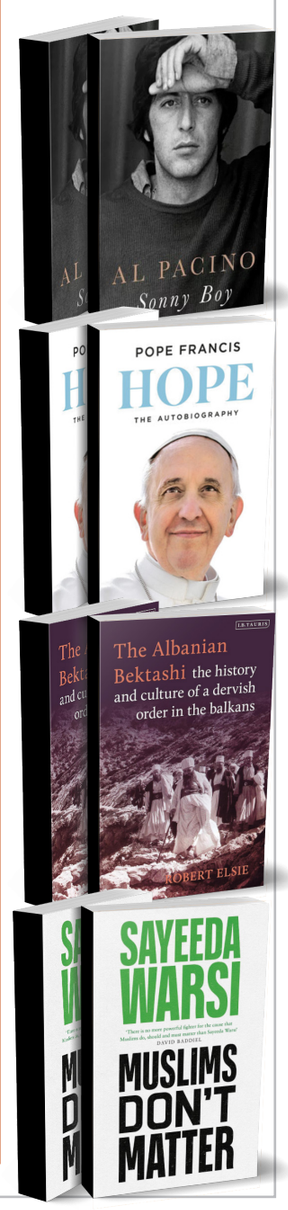

ماذا يقرأ العالم الآن؟

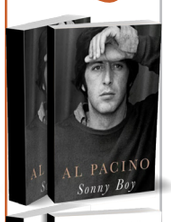

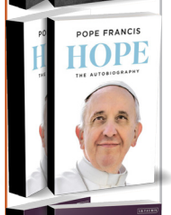

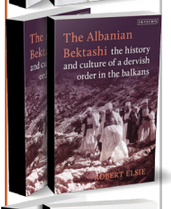

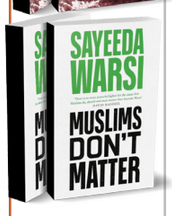

HOPE

بابا الفاتيكان يطرح سيرته الذاتية فى يناير المقبل: «رحلة أمل لكل شعب الله»

تطرح دار نشر «بينجوين راندوم هاوس» الإيطالية السيرة الذاتية للبابا فرانسيس، التى كتبها بنفسه، وتحمل اسم «Hope» أو «الأمل»، فى يناير من العام المقبل.

وستكون المذكرات، التى بدأ بابا الفاتيكان العمل عليها فى مارس ٢٠١٩، مُتاحة فى أكثر من ٨٠ دولة، فى ١٤ يناير المقبل. وكانت الخطة الأساسية نشر هذه المذكرات بعد وفاة البابا، قبل أن يتراجع ويقرر نشرها فى يناير ٢٠٢٥، بالتزامن مع «عام اليوبيل»، الذى يحدث كل ٢٥ عامًا، وتُخصصه الكنيسة الكاثوليكية للمغفرة والاحتفال.

وذكرت مجلة «بيبول» الأمريكية أن البابا فرانسيس، البالغ من العمر ٨٧ عامًا، يصنع التاريخ بنشر هذه المذكرات، باعتبارها المرة الأولى التى ينشر فيها بابا الفاتيكان مذكراته وهو ما زال فى منصبه.

وأضافت المجلة: «فى يناير ٢٠٢٥، سيصبح البابا فرانسيس أول بابا فى منصبه ينشر سيرة ذاتية». ورغم أن البابا فرنسيس نشر كتبًا عديدة فى السنوات الماضية، لم تكن سيرة ذاتية كاملة، وفق «بيبول».

وقال البابا فرانسيس عن المذكرات: «قصة رحلة أمل، رحلة لا يمكننى فصلها عن رحلة عائلتى وشعبى، كل شعب الله. هى أيضًا كتاب أولئك الذين سافروا معى، وأولئك الذين سبقونى، وأولئك الذين سيتبعوننى».

وأضاف: «السيرة الذاتية ليست قصتنا الخاصة، بل هى الأمتعة التى نحملها معنا. والذاكرة ليست فقط ما نتذكره بل ما يحيط بنا. هى لا تتحدث فقط عما كان بل عما سيكون. يبدو الأمر وكأنه بالأمس، ومع ذلك فهو الغد. كل شىء قد ولد ليزهر فى ربيع أبدى».

ويأتى الإعلان عن المذكرات بعد نشر آخر كتاب للبابا فرانسيس، الذى حمل عنوان «الحياة: قصتى عبر التاريخ»، فى مارس الماضى، وروى فيه تجربته مع عدة أحداث تاريخية كبرى، مثل الانقلاب فى الأرجنتين عام ١٩٧٦، وانتخابه بابا للفاتيكان، وجائحة «كورونا».

وبحسب دار نشر «بينجوين راندوم هاوس»، تقدم مذكرات «الأمل» منظورًا فريدًا من البابا، وتحتوى على «ثروة من الاكتشافات والقصص غير المنشورة، محورها الأساسى هو حياة الحبر الأعظم».

وأضافت أن «البابا فرانسيس كان ينوى طرح هذا الكتاب الاستثنائى بعد وفاته، لكن احتياجات العصر، وعام اليوبيل فى ٢٠٢٥، دفعاه إلى جعل هذا الإرث الثمين متاحًا الآن»، مشيرة إلى أن «الأمل» هى أول سيرة ذاتية فى التاريخ تُنشر من بابا للفاتيكان ما زال فى منصبه.

وتبدأ السيرة الذاتية الكاملة للبابا فرانسيس، التى كُتبت على مدى ٦ سنوات، بالاشتراك مع كارلو موسو، مؤسس دار النشر الإيطالية المستقلة «Libreria Pienogiorno»، بالسنوات الأولى من القرن العشرين، مع جذور البابا الإيطالية، وهجرة عائلته الشجاعة إلى أمريكا اللاتينية، وتستمر خلال طفولته، وحماسه وانشغالاته فى شبابه، ودعوته، وحياته البالغة، وكل فترة البابوية حتى يومنا هذا.

ويسرد البابا فرانسيس ذكرياته بقوة، مع الكشف عن عواطفه الشخصية، وبعض اللحظات الحاسمة فى منصبه، إلى جانب الحديث بصراحة وجرأة عن بعض أهم القضايا المثيرة للجدل فى العصر الحالى، ومنها الحروب التى تواجه العالم منذ ٨ عقود، بما فى ذلك الصراعات فى أوكرانيا والشرق الأوسط، فضلًا عن أزمات الهجرة والمناخ والمرأة والجنس والتطورات التكنولوجية، ومستقبل الكنيسة والدين بشكل عام.

وتتضمن مذكرات «الأمل» صورًا ومواد خاصة غير منشورة، أتاحها البابا فرانسيس، ويسرد فيها بعض ذكرياته وملاحظاته حول بعض الأحداث، مثل سقوط جدار برلين، وهجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وحتى جائحة «كورونا»، فضلًا عن رسائل صريحة ومستقبلية حول الأزمات الكبرى التى تواجه العالم الآن.

وقال كارلو موسو، المشارك فى إعداد هذه المذكرات، إن كتابة كتاب «الأمل»، الذى يحتوى على مجموعة مختارة من الصور غير المنشورة سابقًا، إلى جانب المادة النصية، كانت مغامرة طويلة ومكثفة.

> يسرد البابا فرانسيس ذكرياته بقوة مع الكشف عن عواطفه الشخصية

Bektashi

«دولة بكتاشيا».. طائفة صوفية تسعى لإقامة «فاتيكان إسلامية» فى ألبانيا

أثار خبر نشرته صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية مؤخرًا الكثير من الفضول، فى ظل حديثه عن سعى الطائفة البكتاشية الصوفية لإقامة «نسخة إسلامية من الفاتيكان»، من خلال تأسيس دولة صغيرة ذات سيادة داخل حدود ألبانيا، تسمح بـ«شرب الخمر وارتداء النساء ما يردن».

وتأتى هذه الخطوة أسوة بدولة الفاتيكان داخل إيطاليا، التى تعد أصغر دولة فى العالم من حيث المساحة. ولو حدث وصادق البرلمان الألبانى على تأسيس دولة «بكتاشيا»، ستكون الأصغر فى العالم، لأن مساحتها رُبع مساحة الفاتيكان.

ووفقًا للصحيفة الأمريكية، أعلن إيدى راما، رئيس الوزراء الألبانى، عن أن حكومته تخطط لـ«إقامة دولة صغيرة ذات سيادة داخل حدود العاصمة تيرانا»، خاصة بطائفة «البكتاشية» الصوفية.

وأضاف: «هدف الدولة الجديدة تعزيز نسخة متسامحة من الإسلام تفتخر بها ألبانيا. ستستغرق بعض الوقت. ورغم ما يقوله الناس عن أننى مجنون، هذا لا يهمنى، فقد قالوا ذلك عنى أكثر من مرة».

ومن المعروف أيضًا أن «البكتاشية» كان لهم وجود واضح فى مصر خلال حكم محمد على، فى الفترة من ١٨٠٥ إلى ١٩٥٢. وقال المؤرخ الكبير عبدالرحمن الجبرتى إن عبدالله بكتاش الترجمان كان من «بكتاشية» محمد على باشا المقربين.

وهناك العديد من الكتب التى تناولت الطائفة «البكتاشية»، من بينها كتاب «الطريقة البكتاشية للدراويش»، للكاتب جون كينجسلى بيرج، الذى يقدم فيه رؤية نادرة على فرع غير معروف من التصوف الإسلامى، ويكشف الكثير عن أصل ومعتقدات «البكتاشية»، وتمركزهم فى ألبانيا والبلقان.

ويعد هذا الكتاب أقدم مصدر أساسى باللغة الإنجليزية للمعلومات حول معتقدات وممارسات وتاريخ الطريقة «البكتاشية» الصوفية. ويكشف «بيرج» فيه عن أنه «على الرغم من معتقداتها الليبرالية نسبيًا، فإن الطريقة البكتاشية غير معروفة فى الغرب، لأنها محصورة إلى حد كبير فى تركيا والبلقان».

وشرح المؤرخ جون كينجسلى، فى كتابه، «أصل ومعتقدات البكتاشية الأساسية»، وكيف أصبحت الحركات العلوية و«البكتاشية» قوة اجتماعية وسياسية رئيسية فى دول البلقان.

هناك أيضًا كتاب «البكتاشيون الألبان: تاريخ وثقافة طريقة الدراويش فى البلقان»، الذى يعد من أبرز الكتب التى تتناول تاريخ الطائفة «البكتاشية»، من تأليف المؤرخ الكندى روبرت إلزى، المتخصص فى الدراسات والفولكلور الألبانى.

وقال «إلزى»، فى كتابه الذى أصدرته دار نشر «آى بى توريس»، إن «الدراويش البكتاشيين هم طائفة صوفية علوية توجد فى الأناضول والبلقان، ولها حضور قوى فى ألبانيا»، مستعرضًا تاريخ «البكتاشيين»، ودورهم فى المجتمع الألبانى.

وتناول «إلزى» تاريخ وثقافة «البكتاشيين»، وحلل الكتابات التى كتبها المسافرون الأوائل إلى المنطقة عن هذه الطائفة، مثل مارجريت هاسلوك والسير آرثر إيفانز، مع تقديم قائمة شاملة بـ«التكايا» و«الطرب/الأضرحة» فى ألبانيا والدول المجاورة.

كما يقدم فى الكتاب أيضًا صورًا لشخصيات «البكتاشيين» البارزة فى التاريخ والأساطير، ليكون دليلًا مرجعيًا كاملًا عن «البكتاشيين» فى ألبانيا والبلقان، وكذلك الطوائف الإسلامية والتاريخ والثقافة الألبانية.

Muslims

أول وزيرة مسلمة فى بريطانيا مرعوبة من «الإسلاموفوبيا»

أصدرت دار نشر «ذا بريدج ستريت برس»، فى ٣ أكتوبر الجارى، كتاب «Muslims Don›t Matter» أو «المسلمون لا يهمون»، من تأليف سعيدة وارسى، أول وزيرة مسلمة فى بريطانيا.

وتكشف «وارسى»، التى تولت رئاسة حزب «المحافظين» فى الفترة من ٢٠١٠ إلى ٢٠١٢، إلى جانب منصب وزيرة الخارجية فى الفترة من ٢٠١٠ إلى ٢٠١٤، فى الكتاب الصادر حديثًا، تفاصيل زيادة كراهية المسلمين فى بريطانيا.

وتحدثت الوزيرة المسلمة، فى الكتاب الذى أصبح فى صدارة قائمة الكتب الأكثر مبيعًا من فئة «الدراسات الإسلامية»، على موقع «أمازون»، عن عدة حوادث أثارت الهلع فى نفوس المسلمين والمجتمع ككل، من بينها قتل ٣ مسلمين بشوارع إنجلترا، فى ٣ حوادث منفصلة، وعلى يد ٣ رجال مختلفين، مشيرة إلى أن كل واحد من الضحايا كان مستهدفًا لمجرد كونه مسلمًا.

وأضافت أن هذه الهجمات كانت نتيجة التصاعد الخبيث لـ«الإسلاموفوبيا» فى بريطانيا، مؤكدة تصاعد كراهية المسلمين فى الحياة العامة، بالتزامن مع العمليات العسكرية الإسرائيلية فى غزة.

وشددت على أن «العنصرية المعادية ضد المسلمين فى بريطانيا أصبحت خارجة عن السيطرة بشكل خطير»، حتى إنه بالنسبة للكثيرين فى بريطانيا أصبح «المسلمون لا يهمون»، وهو عنوان كتابها.

وكشفت سعيدة وارسى، فى كتابها المكون من ١٧٦ صفحة، عن أن «الكراهية ضد المسلمين فى بريطانيا تغذيها شبكة من المنافذ الإعلامية ومراكز الأبحاث والمعلقين، وحتى فى صناعة الترفيه»، مؤكدة أن «هناك الكثير من المسلمين البريطانيين المرعوبين من أعمال الشغب، يفكرون بجدية فيما إذا كان ينبغى أن تظل بريطانيا وطنهم».

وسردت كيف شهدت بريطانيا الحديثة ارتفاعًا خبيثًا فى معاداة الإسلام، من اليمين واليسار على حد سواء، بسبب القصص الإعلامية المضللة، مثل قضية «حصان طروادة» فى مدارس برمنجهام، وصولًا إلى الكراهية الموجهة إلى السياسيين والشخصيات العامة المسلمين بالتزامن مع صراع غزة.

وشددت على أن «هذا التحيز تزايد دون رادع بشكل مخيف»، معتبرة أن «هذا ليس مفاجئًا، فى ظل أن القادة السياسيين ببريطانيا لا يستطيعون حتى إجبار أنفسهم على استخدام كلمة معاداة الإسلام».

وواصلت: «لقد سئمت من التحذير من آرائى. لقد سئمت من الإدانة قبل أن أعطى نفسى رخصة التحدث. لقد سئمت من الشعور بالالتزام بالنأى بنفسى عن الآراء المسيئة للمسلمين. لقد سئمت من كونى مسلمة طيبة ومقبولة ولطيفة».

واعتبرت أن «وزراء حزب المحافظين همشوا بشكل منهجى مخاوف المسلمين، ما أدى إلى تقويض حقوق الإنسان، التى يجب أن تكون عالمية، بغض النظر عن المعتقد»، مشيرة إلى أن «الإهانات والتشويهات كانت شائعة، والإدارات المتعاقبة تفضل غالبًا التعامل مع الدُمى المطوّعة، بدلًا من قادة المجتمع الموثوق بهم».

ولم تُخفِ «وارسى» ارتياحها لابتعاد حزب «المحافظين»، الذى كانت تمثله فى وقت من الأوقات، عن السلطة فى بريطانيا، معربة عن أملها فى أن يبلى رئيس وزراء بريطانيا الحالى، كير ستارمر، وحزب «العمال»، بلاءً أفضل، من خلال احترام تقرير مشترك بين الأحزاب حول «الكراهية ضد المسلمين»، والذى تجاهله ريشى سوناك، رئيس الوزراء السابق.

وأوضحت «وارسى» كيف يتم إسكات المسلمين، وتصنيفهم وتشويه سمعتهم من قبل الصحافة والأحزاب السياسية البريطانية، مؤكدة أنها استقالت من حزب «المحافظين» فى «مجلس اللوردات»، لأنه انتقل إلى «أقصى اليمين»، متهمة الحزب بـ«النفاق والمعايير المزدوجة فى معاملته للمجتمعات المختلفة».

وأكملت: «ما يحدث جعلنى جزءًا من مجتمع يجد نفسه منعزلًا بشكل متزايد عن وطنه البريطانى، بعد أن أصبحت المشاعر المعادية للمسلمين تحيزًا شبه متسامح»، مؤكدة أن «العائلات المسلمة، بما فى ذلك المولودة فى المملكة المتحدة، تشعر بقلق متزايد بشأن مستقبلها فى مواجهة كراهية الإسلام المتزايدة، وقد خطط العديد منها للانتقال إلى الخارج، وهو الخيار الذى رفضته شخصيًا».

ويأتى كتاب «وارسى» المعبّر عن مخاوف المسلمين فى بريطانيا، فى الوقت الذى حذر فيه رئيس الوزراء البريطانى، كير ستارمر، من أن «شرارات الصراع فى الشرق الأوسط قد تؤدى إلى إشعال الاضطرابات فى الداخل».

قلبى مليان بحكايات

مفهوم الحياة والموت لدى المصريين

علميًا القلب يتذكر ويتعاطف وينفعل، كما أنه يمثل نوعًا من الذاكرة للإنسان، فإذا فشل العقل فى التذكر فإن القلب يقوم بدوره فى ذلك، ولأن «حكايات من مختار» هى حكايات عن الحنين إلى الماضى، هذا الحنين الذى ولد فى رحاب الجمالية، الأرض المقدسة للإمام الحسين، والأزهر، وطبوغرافيا شارع المعز لدين الله الفاطمى، ومقهى الفيشاوى وخان الخليلى وكتابات نجيب محفوظ أديب نوبل الخالد، وجمال الغيطانى مؤسس أخبار الأدب وأحد أهم الأصوات الروائية المصرية فى القرن العشرين، هى ابنة كل هؤلاء.

زين عبدالهادى

هذه الدائرة الصغيرة التى يعد أشهر كتابها نجيب محفوظ وجمال الغيطانى، وهناك أجيال كثيرة تنتمى لهذا الحى التاريخى منهم مى مختار، التى تحاول أن تدلى بدلوها فى القصة القصيرة والرواية المصرية متأثرة بحياتها فى هذا الحى التاريخى العتيق، ولكل كتابته ولونه وطريقته وإيمانه فيما يكتب عنه.

تتميز بحس إنسانى وعاطفى نحو مسقط رأسها الجمالية، لكل منا نهر مختلف من الأدب يحاول صياغته بأن تتعاطف معها روحه أولًا، حكايات مى مختار تتضمن خمس وعشرين حكاية، قصصًا قصيرة عن الحياة فى الجمالية خلال النصف قرن الماضى، وهذا هو العمل الثالث لمى وهو أكثر نضجًا بكثير من سابقيه، لقد تماسكت النصوص وأصبح هناك خط واضح لكتاباتها، معجونة بتفاصيل الأحداث والعادات والتقاليد وثقافة الأسرة المتوسطة فى قلب مصر العتيقة، وكذلك لمواظبتها على حضور العديد من الندوات الأدبية، وقراءاتها الكثيرة لكل ما يتصل بالرواية والشعر فى مصر والعالم العربى.

القاهرة المملوكية هى محطتها المفضلة ومهما حاولت الخروج تكتسى حكاياتها عن القاهرة المملوكية فى حياة الأسرة المصرية مكانتها التى تحظى بحس عال فى الكتابة، من الأزهر للحسين للغورية لحارات تمثل علامات تجارية فى تاريخ مصر من العصر المملوكى حتى اللحظة الحالية، إنها تهدى عملها لبيتها القديم وسريرها النحاسى، وسجادة الصلاة وطرحة ستها، ولأول قصيدة كتبتها، وأصوات الطرب الأصيل صوت نازك وأحلام وعبده السروجى وأم كلثوم وبروش ستها الألماظ، وكراسة الرسم ومدرس اللغة العربية وأمين المكتبة، وعمال قهوة الفيشاوى والانكسارات والابتلاءات والانتصارات، هذا التقديم بجانب مجموعة من الشخصيات التى ترى أنهم فى غاية الأهمية فى حياتها، هذا التقديم يفرض على المجموعة صدق ما بعده صدق.

تتحدث مى عن حياة شاهدتها وما زالت، وإذا تطلعت لمى جيدًا ستدرك أنها مسكونة بروح مصرية فى غاية العمق، الملابس واللكنة والإفيهات والضحكة والملامح والأطعمة والتعامل الواضح والبرىء مع العالم، هذا هو قدرها أن تكون مصرية قلبًا وقالبًا دون أى ادعاء أو تطرف، وهذا هو عالمها فى الكتابة، تمتلك من القدرة على الوصف ما يعجز عنه الكثيرون من كتّاب القصة، ندرة فى تسجيل تفاصيل الحياة فى القاهرة فى النصف الثانى من القرن العشرين اعتمادًا أيضًا على حكايات النصف الأول سواء التى حكيت لها أو قرأت عنها، هذا العالم الغزير بأحداثه وتفاصيله المدهشة، لكنها أيضًا تختار شخوصها بعناية فائقة، هؤلاء الناس الذين يعكسون روح الحارة المصرية الذين تتمثل فيهم البساطة المفرطة والبراءة المفرطة وسهولة قراءتهم دون معاناة كبيرة، عالمها البرىء تمامًا المدهش الذى يذكرك أحيانًا بقصص ألف ليلة وليلة.

القصة التى افتتحت بها المجموعة بعنوان «لحاف قطن» توحى بدأبها الدائم فى بناء قاموس للمصطلحات المستخدمة فى بيوت تلك الطبقة، يكاد يختفى اللحاف القطن الآن من الحياة المصرية فقد غطت الأنسجة المستوردة الآن كل شىء، تحكى ذكريات صنعه مع جدتها بتفاصيل لا يمكن أن تكون منقولة من كتب أو أفلام، الحياة المصرية لا تكشف عن أسرارها إلا لمن عاشها بكل تفاصيلها المدهشة. هذه القصة تتكون من مشهدين متداخلين عبر إطار زمنى قصير، المشهد الأول لبطلة القصة الحفيدة وجدتها ومشهد الحفيدة التى أصبحت زوجة ولها ابنة تحاورها كما كانت تحاور هى جدتها، يتداخل المشهدان مكونان نوعًا من موزاييك الحكى اللطيف والسلس، وكان ذلك أثناء تجديد الجدة للغطاء الخارجى للحاف الذى له غطاء فى الأصل من الساتان «الحرير» الأخضر الثمين، وهى تصف بسلاسة تحسد عليها عملية تلبيس اللحاف لغطاء من «البفتة» البيضاء حماية لمظهره الخارجى أثناء حفظه فى فصل الصيف وإخراجه فى فصل الشتاء كأنه جديد، سألت جدتها فى براءة:

«إنت ليه مش بتتغطى باللحاف وشايلاه فى سحارة الكنبة؟».

هذه الجملة البسيطة على لسان طفلة لا يمكن أن تقال إلا بين المصريين، العامية هنا لا تبوح بأسرارها بسهولة، تلجأ السيدة مختار لهذه الحوارات للتعبير عن واحدة من أهم قضاياها وهو استعادة الروح المصرية الحقيقية فقد غطى الزيف كل شىء، وأعتقد أن ذلك واحد من أكبر همومها وهو أن الحداثة غطت الحياة الأصيلة للمصريين بكل ما فيها من تراث وعادات وتقاليد لا يجب أن نتخلى عنها أبدًا.

ترد عليها جدتها:

«اللحاف ستر ومسيرى أتغطى بيه».

كان رد جدتها عليها ملغزًا، لم تفهم المعنى فى هذه اللحظة، وكانت هى وجدتها أثناء خياطة أطراف اللحاف يترنمان بألحان تلك الأغانى الشهيرة فى نهاية السبعينيات والتى تعود بتاريخها إلى منتصف الخمسينيات والستينيات من القرن الماضى، تنتقل فى نفس المشهد وببراعة إلى مشهد آخر حيث نفس الابنة أصبحت أمًا ولها ابنة وهما تخرجان اللحاف من السحارة، فتسألها الابنة «واخدة اللحاف ورايحة على فين؟»، تتداخل المشاهد بين الجدة وحفيدتها وبين الحفيدة التى أصبحت أمًا وابنتها، «اللحاف سترة»، حين ماتت الجدة تمت تغطيتها باللحاف الذى يستخدم أصلًا فى الوقاية من البرد أو كغطاء يحمى أسرار ما تحته، لكن معنى الموت وعلاقته باللحاف عميق هنا للغاية، فتغطية الميت وكفنه باللحاف طقس مصرى قديم أيضًا إلى حين توديعه لقبره، وتغطية اللحاف للجسد هو ستر له من البرد والعيون المتلصصة، هذا يعيدنا لمفهوم الموت فى التراث المصرى القديم، فالموت هو بعث للحياة من جديد، لذلك يصبح الاهتمام باللحاف وتجديده والحفاظ عليه هو استخدامه فى الحياة والموت معًا، الحفيدة أثناء وداعها لجدتها وبعد وضع اللحاف على الكفن تقول إحداهن للطفلة:

«لحاف ستك ده مفيش منه دلوقتى ده كأنه جديد».

صحيح أنها لم تهتم بكلام الجارة وقتها إلا أن الجملة اخترقت روحها، هذا اللحاف القديم الذى ورثته عن جدتها، فأثناء دفن جدتها يزيح عامل الدفن اللحاف عن الكفن فتلتقطه الحفيدة وتحضنه بشدة وتستكمل تنفيذ وصية جدتها لها أن تمنحه عن طيب خاطر لزوجة حارس المدفن، قائلة لها:

«وصتنى ستى أيامها الأخيرة اللحاف ده عشانك».

لقد قام اللحاف بدوره خير قيام فقد ستر جدتها أثناء موتها، وستر زوجة حارس القبر فى حياتها، هذه هى تراثيات الطبقة المصرية الوسطى القديمة، التى كانت تعيش بين ضفتى الحياة والموت، يمكنها اقتناء شىء نادر وتمنحه ببساطة للفقراء، لا أشياء غالية على الموت كما لا أشياء غالية على الحياة.

قصة «يا رايحين الغورية»، تبدأ القصة بكاتب أو كاتبة تكتب مذكراتها عن الحسين، وهو أمر يميز كتابات السيدة مختار أنها حميمية للغاية فى الكتابة، فتفضل القيام فى كثير من الأحيان باستخدم ضمير المخاطب، كإنسان يحكى أو يكتب مذكراته وتطرح كثيرًا من المعلومات والمعرفة عما ستكتبه قبل أن تبدأ الحكاية، ثم تبدأ الطفلة بالإمساك بزمام المبادرة وهى تتبع جدتها، ها هى أمام سور مقام سيدنا الحسين تناديه بأنها تريد أن تنجح فى الامتحان، وهى تتابع بعينيها تمتمات جدتها أمام المقام ثم تمسك بيد حفيدتها وتضغط عليها كأنها تؤكد لها أنها تدعوه لمساعدتها فى الامتحان، مع ارتفاع الدعوات له من جوانب المقام:

«بركاتك يا سيدنا بنتى حبلت وجاية أوفى الندر»

«قلبى موجوع يا سيدنا الواد بيجيلى فى الحلم ويقول لى أنا عايش يا أمه».

تستمر عيناها فى التقاط أحوال الناس فى قلب المقام، تخرج بعينيها فى وصف أقرب لكاميرا متحركة تصف أحوال العباد ولعب الأطفال والسبح الملونة وبائع العرقسوس والحمص والحلاوة، تستمر فى الوصف إلى أن تدخل شارعًا ضيقًا يؤدى لمقهى الفيشاوى، هذه قصة صورة للسوق والغورية، إنها صورة مفعمة بالذكريات والروائح والألوان.

تملك مختار كثيرًا من الحكايات مع جدتها أو عن الآخرين المرتبطين بهم، قصص الموت متناثرة فى المجموعة، والحنين الواضح للماضى، ربما يسكنها هذا الحنين الذى تقف فى خضمه حائرة بين أحوال الموت وأحوال الحياة، بين الذكريات وبين الواقع المرير، المجموعة فى أغلبها تبدو كمذكرات عن زمن مضى، تعرف مختار جميع أهل المنطقة وهم يعرفونها، تنبع قصصها منهم ومن أحوالهم البسيطة، أهنئها وأهنئ دار النشر لهذه المجموعة التى تقترب من تشريح الموت والحياة ببساطة من يعيشونها فى خان الخليلى والجمالية ودون أى ادعاءات بالمبالغة أو التفلسف، هكذا كثير من الناس يملكون هذه الرؤية المتناهية البساطة للحياة الإنسانية.

مى مختار

> مى مختار مسكونة بروح مصرية فى غاية العمق.. الملابس واللكنة والإفيهات والضحكة والملامح والأطعمة والتعامل الواضح والبرىء مع العالم

ما يفعله الناشر بالكاتب

هند مختار

فى مثل هذا التوقيت من كل عام مع أجواء إعلان جوائز نوبل فى الأدب، تبدأ أصوات النخبة الثقافية تعلو بأننا نمتلك رصيدًا من الأدباء الذين يستحقون أن يخوضوا غمار معركة جائزة نوبل، بخلاف الأصوات التى تقول إن الجائزة مسيسة وتتمركز حول الكتاب الأوروبيين.

هذه الأصوات دائمًا ما تتحدث عن كتاب راحلين مثل توفيق الحكيم، ويحيى حقى، وعلى رأسهم طه حسين، ثم يبدأون بذكر كتّاب الحقبة التالية عليهم مثل إبراهيم أصلان، وصنع الله إبراهيم، وغيرهما من أسماء هذا الجيل، ولا نجد لدى هذه الأصوات أية ترشيحات لكتاب معاصرين!

هذه النقاشات والحوارات هى حوارات سنوية، لا يعلم عنها من القائمين على المشهد الأدبى العالمى شيئًا، وقبل فقرة البكاء السنوية على أن بلدًا عريقًا مثل مصر حصلت على جائزة نوبل مرة واحد منذ ثلاثة وأربعين سنة، يجب أن يُطرح سؤال: ماذا قدمت دور النشر للكاتب والأديب المصرى كى تجعل لإبداعاته نافذة على العوالم الأخرى، وكى تجعله يستحق نوبل أو جائزة دولية؟

الحقيقة أن الأغلب الأعم من دور النشر لا يقدم للكاتب شيئًا أكثر من نشر العمل الأدبى، وفى أحيان كثيرة بمقابل مادى، وكأن الكتابة والإبداع ليسا مهنة يتكسب منها المبدع، فالأهم لدى الناشر أن يحفظ حقه، وألا يخسر فى حال فشل العمل الأدبى. العقود بين الكاتب والناشر فى الغالب لا يكتب فيها عدد النسخ، ولا يتم التحدث فيها عن نسب النشر الإلكترونى، وتظل نسب التوزيع للكاتب ضئية جدًا، وأيضًا فى الغالب لا يتحصل عليها، ويكون أهم شرطين لدى الناشر نسبته لو تحول العمل الأدبى إلى عمل تليفزيونى أو فنى، ونسبته من الجوائز!

فإذا تغاضينا عن كل ما فات فى سبيل النشر، لماذا يحصل الناشر فى هذه الحالة على نسبة من الجائزة التى يحصل عليها المبدع لجودة إبداعه؟

وماذا قدم الناشر لهذا المبدع كى يصبح شريكًا له فى جائزة استحقها عن مجهوده وموهبته؟

إذا كانت دور النشر العالمية تقوم بمشاركة المبدع فى جائزته، فهذا لأن دار النشر شريكة فى إنجاح العمل. فالأعمال يتم طرحها بأكثر من لغة على مستوى العالم فى نفس توقيت النشر، يحصل الكاتب على حق الأداء العلنى فى الندوات التى تتم قراءة الأعمال فيها، وكل مرة تتم قراءة العمل فى مكتبة عامة يحصل على هذا الحق، بخلاف نسبته من توزيع العمل التى تجعله فعلًا ثريًا، لا يحتاج إلى عمل آخر، يعينه على الحياة ويمنعه من الإبداع، فالمبدع أو الكاتب متفرغ تمامًا للعملية الإبداعية.

فعلى سبيل المثال الكاتب الصينى مويان تم تقديمه للعالم من خلال ترجمة أعماله، وتعريف الجماهير به، وعمل منح ترجمة لأعماله- نظرًا لأن اللغة الصينية من اللغات الصعبة- وتقديمه فى كل المحافل الأدبية العالمية حتى تم ترشيحه لجائزة نوبل لينالها.

هنا فى مصر أكبر طبعة لا تتجاوز الألف نسخة، وتعتبر رقمًا كبيرًا، فى حين أن هناك دورًا تنشر خمسمائة نسخة أو أقل فى الطبعة الواحدة، فى بلد قوامه مائة مليون نسمة، غير القراء العرب.

وحينما تتم ترجمة أحد الأعمال العربية للغة أخرى، فما هى الأصداء التى تحققها، وأين يتم توزيعها؟ كلها أسئلة بلا إجابة.

هذا التهافت من الناشرين للحصول على نسب قد تصل فى بعض الأحيان إلى خمسين فى المائة من قيمة الجائزة بسبب انتشار الجوائز العربية بقيم مادية كثيرة، جعلت الناشر يشعر بأن له حقًا آخر يجب أن يحصل عليه لمجرد أنه تكرم على الكاتب بالنشر، والكاتب لا توجد له جهة تحميه، ولا حتى اتحاد الكتاب.

فبأى حق يتشارك الناشر مع الكاتب فى جوائزه؟ وبأى حق يشكو الكتّاب والمبدعون من عدم معرفتهم عالميًا، وأن هناك من يستحق ولكن لا يسلط عليه الدور، ولماذا لا يتكاتف الكتّاب معًا لرفض هذا النهج القائم على الاستغلال؟ فى النهاية يظل الكاتب هو رأس مال الناشر الحقيقى، وبدونه لن يكون له وجود.

> الأغلب الأعم من دور النشر لا يقدم للكاتب شيئًا أكثر من نشر العمل الأدبى وفى أحيان كثيرة بمقابل مادى

تونى موريسون

الأم الروحية لأدب الأمريكان السود

تونى موريسون من الروائيات القلائل اللواتى ترجمت جميع أعمالهن الأدبية إلى اللغة العربية، وأغلب الظن أن الحس المأساوى «الميلودرامى» العنيف الذى طبع رواياتها الإحدى عشرة، وميزها عن غيرها، واحتشاد نصوصها بالشحنات العاطفية، والمآسى المتلاحقة، لعب دورًا كبيرًا فى تلك الحالة الفريدة التى تستهوى المترجم والناشر العربى، وأدت إلى رواج كتاباتها بين القراء والنقاد على حدٍ سواء.. وربما لعبت استضافتها فى برنامج المذيعة التليفزيونية الأمريكية أوبرا وينفرى مرات عديدة طوال سنوات متتالية، وتمثيلها دور البطولة فى الفيلم المأخوذ عن روايتها الأشهر «محبوبة» دورًا آخر فى نجوميتها حول العالم، رغم أن الفيلم لم يصمد طويلًا فى دور العرض السينمائى فى الولايات المتحدة الأمريكية، ولا فى أى دار عرض سينمائية حول العالم، وقيل إن السبب الرئيسى فى ذلك أنه لا أحد يمكنه الاستمرار فى التعرض لتلك الحالة التراجيدية المغرقة فى الدموع فترة طويلة كتلك التى يستغرقها زمن الفيلم، الذى يقترب من ثلاث ساعات كاملة.. العرب والهنود وحدهم تستهويهم تلك الحالة، وسبق أن توحدوا مع كثير من الأفلام الهندية المأساوية من نوعية «سانجام»، و«من أجل أبنائى» وغيرهما من الميلودراميات المطولة المشحونة بالمآسى والدموع والهزائم والانكسارات.. ولولا أنه من المعلوم أن تونى موريسون من مواليد ولاية أوهايو الأمريكية فى 18 فبراير 1931، لظن قراء أعمالها أنها من أصول هندية أو عربية، بسبب تلك الجرعات المكثفة من المآسى التى تلاحق أبطال وبطلات رواياتها، ولا تحتفى بها الثقافة الأوروبية والأمريكية إلا فى حالات نادرة ومحدودة، ولروايات معدودة، ربما كان أشهرها روايتى «البؤساء» و«أحدب نوتردام» للفرنسى فيكتور هوجو، ورواية «العطر» للألمانى باتريك زوسكيند، وهو ما يدفعنى شخصيًا إلى الظن بأن فوزها بجائزة نوبل 1993 «التى لا أحسن الظن بها»، وكانت أول إفريقية أمريكية تنال هذه الجائزة فى تاريخها، جاء بدفع من حالة الرغبة الأمريكية فى غسيل سمعتها من جرائم الآباء المؤسسين العنصرية ضد السود والأفارقة، وهى الحالة التى ظهرت بكثافة فى السنوات الأخيرة من القرن العشرين، وتمثلت فى منح العديد من الجوائز الكبرى عالميًا لأمريكيين من أصول إفريقية، بدأت بفوز النجم دينزل واشنطن فى 1990 بجائزة أوسكار أحسن ممثل دور ثانٍ عن دوره فى فيلم «جلورى»، وبعدها بأوسكار أحسن ممثل عام 2002 عن دوره فى فيلم «ترينج داى»، وهى الجائزة التى لم يسبقه إليها زنجى سوى سيدنى بواتيه عندما فاز بجائزة أحسن ممثل عامى 1959، و1964، ولم يكن من المقبول تجاهل براعته التمثيلية وقتها.

عبدالوهاب داود

1 وقاحة ضخمة وشرور شاذة

على أى حال، فإن تلك السيدة السمراء الأمريكية ذات الجذور الإفريقية، التى تتمتع بطلة مليحة ملحوظة، وخفة ظل فائقة، مثلت حالة فريدة فى الثقافة الأمريكية منذ بداياتها الأولى، فاحتلت منذ مطلع سبعينيات القرن الماضى صدارة المشهد الأدبى الأمريكى عبر مواهبها المتعددة كروائية وكاتبة مقالات ومسرحيات وأغانٍ، وعرفت برواياتها التى تناولت العبودية، والتمييز العنصرى عبر مراحل التاريخ الاجتماعى للأفارقة الأمريكيين، وامتازت كتاباتها بأسلوب عاطفى، ولغة أدبية محملة بشحنات كثيفة من الشجن والغنائية التى تقربها من لغة الشعر، حتى أن لجنة الأكاديمية السويدية تحدثت فى قرار اختيارها للفوز بجائزة نوبل حول طريقة استخدامها اللغة فقالت إنها «لغة تريد تحريرها من قيود العرق».. وهى الكتابات التى تركزت حول تجارب النساء فى مجتمعات السود فى الجنوب الأمريكى، وما تعرضن له من محن قاسية، والتى توجتها بالكثير من الجوائز المحلية والعالمية، بداية من جائزتى «بوليتزر»، و«جمعية نقاد الكتاب الوطنى» الأمريكية، وصولًا إلى جائزة نوبل للآداب عام ١٩٩٣، كما حظيت بإعجاب ومتابعة عدد كبير من الشخصيات العامة العالمية، ومن مختلف الأوساط والفئات، من سياسيين ونجوم ورجال أعمال، ومن أشهر المعجبين بكتاباتها إلى جانب الأمريكية الأشهر أوبرا وينفرى، هناك وزيرة الخارجية الأمريكية الأسبق هيلارى كلينتون، والنجم مارلون براندو، والروائية الكندية مارجريت أتوود، والشاعرة والروائية البريطانية أنتونيا سوزان بيات.

بدأت رحلة موريسون مع أحقر درجات العنصرية و«الميلودراما» العنيفة مبكرًا جدًا، وربما فيما قبل ولادتها، إذ ولدت لعائلة من الطبقة العاملة فى لورين بولاية أوهايو، بعد قرار والديها مغادرة الجنوب الأمريكى هربًا من التمييز العنصرى، وكانت هى الطفلة الثانية من بين أربعة أطفال، وكان اسمها عند الولادة هو كلوى أرديليا ووفورد، وقيل إن والدتها «نيى ويليس» ولدت فى جرينفيل بولاية ألاباما، وهى ربة منزل كلاسيكية، بينما نشأ والدها «جورج ووفورد» فى كارترسفيل، جورجيا، وتحكى أنه عندما كان فى الخامسة عشرة من عمره، قامت مجموعة من البيض بشنق رجلى أعمال أمريكيين من أصل إفريقى كانا يعيشان فى نفس الشارع الذى كان يعيش به، وقالت: «لم يخبرنا أبدًا أنه رأى جثتًا، لكنه رآهما، وأعتقد أن هذا كان صادمًا للغاية بالنسبة له»، ولهذا فبعدها بفترة قليلة انتقل بأسرته إلى بلدة لورين، أوهايو، الخالية من التمييز العرقى، على أمل الهروب من العنصرية، وتأمين عمل مربح، فعمل فى وظائف غريبة وكثيرة إلى جانب عمله الأساسى كعامل لحام فى شركة «يو إس ستيل»، وفى مقابلة أُجريت معها عام ٢٠١٥، قالت موريسون إن والدها «كان يكره البيض كثيرًا، لدرجة أنه لم يكن يسمح لهم بدخول المنزل».

وعندما كانت موريسون فى السنة الثانية من عمرها، حدث أن والديها لم يستطيعا دفع إيجار المنزل الذى كانوا يعيشون به، أشعل مالكه النار فيه أثناء وجودهم بداخله، إلا أن رد فعل عائلتها على ما فعله مالك البيت الأبيض كان هو الضحك على ما أسمته «شكلًا غريبًا وشاذًا من الشر»، وقالت إن رد فعل عائلتها أظهر كيفية الحفاظ على نزاهتك وحياتك فى مواجهة «الوقاحة الضخمة»، كبديل عن الوقوع فى اليأس.

غرس والدا موريسون فيها شعورًا بالتراث واللغة من خلال سرد الحكايات الشعبية الأمريكية الإفريقية التقليدية وقصص الأشباح والدراما الغنائية، وإلى جانب ذلك كانت هى تقرأ كثيرًا عندما كانت طفلة، ومن بين مؤلفيها المفضلين جين أوستن وليو تولستوى.

أصبحت موريسون كاثوليكية فى سن الثانية عشرة، واتخذت اسم المعمودية أنتونى «على اسم القديس أنتونى بادوا»، وهو الاسم الذى اختصره أصدقاؤها فى جامعة واشنطن لاحقًا إلى تونى، وكان قرارها بدراسة الأدب الإنجليزى خيارًا طبيعيًا لرحلتها فى المدرسة الثانوية، حيث كانت عضوًا فى فريق المناقشة، وطاقم الكتاب السنوى، وفى نادى الدراما، لكن تجربتها الجامعية الأولى وضعتها فى مواجهة العنصرية والفصل العنصرى مرة أخرى، وعلى الرغم من أن جامعة «هاوارد» التى درست فيها بواشنطن العاصمة، كانت لعموم السود، فإن الطلبة فيها كانوا يُوزعون فى مجموعات تبعًا لدرجة سواد بشرتهم، كما واجهت المطاعم والحافلات المنفصلة عنصريًا لأول مرة فى حياتها.

فى البداية كانت طالبة فى برنامج الدراما، ودرست المسرح مع مدرسى الدراما المشهورين وقتها آن كوك ريد وأوين دودسون، وتخرجت عام ١٩٥٣ بدرجة البكالوريوس فى اللغة الإنجليزية، ثم حصلت على درجة الماجستير فى الآداب من جامعة كورنيل فى إيثاكا، نيويورك، وكانت أطروحة الماجستير الخاصة بها بعنوان «معالجة فرجينيا وولف وويليام فوكنر للمنبوذين»، بعدها بدأت العمل بالتدريس فدرست اللغة الإنجليزية أولًا فى جامعة تكساس الجنوبية فى هيوستن لمدة عامين، ثم فى جامعة هاوارد لمدة سبع سنوات تالية، وأثناء التدريس فى جامعة هاوارد التقت بهارولد موريسون، المهندس المعمارى الجامايكى، وتزوجته عام ١٩٥٨، حيث ولد ابنهما الأول عام ١٩٦١ وكانت حاملًا فى ابنهما الثانى عندما انفصلا عام ١٩٦٤، وبعد طلاقها وولادة ابنها سليد، بدأت العمل محررة فى قسم الكتب المدرسية فى دار نشر «راندوم هاوس» فى «سيراكيوز»، ولكنها بعد عامين انتقلت إلى العمل بالمقر الرئيسى للدار فى مدينة نيويورك، حيث أصبحت أول محررة كبيرة سوداء فى قسم الروايات الخيالية، وهى الدار التى ارتبطت معها لنحو ١٨ عامًا.. وبصفتها هذه لعبت موريسون دورًا حيويًا فى وضع الأدب الأسود ضمن الاتجاه الرئيسى للدار، وكان أحد أول الكتب التى عملت عليها هو «الأدب الإفريقى المعاصر»، وهى مجموعة تضمنت أعمال الكتاب النيجيريين وول سوينكا، وتشينوا أتشيبى، والكاتب المسرحى الجنوب إفريقى أثول فوجارد، ورعت جيلًا جديدًا من الكتاب الأمريكيين من أصل إفريقى، بما فى ذلك الشاعرة والروائية تونى كيد بامبارا، والناشطة الراديكالية أنجيلا ديفيس، والروائية جايل جونز، كما جلبت للدار السيرة الذاتية لبطل الملاكمة الأشهر محمد على كلاى «الأعظم: قصتى الخاصة»، التى نُشرت عام ١٩٧٥، بالإضافة إلى ذلك روجت لعمل هنرى دوماس، وهو روائى وشاعر أسود غير معروف قُتل بالرصاص عام ١٩٦٨ على يد ضابط فى مترو أنفاق مدينة نيويورك، وكانت دار النشر غير متأكدة من المشروع، لكن نشره قوبل باستقبال جيد، وربما يفسر ذلك ما قالته فى مقابلة مع صحيفة «أوبزرفر» البريطانية عن بداياتها: «كان هناك شىء واحد فقط أردت الكتابة عنه، التأثير المدمر للعنصرية على المرأة السوداء والطفل، وهما أكثر وحدات المجتمعات التى لا حول لها ولا قوة وتفتقد الحصانة والحماية».

2 تاريخ وعلم اجتماع وفلكلور وكابوس وموسيقى

بدأت موريسون رحلتها مع الكتابة خلال وجودها ضمن مجموعة غير رسمية من الشعراء والكتاب فى جامعة «هاوارد»، وكانوا يجتمعون لمناقشة أعمالهم، وفى إحدى المرات قرأت عليهم قصتها الأولى عن شابة سوداء تصلى يوميًا من أجل أن يمنحها الرب عينين أكثر زرقة، لأنها تعتقد أن عالم القهر الذى تعيشه سيتغير عند النظر عبرهما، وهى القصة التى بنتها على تجربة شعورية حقيقية لإحدى صديقاتها، وهى القصة التى طورتها فيما بعد، وحولتها إلى رواية «العيون الأكثر زرقة»، فكانت تستيقظ كل صباح فى الساعة ٤ صباحًا لكتابتها فيما تقضى بقية اليوم فى عملها ورعاية طفليها اللذين ربتهما بمفردها، وهى الرواية التى صدرت عام ١٩٧٠، عن دار «هولت ورايناهارت وونستون».. لم تحصل الرواية على مبيعات جيدة فى البداية، بالرغم من حصولها على تقييم جيد من قبل النقاد، إذ كتب عنها جون ليونارد فى مقال بصحيفة «نيويورك تايمز»: «إنه نثر دقيق للغاية، ومخلص للغاية، محمل بالألم والدهشة، لدرجة أن الرواية أصبحت شعرًا.. إنها ليست رواية فحسب، هى أيضًا تاريخ، وعلم اجتماع، وفلكلور، وكابوس، وموسيقى».. بعدها وضعت جامعة نيويورك الرواية على قائمة القراءة الخاصة بقسم الدراسات السوداء الجديد، وهو ما فعلته كليات وجامعات أخرى، ما أدى إلى زيادة المبيعات، كما لفتت الرواية انتباه روبرت جوتليب، المحرر الأدبى الشهير بإحدى الدور التابعة لراندوم هاوس، الذى أصبح فيما بعد المحرر الأدبى لجميع روايات موريسون.

بعدها بثلاث سنوات نشرت روايتها الثانية «صولا» التى رشحت لجائزة الكتاب الوطنية، غير أن روايتها الملحمية «نشيد سليمان» التى نُشرت فى ١٩٧٧، كانت مفتتح سلسلة من الروايات التاريخية عن تجربة الأمريكيين السود، وهى التى لفتت الانتباه إلى موهبة موريسون وتوجت بجائزة «نقاد الكتاب الوطنى» الأمريكية.

كتبت موريسون أيضًا عددًا من كتب الأطفال بالتعاون مع ابنها الأصغر سليد، وهو رسام وموسيقى، توفى بسبب إصابته بسرطان البنكرياس عام ٢٠١٠ بعمر ٤٥ عامًا، وكانت حينها تعمل فى روايتها «وطن» فتوقفت عن الكتابة، لكنها كشفت لاحقًا عن أن محاولات أصدقائها مواساتها لم تفلح فى إخراجها من حزنها وانقطاعها عن الكتابة، وقالت لصحيفة «جارديان»: «ماذا تقول؟ ليس ثمة كلمات تعبر عن ذلك. حقًا لا توجد كلمات».. «حاول البعض أن يقولوا لى نحن آسفون، آسفون جدًا، يقول الناس ذلك لى، ليس ثمة لغة مناسبة للتعبير عن ذلك.. آسف لا تنفع هنا. أعتقد أنك ينبغى أن تحضن الناس فقط»، لكنها تمكنت أخيرًا من العودة إلى الكتابة وإكمال رواياتها قائلة: «لأن ذلك ما كان يرغب به سليد»، وقالت فى محاضرة تكريمها بجائزة نوبل إن السرد لم يكن مجرد ترفيه، بل هو فى اعتقادى إحدى الطرق الرئيسية التى نستوعب بها المعرفة»، وقالت: «أنا لا أكتب انتقامًا من العنصرية بل لتغيير اللغة إلى لغة لا تنتقص من الناس».

3 أثر محبوبة وتأثير أوبرا وينفرى

على الرغم من غزارة كتابات موريسون، التى تمتعت بالاحتفاء والشهرة، فإن رواياتها «محبوبة» ظلت أكثر رواياتها شهرة، وهى الرواية التى تحولت إلى عمل سينمائى عام ١٩٩٨، بطولة أوبرا وينفرى ودانى جلوفر، ١٩٨٧، وهى أيضًا الرواية التى شكلت نقطة حرجة فى تاريخ نجاحها عندما فشلت فى الفوز بجائزة الكتاب الوطنية، وجائزة النقاد، ما دفع ثمانية وأربعين ناقدًا وكاتبًا أسود إلى الاحتجاج ضد إغفالها، وكتبت ميتشيكو كاكوتانى، مراجعة الكتب فى صحيفة «نيويورك تايمز»: «إن مشهد الأم وهى تقتل طفلها «وحشى ومزعج للغاية، لدرجة أنه يبدو وكأنه يحرف الوقت قبل وبعد ذلك إلى خط واحد ثابت من القدر» فيما كتبت الكاتبة الكندية مارجريت أتوود: «يبدو أن تنوع السيدة موريسون ونطاقها الفنى والعاطفى لا يعرف حدودًا. إذا كانت هناك أى شكوك حول مكانتها كروائية أمريكية بارزة، من جيلها أو من أى جيل آخر، فإن (محبوبة) ستضع حدًا لهذا».

الرواية استوحتها موريسون من قصة حقيقية لأمريكية مستعبدة من أصل إفريقى، هى مارجريت جارنر، هربت من العبودية، لكن صائدى العبيد طاردوها، وفى مواجهة العودة إلى العبودية، قتلت ابنتها البالغة من العمر عامين حتى لا تراها تُؤسر وتُستعبد من جديد، لكن تم القبض عليها قبل أن تتمكن من قتل نفسها، وتتخيل رواية موريسون عودة الطفلة الميتة كشبح، المحبوبة، لتطارد والدتها وعائلتها.

فشل الفيلم فى شباك التذاكر، وقالت مجلة «إيكونوميست»: «معظم الجماهير غير راغب فى تحمل ما يقرب من ثلاث ساعات من فيلم عقلى بقصة أصلية تتميز بموضوعات خارقة للطبيعة والقتل والاغتصاب والعبودية»، ووصفت الناقدة السينمائية جانيت ماسلين، فى مراجعة بعنوان «لا سلام من إرث وحشى»، الفيلم بأنه «تكيف مذهل وعميق الشعور لرواية تونى موريسون، بالطبع محوره الرئيسى هو أوبرا وينفرى، التى كانت تتمتع بالقوة والبصيرة لإحضاره إلى الشاشة ولديها الحضور الدرامى لربطها معًا»، وفى عام ١٩٩٦ اختارت وينفرى «نشيد سليمان» لنادى الكتاب الذى أطلقته، الذى أصبح ميزة شائعة فى برنامجها، وشاهد نحو ١٣ مليون مشاهد فقرات النادى، ونتيجة لذلك، عندما اختارت وينفرى أقدم رواية لموريسون «العيون الأكثر زرقة» للنادى عام ٢٠٠٠، باعت نحو ٨٠٠ ألف نسخة إضافية، وكتب جون يونج أن مسيرة موريسون شهدت دفعة جديدة بتأثير أوبرا التى اختارت أربع روايات لـ«موريسون» على مدار ست سنوات، كما ظهرت الروائية أيضًا ثلاث مرات فى عرض وينفرى، حتى اندهش البعض من ذلك، وقالت وينفرى: «بالنسبة لجميع أولئك الذين طرحوا السؤال: تونى موريسون مرة أخرى؟، أقول بكل تأكيد إنه لم يكن هناك نادى أوبرا للكتاب لو لم تختر هذه المرأة مشاركة حبها للكلمات مع العالم».

كانت موريسون هى أول امرأة سوداء من أى جنسية تفوز بجائزة نوبل للأدب، وقالت فى خطاب قبولها: «نحن نموت، قد يكون هذا معنى الحياة، لكننا نمتلك اللغة، قد يكون هذا مقياس حياتنا»، كما تحدثت عن قوة سرد القصص، ولإثبات وجهة نظرها روت قصة تتحدث عن امرأة سوداء، عمياء، عجوز، اقتربت منها مجموعة من الشباب، وسألوها: «ألا يوجد سياق لحياتنا؟ لا أغنية، لا أدب، لا قصيدة مليئة بالفيتامينات، لا تاريخ مرتبط بالخبرة يمكنك تمريره لمساعدتنا على البدء بقوة؟!» وقالوا لها: «فكرى فى حياتك، وفى حياتنا، وأخبرينا بعالمك الخاص، اخترعى قصة».

> فى أولى سنوات تحققها نشرت أعمال سوينكا ومذكرات محمد على كلاى.. وقصائد شاعر مغمور أسود قتله شرطى فى المترو

> قاست فى طفولتها أحقر تجليات العنصرية الأمريكية ضد السود.. وكان والدها يكره البيض ولا يسمح بدخولهم المنزل

البحر الأحمر..
ثنائية البحر والصحراء 1

البحر الأحمر محافظة ساحلية تمتد على ساحل البحر الأحمر، وتنحصر بينه شرقًا وبين كتلة جبلية مُطلة على وادى النيل من ناحية الغرب؛ وصفها العبقرى جمال حمدان فى «شخصية مصر» بأنها أرض عبور وليست أرض إقامة.. شمس مشرقة وصحراء محرقة ومياه صافية جعلت من «الغردقة» عاصمة المحافظة مقصدًا ووجهةً سياحية عالمية.

أصبحت السياحة خيارًا اقتصاديًا واجتماعيًا مهمًا، واكبه حراك ثقافى، ولما كان الأدب دائمًا هو نتاج لحركة الحياة المنطقية فما اجتمعت جماعة فى أى مكان إلا وابتكرت فنونًا أدبية متنوعة، وفى سبعينيات القرن الماضى وعلى يد الشاعر جلال الأبنودى الذى يعتبره الجميع «الأب الروحى» للأدب والأدباء، ومعه الشاعر محمد كمال هاشم؛ أحد أهم رواد الحركة الثقافية والأدبية فى المحافظة، بدأ الاثنان بتحريض ذوى المواهب على التنافس وعقد الأمسيات والندوات، وكان ذلك مبتدأ لظهور عدد كبير من الأدباء آنذاك منهم على سبيل المثال، كل من «أحمد عمر، رمضان الخطيب، د. أبو الفتوح، صلاح العويضى، محمد سيد عبدالباقى، محمد الأنصارى، جمال بدوى، محمد على، محمد يوسف، عبداللطيف مبارك، محمد المعتصم، إبراهيم خطاب»، والشاعرة نادية جبران كأول سيدة تطرق الباب الأدبى. ويعد هذا التاريخ مفصليًا فى تحوّل الحركة الأدبية من نظام الأفراد إلى نظام مؤسسى؛ حيث تم تأسيس أول جمعية أدبية باسم «أدباء البحر الأحمر».

> السياحة خيار اقتصادى واجتماعى يواكبه حراك ثقافى كبير فى البحر الأحمر

وعلى التوازى كانت أبواب «قصر ثقافة الغردقة» مفتوحة تستقبل الأدباء آنذاك، وتم إصدار عدد من الكتب تضم أعمال ونصوص الشعراء؛ بعضها يتبع الجمعية مثل كتاب «أحاسيس وأصداء» الذى تم إصداره عام ١٩٩٢، والبعض يتبع الثقافة مثل كتاب «همسات البحر».. وكان الشعر أظهر الأجناس الأدبية انتشارًا فى ذلك الوقت، حتى عاد بقلمه وحلمه متفردًا القاص والروائى سعيد رفيع؛ أحد رواد القصة والرواية، وقد جاء ليصنع تاريخًا لحياة البدو فى الصحراء الشرقية.. وبدأ يفتح لكتاب القصة الأبواب، وبدأت الحركة الأدبية تستقبل عددًا من مبدعى القصة، وفى مقدمتهم القاص والروائى محمد على رفيع الحائز على عدد من الجوائز والتكريمات، ومن أهم كتاب القصة والرواية فى البحر الأحمر نسوق على سبيل المثال لا الحصر أسماء المبدعين «طه الشريف، بهاء الدين حسن، منى السعيد، منى الشيمى، هدى سعيد، رفاعى سعدالله، وشريف الجهنى».

خطت الحركة الأدبية خطوات واسعة امتدت إلى بقية المدن، فبدأ الحراك الأدبى يعلو صوته فى مدينة سفاجا، حيث الشعراء «محمد سعيد مصطفى، شاذلى عبدالعزيز، وعبيد طربوش».. ثم مدينة القصير بشعرائها وباحثيها «أبو ضيف شلبى، محمود سيد، محمود القصاص، ووائل على».. ومدينة رأس غارب بشعرائها «حامد أبو دقة، أيمن أمين، أحمد أبو كوع، الحسن عباس، بولا سمير، محمد أمين فرج، وآمنة شاهين».

ومع بداية القرن الواحد والعشرين واصل جيل الوسط «فرج الضوى، سيد الطيب، رفاعى سعدالله، سعيد صابر، سعاد مصطفى، وشريف الجهنى»، ذلك الحراك الثقافى فى جميع المجالات «الشعر والقصة والرواية والنقد وأدب الطفل»، واهتموا بالعمل الثقافى وخصوصيته الفنية والمجتمعية فى البحر الأحمر، وشجعوا على خروج «الشعر النبطى» الذى تميز فى كتابته وأصبح رائدًا من رواده الشيخ على سليمان، وفتح هذا الجيل آفاقًا جديدة وأفكارًا تواكب العصر، واستقبلوا الأجيال الجديدة الباحثة عن نفسها بتنظيم الأمسيات والندوات.. وانضم إليهم من الأدباء «أحمد على، سعيد صابر، عبدالباسط عثمان، جمال الشيمى، سعاد مصطفى، علاء رسلان، محمد عبدالعزيز، مجيب عيد، رمضان المهدى، عيد السويفى، عباس سيد عباس، وشيماء حسن» وياسمين عبدالفتاح فى أدب الطفل، ثم انضم من جيل الشباب محمد إبراهيم كوش.

إن ما نتحدث عنه- رغم مرور نصف قرن على هذا البعث الأدبى على أرض البحر الأحمر- ما هو إلا إرهاصة لعصور من الازدهار فى سماء الفن العربى؛ شعرًا وسردًا ورؤية وتفاعلًا مع البحر وأسراره والصحراء ودروبها.. وهذا التنوع والتضاد الجميل لا بد وأن يكون خلاقًا لطاقاتٍ إبداعية دائمة ومتجددة.

ميرفت سعيد

محمد سعيد مصطفى

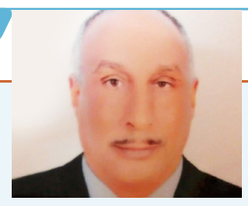

قصيدتان

فى المطار
حين صوَّب عينيه إلى
واستدعانى من بين الصف
لم أتخوَّف
حين تساءل عن كتب ضمتها يدَى
هطلت أمطارُ الخوف علىَ
لما أدرك أنى شاعر
الذعر تمادى فى عينَىْ
أما حين ابتسم الشرطىُّ
وحيّا الشاعر فىْ
أيقنت مهبط طائرتى
خارج خارطة الوطن العربى.

استثناء
كم تصعد روحانا
بثنايا البهجة
تخترق الأجواء
نتهادى من جنتنا
بنفسجةً/ نعرجُ نحو سماء
فوق سماءٍ تحت سماء
ويكفيها القمر الأنور/ ما أبهاه
العشق/ النور
وما أحلى الإسراء بعينيها
عيناها الهائمتان بألوان الطيف
تكتنزان الحسن تمطر وَلَهًا
فوق الصحراء العطشى
يعلو السوسن والورد المسحور
وعنادل تشدو
تتلو وردًا من أذكار الحب
ماذا تقرأ فى كفيها
من فلسفة الحناء
حتى تهدى مباهجها كل الأنحاء
امرأة استثناء.

علاء رسلان

مساحات مفخخة

مساحة أولى»
هذى المساحة بين أوردتى
وبين رصاصة الشعر تراودنى
وتوجع ما تبقى من دمى...
كل الحروف الأبجدية
لا تغطى عورتى
وأنا مسجى فوق أرصفةٍ صدأ
ما عادت الأخبار تأسرنى.. وما
عاد أنتظار الفجر يقلق صبوتى
الآن أحمل ما تبقى من حروف خاسرة
وألفُ بين أصابعى..
بعض المسافات التى أفرغتها من
جعبتى
وأعود محزونًا كأى قصيدةٍ
أخطو على فخ الحروف.. وأستعيد
الذاكرة:
«ألفٌ»..
أروحُ لأزمة القلب..
المغطى بالسَكاتْ
قلبٌ.. وماتْ
أرْدَته أرغفة الحياةِ..
وبعضُ أسئلةٍ
عن الرأس المنكس فى الطريقْ
فانحاز للصف الممدد..
فى انتظار المعجزات. «بَاءٌ»..
بلاد تزدرينى فى الصباح وفى المساء
تصبُّ كل همومها فى أضلعى
فأسبُّ طبشور المرارة فى يدى
وأسبُّ ذاكرتى التى لم تحتمل..
ضغط القصيدة فوق روحى.
«جيمٌ»..
جنوبٌ أحرقته حرارة الشوق..
المغطى بانحناءات الوهن
ما بين جلدى وانكسارات الوطن
فانشق من صبارة الألم الطويل..
وراح يهذى عن مواويل الأحبة..
ثم يشكو النيل
حين يشقنى نحو الشمال مهاجرًا
ويدوس فوق ملامحى
ون اهتمام
فأخيط بضعًا من جروحى..
ثم أقرؤها السلام.

«مساحة ثانية»
ذاتَ صيفٍ
كنتُ وحدى خارجًا من قمقم الوقتِ..
مُراقًا فى ميادين البلادِ
كنتُ محشوًا ببعض الأسئلة
وكثير من علامات التعجبْ
كنت وحدى..
راكبًا بحر المساءات العصيّة
فاردًا كلَّ الشراعات التى هيأتُها
للسالكينْ ناشرًا فوضى الحروفِ
شاهرًا حزنًا..
وبعضَ الأصدقاءِ الطيبينْ
كان فى جيبى حلمٌ بالبراحْ
فلماذا كسَر القمقمُ روحى
قبلَ يوم من خروجى
ثمَّ ألقانى بعيدًا فى «قنا»
- لايزالُ الحلمُ مكسورَ الجناحْ-
كنتُ وحدى مُمسكًا حبرَ احتمالى
وزنادُ العمرِ مضغوطٌ تمامًا
كيفَ أطلقتُ القصيدة
فى اتجاهٍ خاطئٍ
وسقطتُ دونَ أنْ أحصى الدماءْ
ذاتَ صيف
كنتُ وحدى قد وُلدتُ
ذاتَ نفس الصيفِ.. متُّ
- لا عَزاءْ!

أحمد عمر

عمرى وعمرك.. توأمان

ورمَقتُها
تنبى بأمس قد مضى
وتداعب النسمات منها حرفها
فى لوحة التقويم يبدو
وجهها
عنوانها: اليوم الذى تولى
وانقضى
فكأنما يأبى الفراق ويبتغى
عمرًا جديدًا باقيًا..
لا يبتغى عمرًا مليئًا بالقناعة
والرضا
وكأنها الزمن اللهيف تسمَّرت
أقدامه من فرط اللهاث
ولم تعد تقوى على جريانها..
ورمقتها.. والغيظ يأكل
داخلى
وتصدرت جيشًا من الأوراق
رُصت خلفها
تبدو كمقدام يقود جحافل
فى ساحة الأيام أصبح رابضًا
فنزعتها عن لوحة التقويم ثم
طويتها
بين الأصابع- غاضبًا-
وقذفتها
بين القمامة فاستعادت وعيها
مثل الصدى
فكأنها انتهت لهتك حجابها
وضميرها للفتك والتمزيق
أصبح رافضًا
وكأنها ثأر يموج بصدرها عبر
المدى
سخرت وراحت عينها تخفى
بريقًا غامضًا
فتساءلت: أفنيتى؟
«أسقطتنى من لوحة التقويم»
إذ عمرى وعمرك توأمان
فهل ضمنت العيش عمرًا
سرمدًا؟
فجزعتُ من تأنيبها
وهُرعتُ أفحص صفحة المرآة
أرنو ما بها
فكأنها تلك الوريقة قد تحقق
ثأرها
يا قسوة الأيام إذ قد حطمت
«تاجى»
وأذكت فيه لونًا أبيض.

جمال بدوى

زهرة الخريف

تجيئين بعد هطول المطر
وبعد النماء وجنى الثمر
فأيناك حين استبد اشتياقى
وفاض ربيعى صبا وازدهر
وكنت أصوِّرُ حلمًا سعيدًا
وأنثر فى الأفق وهم الصور
أُفتشُ فى عمق صدرى أوارى
فؤادًا تشتت بين الفكر
وكان الجنون حلالًا وسحرًا
ويحرم بعد انتصاف العمر
تجيئين بعد اكتمال العناء
وعجز القصيد ويأس الوتر
فأمسكتُ قلبى وأيقنت أنى
بحولٍ تكسَّر دون المفر
أسوقُ للنفس والشوق عمرًا
يُسافر دومًا بلا مستقر
تريدين ردة قلبٍ مُنيبٍ
يودِّعُ آخر جُرح ضَمر
بعينيه نور الصفاء المجيد
يرى كل شىء بهى الغرر
تجيئين مثل انتصاف القمر
وضوؤك فى مقلتى ينحسر
وعمرى تبعثر بين الأمانى
يكابد قهرًا وحظًا عَثر
فللعشق نارٌ ونور وحلم
ووهمٌ يقرِّبُ بُعد السفر
وأسلمت روحى رضيًا إليه
فأضرم فى صمتها واستعر
وما زال قلبى يهاب الحنان
ولفح الهجير بجوف السحر
برئت من العشق والقلب روض
من اليبس أضحى يحاكى الحجر
تجيئين فوق غمام السنين
بصفو اللقاء وحلو السمر
فوالله لولاه ربٌ عظيمٌ
وأنّى فقيرٌ وأخشى سَقَرْ
لكنت أريتك ما لا ترين
وأنفذت مكرًا غريب الصور
فإن شئتِ قولى عصىَ الهوى
وإن شئت قولى عديم النظر
فكيف أبوء بسخط وأحيا
وهم الضعيف رضا المقتدر
تجيئين مثل انبعاث اللهيب
وضنك الشقاء ووخز الإبر
أشيحى بوجهك إنى ضعيف
وبعضى صفيٌّ وبعضى عَكِر
وسطوة حسنك قد تستبينى
وينفذُ وهجك مثل الشرر
وأفتح للقلب سجنًا جديدًا
حرامٌ لقلبى أن ينفطر
تأخر سيرُك عنى فولى
فمن كان يومًا يردُّ القدر؟
فغنى لحظك مثلى وذوبى
فكم ذاب فى الحب بعض البشر.

بهاء الدين حسن

العاملة

لم أكن أستلطفها، وكنت كلما احتجت إلى شىء، أذهب إليها على مضض، فلم تكن تنزل على قلبى بردًا وسلامًا، حتى حكاية أنها تصرف على أمها المريضة، ووالدها المُسن، لم تجعلنى أتعاطف معها! فقد كنت كلما ذهبت لشراء حاجة من السوبر ماركت، الذى تعمل به، أشعر بالغيظ، عندما تشير بسبابتها، من خلف المكتب الذى تجلس عليه، فى اتجاه الرف الموضوعة فوقه الحاجة، وهى تقول: هناك.

لم تفلح رقتها أو عذوبة صوتها، الكفيل بأن يجعل أى زبون ينسى نفسه، ويقف بالساعات يحكى معها، مستدفئًا بأنوثتها، وطزاجة ملامحها، فى أن تشفع لها..

. ربع كيلو لانشون، ونُص كيلو جبنه رومى.

لا يصح هذه المرة أن تشير بسبابتها، وهى تجلس خلف المكتب، فلا بد من أن تقوم وتتحرك بنفسها، لتقطيع اللانشون والجبنة الرومى من ناحية، ومن ناحية أخرى لتضعهما على الميزان.

التَفَتَتْ يمنة ويُسرة، ونَظَرَتْ تحت المكتب، تبحث عن شىء... لا أدرى لماذا أثار بحثها فضولى، وربما غضبى، لشعورى بأنها تتكاسل وتماطل فى التحرك، فجثوت على ركبتى ونزلت تحت المكتب، أبحث معها؟

تصبب جبينى عرقًا وخفق قلبى، عندما رفعت عينىَ، فجاءت فى مواجهة ساقها المبتورة... لم أفق إلا على صوتها وهى تقول: من فضلك أحضر لى العُكّاز.

رفاعى سعدالله

أصداف حزينة

أَبى وعَم حسن صديقان مُنذ الصِغَر، لَمَا ضاق بهما العيش سافرا معًا إلى إحدى الدول الأجنبية، قرر عم حسن أن يكون أولاده فى رفقة جَدَتهم من أمهم؛ لترْعَاهُم فى غيابه، أمَا وَالِدى فَقَدْ تَرَكَنا فى بيْتنَا- فَهُو يَعْتَمِدُ علىَ فَأنَا أكْبَرُ إخْوتى- بَعدَ أنْ طَمْأننى بأنَ البَحرَ وحدُه مَا يَفْصِلُ بيننا.. سافرا ولَمْ يَصحبا مَعهما إلا تلكَ المِهنَة الَتى تَميزا بِهَا عَن الْجَمِيع؛ فَهُما مَاهران فِى عَمل الأرابيسك، يشتركان معًا فى عُمل كل قطعة، أكَاد أعرفُ مشغولاتهما مِنْ بَيْن آلاف المشغولات، رَغم أنَنى لا أعرفُ بصمة كُل مِنهما على حِدة، كل شهر أتلقى رسالة ورقية؛ تطمئننا عليهما، كل شهر يصلُ راتبُنا عن طريق البريد.

قَررتُ يومًا أنْ أتَجه نَحوَ البَحر. فمُنذ أيام أُعانى مِنْ كابوس مُزعِج؛ جَرَفَت الأمْوَاجُ قطعةً مِنْ الأرابيسك، دَقَقتُ النَظر فيها؛ الخَشب نَفس النَوع هو خشب الأرَاجوز؛ فَكان أبى وعم حسن يُفضِلانه على الزان، الأصداف مرصوصة بنفس الطَريقة، حتى النحَاس مُطعم بنفس الطَريقة، ولَكنى وجَدتُ نَفْسى أشعُرُ بغُربة نحوها، دقَقتُ النَظَر أكثر فوجدت الأصداف حزينة وكأنها تشعر بنفس الغربة.

عُدتُ مُكْتئِبًا.. أخى الصَغير أعْطَانى رسَالة مُحتواها: «مَات صَديقى العزيز، الإمضاء والدِكم، ملحوظة سأرسل لكم نصفَ المَبْلغَ فأنا الآن أعُول أسرَتين»، حَزنت كَثيرًا، فَوَجَدتُ مِنْ الوَاجب أنْ أعَزى أولَاد عم حَسن رغم أن والدى لمْ يَطلُب مِنى ذَلَك، فسَافَرتُ إلى بلد جَدتهم البَعيدة، قابلونى بحرارة.. بكيْنا جَميعًا، وعلى منضدة صغيرة لَمحتُ رسالة مطوية تنَاولتها، قَرأتُها؛ كَلمَاتُها نَفْس كِلمات رسالتنا، حتى إننى ظَننْتُهَا هى، أخْرجت رسالتنا من جيبى لأتأكد أنهما رسالتان، اندهشت.. اندهشنا جميعًا؛ كل شهر تصل لكل منا رسالة تطمئننا عليه، كل شهر يستلم كل منا نصفَ المَبلغ؛ عم حسن وأبى كانا صديقين مُنذ الصِغر.

منى الشيمى

ما حدث بالخارج

انزلق رتاج الباب إلى مكانه بعد أن صَفَعَتْه بقوة وخَرَجَتْ. سمعتُ دقات خطواتها على السلم تبتعد تدريجيًا. سحبتُ نفسًا عميقًا ووقفتُ قرب النافذة أرقب عبورها بين الأشجار العارية فى الممر. أوراق الشجر الجافة تملأ أرضيته حتى المدخل، والشجر ينتصب عاريًا فى مواجهة الريح الباردة، والضباب يحجب الرؤية بعد مسافة قصيرة.

سألتنى قبل خروجها: «لماذا تصر على أن أذهب وحدى»؟

تركتُ سؤالها من دون إجابة، فغادرت غاضبة، وتركتنى واقفًا ابتلع غصتى.

يجب أن تذهب بمفردها إلى لقائه. عليها أن تعتاد الظهور بدونى. بهذه الطريقة فقط سيسقط خجلها، وقد تشجعه إذا كان يروقها. قالت مرة إنه وسيم، وضبطتها كثيرًا تنظر إليه بإعجاب، وهو يفضل المرأة العربية على الأجنبيات كما ردد أمامى كثيرًا، لكن وجودى بينهما يحول دون تطور العلاقة. لا تنسى أبدًا أنها زوجتى، ولا ينسى أنها زوجة صديقه، لكنها ستنصاع إلى احتياجاتها كأنثى إذا وجدت الفرصة سانحة..

قالت مرة: «الرجل الذى يعتقد أن المرأة قد تضحى باحتياجاتها من أجل الوفاء للزوج لابد مغفل»..

وقال كثيرًا: «خير العلاقات: علاقة مختلسة، فيها الزوجةُ تخونُ زوجَها، والرجلُ يخونُ صديقَه مع زوجته».. فى غيابى؛ سينسى أنها زوجتى. وسيرجحُ متعتَه على الوفاء لى. سأعتبرُ وفاءه ساريًا. لن أظهر أى استرابة. أنا من دفعتها إليه. منذ شهور أخطط لهذا السيناريو. سيبدو الأمر كما لو كان عفويًا..

قال منذ فترة: «أنا بحاجة إلى امرأة تساعدنى نصف الوقت فى مكتبى»..

لم تعرف أنى وراء إرسال الخطابات، التى كانت سببًا فى فصلها من مكتب المراقبة الاجتماعية للمراهقين الذى تعمل فيه. لم أكتب فى كل الخطابات سوى جملة واحدة: «الموظفة العربية التى تعمل عندكم إرهابية». كانت الموظفة العربية الوحيدة. لم يتأثر المسئولون فى البداية. ثم فُصلت دون إبداء الأسباب. اقترح بعض الأصدقاء فى سهرة نهاية الأسبوع عليه أن يستعين بها. رحب كثيرًا، واستشارنى فى الأمر. اندهشتُ، كأنى لم أتوقع العرض، ابتسمت مشجعًا، ولم أعلق سوى بـ«هى من يقرر هذا».

ألقيتُ الكرة فى ملعبها وتركتُ لها حرية الاختيار. كان تصرُّفى جزءًا من الخطة.

مضى ربع ساعة على خروجها. مازال عطرها شالًا يهفهف حولى. منذ التقيتها فى السفارة، كانت تستعد للسفر فى الإجازة الصيفية، وكنتُ أقضى بعض الأمور. نظرة واحدة كانت كافية. التقينا مرات بعد عودتها. من السهل أن تعرف عنوان امرأة تبادلك الإعجاب السرى ذاته، وترغب فى أن تطوى المسافة بينكما، أن تعرف رقم هاتفها وميعاد تناول قهوتها ومكانها المفضل. من السهل أن تقبل الزواج تحت وطأة ظروف صعبة، توافق سريعًا على كل شىء. حتى قبولها الإقامة فى شقة نائية وصغيرة، تتحول بكتبى وأوراقى وأقلامى إلى فوضى عارمة.

نظرات إعجابها فى هذه المرحلة كانت تحيطنى بهالة من الضوء. اهتمامها قيمة مضافة إلى رجولتى. تستعجل الوقت إذا دعانا صديق إلى سهرة، تهمس: «البقاء وحدنا أجمل». تؤكد علىَ أن أعود مبكرًا إذا توجهتُ إلى ندوة بدونها: «كيف تترك زوجتك الحامل وحيدة؟» تواجهنى بدلال عند عودتى. ترى فى أفعال ابننا امتدادًا لأفعالى، تقارب أنفه إلى أنفى، وطريقة مشيته إلى طريقة مشيتى.. «يجب أن يسجل الرجل مؤشرات فحولته كل حين»؛ تمتمتُ مغادرًا مكانى خلف النافذة. مرت ربع ساعة أخرى. سحبتُ سيجارة وأشعلتها. كانت فحولتى تنعكس عليها، تصفف شعرها كل صباح، وتهتم بهندامها دومًا، تسكب قطرات عطرها على عنقها، تلمع عيناها كلما التقت بعينى. ستصل عنده بعد قليل. اتصل بها ليلة أمس، وقال: «الأوراق تراكمت وبحاجة إلى ترتيب.. يلزمنا وقتٌ إضافى».

لا يعرف أن حيلته مفضوحة أمامى. جاءتنى بعد قليل مترددة: «لا أريد العمل معه». نظرت فى الجهة الأخرى، ولم أعقب. كان الصغيران يلعبان بقطع المكعبات. يرصانها ويعيدان فكها من جديد. أعادت جملتها من جديد: «لا أريد العمل معه». نظرت إليها حاسمًا وقلت: «انتظرى حتى تجدى عملًا آخر».

لا تريد ترك العمل معه. أعرف كيف تفكر. لكنها تريد مبررًا. تريد دافعًا تستند عليه لتُقدم على ما تمنت حدوثه. عدلّت طلبها: «تعال معى.. تسامرا معًا بينما أقوم بالعمل. لا يستقبل المكتب العملاء ليلًا».

رفضتُ بتحريك رأسى يمينًا ويسارًا، وادعيتُ الانغماس فى ما أفعله. أفسحتُ لها طريقًا وتركتها. حتما أصطحبها فى حلمها قبل أن تنام، واستيقظت على همسته قرب أذنها فى الصباح، وألحت احتياجاتُها فبكت وحدتها قبل أن تنزع نفسها من السرير. خيالاتُها جزءٌ من حياتى، لا يجب أن أضعَ رأسى فى الرمال بعد الآن.

بدأ الاكتشاف مصادفة. اصطَحَبتُ الصغيرين لتقضى وقتًا مع صديقتها. فصل اللابتوب، لم أجد الشاحن حولى. فتحتُ درج مكتبها بحثًا عنه، تضع الأشياء فى غير أماكنها مؤخرًا. استلفت انتباهى «نوت» مذكراتها بغلافه الأسود.

لماذا نكتب دومًا كلمة «مذكرات» على أسرارنا؟ نكثف لدى الآخرين الفضول، وندفعهم ليقدموا على تصرف يسوؤهم إذا فعله أحدُ ضدهم. «أنا وحيدة»؛ عنوان صارخ. استنفر انتباهى. كيف لم ألحظ التبدل الذى طرأ على حياتنا؟ هل صورت لى ذكورتى أن شيئًا لن يتغير!. سار الأمر تدريجيًا بطيئًا وغير ملحوظ حتى لى، لكنى أستحضره كله الآن: دخولها مبكرًا للنوم، صمتها الدائم، ونظرة العتاب العميقة. اعتبرتُ وجود الصغيرين بديلًا عن احتياجاتها. ألا تكفى الأمومة لتعيشَ المرأة سعيدة؟.

التهمتُ باقى السطور فى زمن غير محدد. الزمن مطاطى يطول ويقصر مع الحالة. هى وحيدة منذ أن سقط نجمى. جيد استخدامها للمجاز.. لا تريد أن تجرحنى.. لا تريد أن تقول إنى صرتُ عاجزًا؛ «أشعر باحتياج طاغ.. أفتقد الإحساس بالاحتكاك.. وبالدفء»..

لا مفر يا حبيبتى. أفتقد مثلك هذه الأحاسيس، لكن القبلة تفضى إلى العناق، والعناق يؤجج مشاعرنا، وعند حافة الجرف لا أقفز. أقف عاجزًا ولا أقدر. «حافة الجرف!». ها أنا استخدم المجاز مثلك للتعبير عن حالتى. كنتُ أعتقد أن حياة أسرية مستقرة بدون إشباع حسى تساوى حياة سعيدة. كيف استنتجتُ هذا؟ لماذا فسرتُ الأمر لصالحى؟ وضعتُ غطاءً أسودَ على الأشياء وخمنتُ ما الذى يكون تحتها.

فضفضتك أججت بداخلى الرغبة فى إعادة المحاولة. لكن محاولاتى الفاشلة السابقة أعادتنى إلى حالة الانسحاب. مرت ساعة ونصف الساعة منذ خروجك. أعرف نقطة البدء، والحالة التى ستحتاجين فيها إلى المزيد، والوقت الذى سيبدأ فيه عجزى يربكنى، سأشعر به ثقلًا جاثمًا على صدرى، بقعة سوداء تقترب، سأكره وجودك فى هذه اللحظة، سأدفعك بقوة فى صدرك، وأدعى أن هواء الغرفة بحاجة إلى تجديد، وربما سأسحب المعطف من مكانه، أرتديه على عجل وأخرج لاستنشاق الهواء. عند عودتى لن أجدك، ستنامين مبكرًا فى حجرة الولدين، وستستيقظين صباحًا مدعية أن شيئًا لم يكن. تقومين بمسح الطاولة التى قمتِ بمسحها منذ دقائق، وتفرغين السلة الفارغة. تتقابلُ وجوهنا لكن عيوننا لا تلتقى. تصافح كل الموجودات ولا تستقر على شىء. ما قرأته عن مشاعرك أضاف همًا جديدًا إلى همومى. آآآآه.. سامحينى لم أفكر سوى بنفسى.

لماذا نبقى هكذا؟ باستطاعتك الانفصال. سأحمل حقيبتى وأختفى. أستطيع اقتسام راتبى معكم. تستطيعين تدبير أمرك بمفردك، باستطاعتنا الافتراق كصديقين. ليتنى أستطيع أن أعرض عليك الحل الذى توصلت إليه، لكن الصغيرين مازالا بحاجةٍ إلىّ، لا.. أنا بحاجةٍ أشد إليهما؛ «باستطاعتى رؤيتهما كل حين» عبارة لم أنطق بها. لم أستطع مواجهة نفسى ومواجهتك بها: «نحن موظفان لخدمة هذين الولدين الآن. بالمقابل هما يمنحاننا شعورًا رائعًا».

كيف استطعتُ تنفيذ ما فكرتُ فيه؟. لا يهم، الأوضاع بخير طالما بقى الأمر سرًا، لا يعلمه أحد. لا يصبح الحدث واقعًا إلا بعلم الآخرين به. مرت ساعتان ونصف الساعة، قالت: «سأغيب ثلاث ساعات». يجب أن أنشغل بشىء كى لا يصيبنى الجنون، سأعد عشاءً للصغيرين، وأشاهد نشرة الأخبار. سأتفقد «نوت» يومياتها، علّها أضافت جديدًا. لن ألحظ آثار يديه على كتفيها، وبقايا عطره بين طيات شعرها، سأتجاهل السؤال المعتاد: «هل كان وقتك جيدًا؟». سأتركها تنتشى بما حدث معه معتقدة غفلتى الكاملة. سأكتب قصة عما حدث، لن أغفل ذكر التفاصيل التى تخيلتها عن كيفية اللقاء. ما قمتُ بتخمينه جزءٌ من القصة أيضا. تمتمتُ: «الكتابةُ مقاومة للواقع». لا أذكر قائل العبارة. لا يهم. سأجهزُ شايًا وأدخلُ غرفتَى قبل وصولها بثوان.

حرف

الدستور الثقافى

إصدار إلكترونى يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر

المحرر العام: محمد الباز

الأربعاء
23 أكتوبر 2024
20 ربيع الآخر 1446
13 بابة 1741

بوكا

د. عبدالرحيم ريحان

حين تمتزج الحقيقة بالخيال تنتج لنا نوعًا من الأساطير والحكايات المثيرة، التى تجتذب عشاق الحضارة المصرية المليئة بالأدبيات والقصص، وتعبّر عن ثلاثية: الحلم والأسطورة والواقع فى نفس اللحظة.

من بين هذه الأساطير والحكايات «لوحة الحلم» أو «لوحة أبى الهول»، القائمة بين ذراعى أبى الهول، وهى لوحة تذكارية أمر بوضعها الملك تحتمس الرابع بين اليدين الممتدتين لتمثال «أبوالهول» فى الجيزة، تخليدًا لحلم رآه هذا الملك فى منامه قبل أن يعتلى عرش مصر عام 1401 قبل الميلاد.

هل أرسل أنوبيس «كلب الهرم» لدعم السياحة؟

تقول القصة إن الملك تحتمس الرابع كان أميرًا شابًا فى عصر الدولة الحديثة، وفى أحد الأيام خرج إلى الصيد على هضبة الجيزة، وعندما أصابه التعب لجأ إلى أبى الهول، الذى كانت تغطيه رمال الصحراء ولا يظهر منه سوى رأسه. هناك خلد الأمير إلى النوم، فراوده حلم بأن ظهر له أبوالهول فى المنام، وبشّره بأنه سيتبوأ عرش مصر، وطلب منه أن يزيل فيما بعد ما تراكم عليه من رمال.

وبعد عدة سنوات حدث بالفعل أن اعتلى الأمير تحتمس الرابع عرش مصر، فأمر خلال السنة الأولى من حكمه بتسجيل هذا الحلم على لوحة كبيرة توضع بين يدى أبى الهول الممتدتين، بعد إزالة الرمال عن التمثال الخالد.

وقصة الكلب الذى تسلّق الهرم ونزل منه فى رشاقة وخفة، خلال الأيام القليلة الماضية، والتى أدهشت العالم بأسره، وأصبحت حديث الإعلام المحلى والدولى، ما شكّل دعاية مجانية فى بداية الموسم السياحى- حدثت فى نفس موقع قصة «لوحة أبى الهول»، وكأن هذا الكلب الذى أُطلق عليه «بوكا» يعيد رحلة تعود عليها فى مصر القديمة.

وهناك نوع من الكلاب يطلق عليه «الكلب الفرعونى»، ويعتبر إحدى أقدم سلالات الكلاب، وموطنه مصر القديمة، وكان يستخدم لصيد الظباء والطرائد الأخرى. وعُرفت الكلاب فى اللغة المصرية القديمة باسم «إوو»، ويرجع اسمها إلى نفس الصوت الذى يصدره الكلب.

ومنذ بداية العصر «النيوليتى» عُرفت الكلاب بالصيد، عبر مرافقة صاحبها فى مطاردة الحيوانات. وكانت تعد ضمن سكان البيت المصرى القديم، إذ تنام على مقربة من سيدها، أو فى سريره، وترافقه فى أشغاله اليومية. وبعد ذلك تمت الاستعانة بها لحراسة القطعان، وكانت تصاحب سيدها فى المعارك الحربية.

وتعد لوحة الملك «أنتف» من ملوك الأسرة الحادية عشرة «٢١٢٠- ٢٠٧٠ ق.م»، وكلابه الأربعة، خير دليل على مكانة الكلاب فى مصر القديمة. وتتميز الكلاب الفرعونية بطول ما بين ٥٣ و٧٠ سم عند ارتفاع الكتف، وتزن ما بين ١٥ و٢٣ كجم. فَرْوُها لامع، أسمر ضارب للصفرة أو أحمر قانٍ، أطراف أصابعها بيضاء، واشتهرت باستخدام حاستى البصر والشم فى الصيد، وتتحرك فى سرعة ورشاقة تتوافق مع لياقة الكلب «بوكا».

وكانت الكلاب محبوبة فى مصر القديمة ولها بُعد دينى؛ لارتباطها بالمعبود «أنوبيس»، إله الموت والتحنيط والحياة الآخرة، وعادةً ما يتم تصويره على شكل كلب أو رجل برأس ناب. و«أنوبيس» معبود مصرى قديم على شكل ابن اوى، أُعتبر رمزًا للإقليم ١٧ من أقاليم الصعيد، ثم أصبح حارسًا للجبانة ومشرفًا على تحنيط الموتى، وكان مركز عبادته قرية «القيس» بين «البهنسا» و«بنى مزار».

وكان يُعتقد فى مصر القديمة أن الكلاب تعمل رفيقة ومرشدة للبشر فى الحياة الآخرة. وهناك أنواع مميزة للكلاب فى مصر القديمة، على رأسها الكلاب «السلوقى»، التى تتميز بالرشاقة الواضحة، وهى ممشوقة القوام منتصبة الأذنين وملتوية الذيل، وغالبًا كان يقتنيها الأمراء وأثرياء القوم، وقادرة على العدو فائق السرعة، بنفس سرعة «بوكا». وربما يتخذها أصحابها رفقاء مخلصين. وعلى ما يبدو أن أصلها من بلاد «بونت». ويوجد من سلالاتها الآن الكثير فى أنحاء مصر.

وكان يُطلق على الكلاب بعض الأسماء منذ عصر الدولة القديمة، مثل «نب» أى «السيد»، بالإضافة إلى أسماء أخرى تدل على صفات الكلب، منها «الرفيق المخلص»، و«المهاجم الجسور». وفى فترات أخرى انتشرت بعض الأسماء الأجنبية التى تطلق على الكلاب. فأسماء كلاب الملك «أنتف» الأربعة على سبيل المثال هى: «بحتى» أى «غزال»، و«بحتيس» بمعنى «أسود»، و«أبيكور» الذى قد يعنى «خنزير وحشى»، و«تكرو».

ونحن مطالبون باستثمار هذا الحدث لصالح الترويج السياحى، من خلال الاهتمام والرعاية بمجموعة كلاب يُطلق عليها «الكلاب السياحية»، على شاكلة «الكلاب البوليسية»، على أن تُنشأ لها وحدة بيطرية فى منطقة الأهرامات، كنموذج أولى يختص بالرعاية الصحية وتوفير الطعام لها، وتطعيمها حتى لا تشكل خطورة على الزوار، خاصة مع انتشارها بكثرة فى منطقة الأهرامات.

ويمكن ربط ذلك بالدعاية السياحية، خاصة فى الدول العاشقة للكلاب بشكل كبير مثل إسبانيا، والتى سبق أن زرتها من قبل، وشاهدت فيها الكلاب ترافق أصحابها فى الشوارع والميادين والفنادق، بالتالى يمكن اجتذاب أعداد كبيرة من السياح الإسبان لزيارة مصر.

وينبغى أن نربط بين ذلك وبين اهتمام المصرى القديم برعاية الحيوان، والاهتمام به حيًا وميتًا عبر تحنيطه، فالمتاحف المصرية تضم نماذج كثيرة من مومياوات الحيوانات، خاصة فى «متحف التحنيط» بالأقصر، الذى يتضمن مومياوات لقطط وأسماك وتماسيح.

بل ويمكن خلق نوع خاص من السياحة مرتبط بالحيوانات، يربط بين الماضى والحاضر، بداية من مشاهدة الحيوانات المحنطة فى مصر القديمة، والحيوانات فى بيئتها الطبيعية داخل العديد من المحميات الطبيعية المتفرّدة فى مصر، لتجمع هذه السياحة بين السياحة التاريخية والبيئية فى نفس الوقت.

مشهد الكلب حدث فى نفس موقع قصة «لوحة أبى الهول»

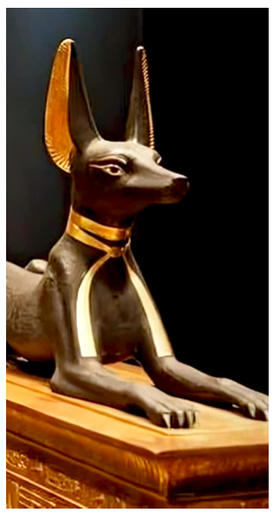

الكلاب فى مصر القديمة كانت تعد ضمن «سكان البيت»

أجدادنا بجّلوها لارتباطها بـ«أنوبيس» إله الموت والتحنيط والآخرة